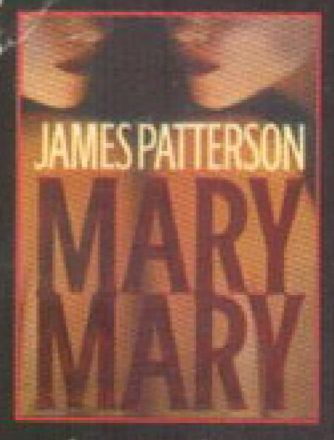
جيمس باترسون

ماري ماري







شخص ما يقتل مشاهير هوليوود

كان العميل الفيدرالي آلكس كروس يقضي إجازة مع أسرته في ديزني لاند عندما تلقى اتصالاً من مديره. لقد قتلت ممثلة شهيرة خارج منزلها في بيفرلي هيلز. بعد ذلك مباشرة، تلقى محرر في صحيفة لوس أنجلوس تايمز رسالة إلكترونية تعيد سرد الجريمة بتفصيل مدهش، موقعة باسم ماري سميث.

بطاقة اتصالاتها:

خشيت السلطات أن تكون هذه مجرد بداية. ولكن بدأ يتوالى المزيد من جرائم القتل، والمزيد من الرسائل التي تصل على الفور بعد ارتكاب تلك الجرائم. إن ماري سميث تستهدف نجوم هوليوود وأصحاب السلطة، وبدأت تكتسب مهارة مع الوقت.

منذ البداية تبدو هذه القضية مختلفة عن كل ما واجهه آلكس من قبل. هل يمكن أن يكون هذا خطة لممثل فاشل أم معجب مهووس، أم أنه جزء من شيء أكبر ومخيف؟ وكيف يمكن لامرأة أن تكون قادرة على ارتكاب تلك الجرائم البشعة؟

«وصلتك رسالة»

يكتسب الناس عداوات دون صعوبة في هوليوود. ولكي يتمكن آلكس من تعقب قاتل لا يرحم، عليه أن يبحر عبر عالم النجوم حيث يحوم المعجبون حول بوابات استوديوهات التصوير. هناك يطمح الجميع إلى رؤية النجوم عن قرب، لكن تلك المعجبة ليست هوليوود في حاجة إليها. ويخشى أعضاء هذا المجتمع أن يكونوا هم التالين على قائمة ماري، وتبرز في القضية حقائق مدهشة بينما يناضل كروس ومكتب تحقيقات لوس أنجلوس ليجدوا شيئاً قبل أن ترسل ماري رسالة أخرى مرعبة.

إن هذه الرواية حافلة بالتحولات الصادمة والقاسية التي تجعل المعجبين عطشى للمزيد، وهي أكثر روايات الإثارة التي كتبها جيمس باترسون تعقيداً.

جيمس باترسون هو مؤلف اثنتين من أفضل سلاسل روايات المحققين الجدد للعقد الأخير والتي حققت أفضل المبيعات. روايات آلكس كروس، والتي تتضمن London Bridges و Kiss the Girls و Along Came a Spider والتي جاءت في المركز الأول لتحقيق أفضل المبيعات طبقاً لصحيفة التايمز. أيضاً سلسلة Women's Murder Club والتي تتضمن الروايات التي حصلت على المرتبة الأولى في تحقيق أعلى مبيعات وهي 1st to Die و 2nd Chance و 3rd Degree و 4th of July وهو أيضاً مؤلف الروايات الرومانسية الأفضل مبيعاً مثل Suzanne's Diary for Nicholas و Sam's Letters to Jennifer وهو يعيش الآن في فلوريدا.





ماري ماري

جيمس باترسون



Mary, Mary

A NOVEL BY

James Patterson



<u>تمهيد</u>

راوى الحكاية

الفصل ١

الحقيقة أن الناس العاديين يرتكبون جرائم قتل كاملة طوال الوقت ، دون أن نسمع بالأمر لسبب بسيط وهو أنه لم يتم القبض على القاتل أبداً . هكذا كان يفكر راوى الحكاية قائلاً لنفسه ، هذا هو الفصل الأول ، المشهد الأول . لم يستطع كبح جماح اندفاعة التنبؤ المدهشة بداخله .

وهو أيضاً لن يتم القبض عليه بلا شك . هكذا تدور الحكاية التى يوشك على نسج خيوطها .

ولن يقبض عليه هو كذلك ، بالطبع . ذلك كان محتوى القصة التى يوشك الراوى على روايتها .

وهذا لا يعنى أن اليوم لم يكن مرهقاً للأعصاب . والحق أنها كانت أشد لحظة مرت به فى العامين الجنونيين المنصرمين . كان مستعداً لقتل شخص ما ، شخص مجهول تماماً بالنسبة له ، ولقد تبين أن مدينة نيويورك هى المكان الأنسب لفعلته الأولى .

كاد أن يتم الأمر قبالة استراحة بالدور الأرضى فى متجر " بلومنجدالز " ، لكنه لم يشعر بالارتياح للموقع .

فقد كان أكثر ازدحاماً من اللازم ، حتى فى العاشرة والنصف من الصباح .

وكان الموقع أيضاً يعج بالضجيج ، ولكن لم يكن كافياً لخلق التشويش الملائم .

علاوة على أنه لم يمل لفكرة أن يحاول الهرب داخل المنطقة المجهولة له من شارع ليكسنجتون ، وبالخصوص داخل أنفاق القطار المثيرة للفزع والخوف من سقوط شيء على المرء من أعلى . عندما يكون المكان مناسباً سيشعر بذلك ويدركه ، ثم سيتصرف بناء على ذلك .

وهكذا استمر راوى الحكاية فى المشى وقرر الذهاب لمشاهدة فيلم فى دار عرض ساتون بالناحية الشرقية من الشارع السابع والخمسين ، وهى دار عرض عجيبة ومتهدمة ، وكان واضحاً أنها رأت أيام مجد سالفة .

لعله مكان جيد من أجل قتل أحدهم . راقت له المفارقة ، حتى ولو كان هو الشخص الوحيد الذى أحسها . نعم ، ربما يأتى هذا بنتيجة عظيمة ، هكذا فكر بينما يجلس داخل واحدة من قاعتى العرض الصغيرتين . بدأ يتابع الجزء الثانى من فيلم (اقتلوا بيل ـ Kill Bill) مع سبعة أشخاص آخرين من عاشقى فن تارانتينو .

أى واحد من هؤلاء الأشخاص مطمئنى البال سيكون ضحيته ؟ أنت ؟ أنت ؟ أم أنه أنت هناك ؟ راح الراوى يدير ويغزل حكايته بداخل رأسه .

كان هناك اثنان صوتهما عال وكانا يرتديان القبعات المميزة لفريق البيسبول " نيويورك يانكيز " ، وهى بالمقلوب طبعاً . لم يغلق هذان الأحمقان المستفزان فميهما ولو مرة واحدة خلال عرض الإعلانات التجارية ودعاية الأفلام التالية ، تلك التى بدا وكأنها سوف تستمر للأبد . إن كليهما يستحقان الموت .

وكذلك يستحق الموت هذان الزوجان البائسان فى ثيابهما العتيقة ، واللذان لم يتكلم أحدهما مع الآخر على الإطلاق ، ولو مرة واحدة خلال

الخمس عشرة دقيقة قبل انطفاء أضواء القاعة . إن قتلهما سيكون عملاً طيباً ، بل وخدمة للمجتمع .

أما المرأة ذات الهيئة الضعيفة فى مقتبل عقدها الرابع ، والتى اتخذت مكانها بعد صفين أمام الزوج والزوجة العجوزين المهترئين ، فلم تكن تزعج أى شخص ، سواه هو ، الراوى .

ثم هناك فتى أسود ضخم ، يضع قدميه بحذاءيه على الكرسى الذى أمامه . وقح وغير مبال ، مازال يرتدى سروال المدرسة القديم الذى لا يقل مقاسه عن ١٤ .

بجواره ، مدمن أفلام ذو لحية سوداء ، لعله رأى هذا الفيلم عشرات المرات بالفعل ، ويعشق أعمال " كوينتين تارانتينو " بالطبع .

وبعد قليل ، نهض هذا الشخص العجيب الملتحى فى منتصف الفيلم ، تماماً بعد المشهد الذى تم فيه دفن الممثلة " أوما ثورمان " . رباه ، من الذى يمكنه الخروج عند مشهد مهم كهذا ؟

ومدفوعاً بنداء الواجب ، نهض راوى الحكاية وتبعه بعد ثانيتين ، إلى الخارج فى الردهة خافتة الإضاءة ، ثم إلى حمام الرجال ، بالقرب من قاعة العرض الثانية .

كان يرتجف الآن فى الحقيقة . أهذه هى ؟ أهذه لحظته ؟ لحظة جريمة القتل الأولى له ؟ بداية كل ما راح يحلم به على مدى شهور ؟ ولعلها كانت أعواماً .

كان متسماً بقدر كبير من الأداء العفوى ، فى محاولة منه ألا يفكر فى أى شيء عدا تنفيذ الأمر بالشكل الصحيح ، ثم العودة لقاعة العرض والخروج منها قبل أن يلمح وجهه أى شخص أو حتى أن يلمح ولو إصبع قدم منه .

كان الرجل الملتحى واقفاً أمام المبولة ، وهو ما كان أمراً طيباً فى حقيقة الأمر ، إن المشهد مثالى ويتسم بصبغة فنية .

كان الرجل يرتدى قميصاً قطنياً (تى شيرت) أسود متسخاً ومجعداً ، مكتوباً عليه " كلية السينما بجامعة نيويورك " ، مع رمز

مطبوع على ظهر القميص . مما ذكره بشخصية " دانيال كلاوس " فى كتاب القصص المصورة ، وكانت هذه الرسوم رائجة فى هذا الوقت .

قال الراوى : " والآن .... فليبدأ التصوير ! "

ثم أطلق النار على مؤخرة رأس الرجل الملتحى المسكين سيئ الحظ ، ورآه يقع على أرضية الحمام مثل جوال ثقيل . رقد هناك ـ ولم يتحرك أى شيء . كان طنين الرصاصة الذى انطلق فى المكان المكسو بالبلاط له صدى فى رأسه ، أعلى مما كان قد تخيل له أن يكون .

سمع من يقول : " ما هذا ؟ ماذا حدث ؟ هلم ، هيا ! " ، ودار الراوى حول نفسه كما لو كان هناك متفرجون يتابعونه داخل حمام الرجال .

دخل من ورائه رجلان من طاقم العمل فى سينما ساتون . لابد أن الضجة أثارت فضولهما وأتت بهما هناك . ولكن ما الذى تمكنا من رؤيته ؟

قال لهما : " أزمة قلبية " محاولاً أن يبدو مقتنعاً بما يقوله ، ثم أكمل : " لقد سقط الرجل أمام المبولة هكذا وحسب . ساعدانى على حمله . يا للمسكين . إنه ينزف ! " .

بلا أى ذعر ، بلا تظاهر ، وبلا أية أفكار جانبية فى أى شيء مهما كان . كان كل شيء يتبع الغريزة الآن ، سواء كان صواباً أم خطأ .

رفع مسدسه وأطلق الرصاص على عاملى دار العرض كليهما خلال وقوفهما بالباب كالمغفلين بأعينهما الجاحظة من فرط الدهشة . أطلق عليهما الرصاص مرة أخرى عندما سقطا على الأرضية . فقط ليطمئن قلبه . يا له من محترف .

أما الآن فقد صار يرتجف فعلاً ، وكانت ساقاه لا تكادان تحملانه ، لكنه يحاول أن يمشى بكل هدوء خارجاً من دورة مياه الرجال .

ثم خرج من سينما " ساتون " إلى الشارع السابع والخمسين ، متوجهاً شرقاً على قدميه . بدا كل شيء بالخارج غير حقيقى بالمرة وكأنه ينتمى إلى عالم آخر ، كل شيء كان براقاً وفاقعاً للغاية . لقد نفذ الأمر . لقد قتل

ثلاثة أشخاص بدلاً من واحد فقط . أول ثلاث جرائم قتل له ، كان مجرد تمرين ، لكنه قام بالأمر ، أتعرفون ماذا أيضاً ؟ بوسعه أن يقوم به مرة أخرى .

قال راوى الحكاية هامساً من بين أنفاسه المتلاحقة : " التمرين يجعلنا ممتازين " بينما أسرع الخطى نحو سيارته ـ سيارة الهرب ، أليس كذلك ؟ رباه ، لقد كان هذا أفضل شعور انتابه طوال حياته . وبالطبع ، هذا لا يلقى أى ضوء على حياته حتى الآن ، أليس كذلك ؟

ولكن انتبهوا جيداً من الآن فصاعداً ، انتبهوا جيداً .

لأن قضية مارى ، مارى ، على النقيض تماماً .

بالطبع كان هو الشخص الوحيد الذى يدرك هذا . حتى الآن ، على أية حال .

الفصل ٢

سأل نفسه مرات عديدة بعد جرائم قتل نيويورك التى ارتكبها :

" **أتظن أن بوسعك القتل مرة أخرى بدم بارد ؟** "

" أتظن أن بوسعك التوقف عن ذلك الآن بعد أن بدأته ؟ أتظن ذلك ؟ "

انتظر الراوى إلى أن حان وقته ، خمسة شهور تقريباً من تعذيب النفس المسمى بالانضباط أيضاً أو الاحترافية ، أو الجبن والتخاذل ، ربما .

ثم وصل إلى مجال القتل مرة أخرى ، وهذه المرة لن تكون مجرد تمرين . هذه المرة ستكون عملاً حقيقياً ، ولن يكون مجرد شخص مجهول هو من سيلقى حتفه .

كان قد وصل لتوه أمام الحشد المتجمع لحضور عرض الساعة الثالثة وعشر دقائق بفيلم The village بدار عرض ويستوود فاليج فى لوس أنجلوس . كان هناك عدد من المنتجين ورعاة الفن ، وهو ما كان أمراً جيداً له ، وحسب اعتقاده فهو جيد أيضاً لمخرج الفيلم النجم السيد نايت

شايامالان . أى نوع من الأسماء هذا ؟ السيد نايت (بمعنى ليل) ؟ اسم مصطنع لجذب الأنظار .

كان واضحاً أن باتريس بينيت واحدة من آخر الأشخاص فى البلدة الذين يذهبون لرؤية فيلم رعب . كما أن باتريس فى الحقيقة تنازلت وتواضعت لتجلس فى دار عرض حقيقية ، مع مشترى التذاكر الحقيقيين ، يا للتواضع الرث ؟ . لا بأس ، فقد اشتهرت بذلك ، أليس كذلك ؟ كانت هذه طريقتها الخاصة . بل إنها كانت قد اشترت تذكرتها مقدماً فى وقت سابق ، وهكذا عرفت أنها ستكون موجودة هناك .

وهكذا فلم يعد هدفه التمرين بعد ذلك ، وكل شيء ينبغى أن يتم على أتم ما يرام ، وسوف يكون كذلك دون ذرة شك . كانت القصة مكتوبة بالفعل فى رأسه .

ومن أجل أمر ما ، وهو ألا يكتشف وجوده أى شخص فى دار العرض ، ذهب إلى حفلة عرض الثانية عشرة ظهراً ؛ وعند نهاية العرض انتظر بداخل أحد الحمامات حتى الساعة ٣,١٠ ظهراً . كان يقضم أظافره لأنه يخوض تجربة منهكة للأعصاب ، لكنها ليست على هذا القدر من السوء . وخصوصاً لأنه لو اكتشف وجوده ، كان سيلغى المهمة بكل بساطة .

لكن أحداً لم ير الراوى ـ أو على الأقل هذا ما اعتقده ـ وهو أيضاً لم ير أى شخص يعرفه .

والآن ، صار فى دار العرض أكثر من مائة متفرج ، أو بالأحرى أكثر من مائة مشتبه بهم ، أليس كذلك ؟ فهناك عشرة من بينهم على الأقل مناسبون لهذا الغرض تماماً .

والأهم من ذلك كله ، فإن مسدسه مزود الآن بكاتم للصوت . وهو شيء تعلمه من تجربته المفزعة بمدينة نيويورك .

جلست باتريس فى شرفة الفرجة الخاصة بها (البلكون) لمشاهدة الفيلم . فكر قائلاً : " **إن هذا يناسبنى تماماً يا باتريس . إنك هكذا تراعين الآخرين أكثر من اللازم ، وهو غريب عليك كل الغرابة ، أيتها الكلبة** " .

كان يراقبها عبر المشى ما بين المقاعد ومن الوراء بعدة صفوف . كان هذا الأمر ممتعاً جداً ـ رغب فى أن تستمر متعة توقع الانتقام ، وتستمر وتستمر . غير أنه أراد أيضاً أن يضغط على الزناد وينتهى من مهمته قبل أن يحدث ما يسوء . لكن ما الذى قد يسوء ؟

عند المشهد الذى قام فيه آدريان بوردى بطعن خواكين فونيكس ، نهض عن مقعده فى هدوء ومضى مباشرة نحو مكان جلوس باتريس ، لم يتردد مطلقاً ولو للحظة .

قال : " عذراً . آسف . " وبدأ يشق طريقه نحوها ، قريباً جداً من ساقيها النحيفتين العاريتين ، اللتين لم تكن لهما الجاذبية التى تليق بامرأة ذات أهمية فى هوليود .

قالت متشكية : " يا الله ! هلا انتبهت ؟ " وهو ما كان مطابقاً لأخلاقها تماماً ، الابتذال غير الضرورى ونبرة التسلط .

قال مازحاً : " تقولين يا الله ، وسوف تصعدين إلى سمائه بعد قليل ! " . تساءل فى نفسه إذا ما فهمت باتريس مزحته . إنها غالباً لم تسمعه . إن الأشخاص المهمين فى عالم الفن لهم آذان سميكة وسمع ثقيل .

أطلق عليها رصاصتين ـ واحدة فى القلب والأخرى ما بين عينيها اللتين جحظتا أشد الجحوظ من فرط الدهشة . ليس هناك شيء يماثل الموت النهائى لهؤلاء الأشخاص ذوى النفوذ والسلطان . لعل باتريس ستخرج من قبرها لتطاردك ! تماماً مثل مشهد النهاية فى فيلم كارى الأصلى ، وهى أول قصة لـ " ستيفن كنج " تتحول إلى فيلم .

ثم لاذ بالفرار على أكمل وجه .

بالضبط كما يجرى الأمر فى الأفلام .

وهنا تبدأ القصة .

الجزء الأول

جرائم قتل " مارى سميث "

الفصل ٣

إلى : agriner@ratimes.com
من : مارى سميث

فرك آرنولد جرينر عينيه الصغيرتين الحولاوين المغلقتين ، ثم وضع يديه فوق جمجمته الخالية من أى شعر ، وراح يحك صلعته حكاً عنيفاً .
آه ، يا إلهى ، رسالة اليكترونية أخرى ؟ ! هكذا قال فى نفسه . الحياة أقصر من أن نضيعها فى هذا الهم . لا أستطيع تحمل هذا . عن حق لا أستطيع تحمل حكاية مارى سميث هذه .

كانت غرفة تحرير الأخبار بصحيفة لوس أنجلوس تايمز تطن بالضجيج من حوله كما هى الحال فى أى نهار آخر : أصوات رنين الهواتف ، يروح الأشخاص جيئة وذهاباً وكأنهم فى سباق للمشى بداخل المبنى ، وبالقرب منه أحد الأشخاص يتنبأ بخريطة البرامج التليفزيونية التى سوف تعرض ـ كما لو أن هناك من يهتم بمواعيد وجداول البرامج التليفزيونية فى هذه الأيام .

كيف يمكن لجرينر أن يشعر بأنه أعزل وعرضة للخطر إلى هذا الحد بينما يجلس على مكتبه ، فى غرفته الصغيرة المعزولة بالألواح ، وفى وسط كل هذا الضجيج ؟ لكن هذا ما شعر به فعلاً .

إن عقار الزناكس الذى راح يبتلعه منذ استلامه للرسالة الإلكترونية الأولى من مارى سميث قبل أسبوع مضى لم يأت بأية نتيجة على الإطلاق ، ليوقف نوبة الذعر التى تخترق كيانه مثل إبرة المغزل .

الذعر - صحيح ولكن أيضاً الفضول المرضى .

قد يكون " مجرد " كاتب عمود ترفيهى ، لكن آرنولد جرينر كان يتمتع بحاسة معرفة القصة الإخبارية الشيقة التى ستثير ضجة بمجرد أن تقع عينه على إحداها ، أى حادثة مثيرة سوف تسيطر على الصفحة الأولى لأسابيع . إن أحد الأثرياء والمشاهير قد لقى مصرعة فى (لوس أنجلوس) . لم يكن بحاجة لأن يقرأ الرسالة الإلكترونية حتى يدرك هذا . لقد أثبتت " مارى سميث " جدارتها كامرأة مريضة وتفى بكلمتها .

كانت الأسئلة التى حاصرت عقله هى : تُرى من الذى لقى مصرعه هذه المرة ؟ وما الذى سيقوم به هو نفسه وسط كل تلك الفوضى العارمة ؟

لماذا أنا من بين جميع الناس ؟ من المؤكد أن هناك سبباً وجيهاً ، وإذا عرفت هذا السبب سوف يكون علىَّ أن أشعر بالذعر ، أليس كذلك ؟

وفيما كان يتصل برقم النجدة ٩١١ بيد مرتعشة ، كان ينقر على أزرار الكومبيوتر باليد الأخرى ليفتح رسالة مارى سميث وهو يحدث نفسه قائلاً : **آه يا إلهى . أرجو ألا يكون شخصاً أعرفه وأحبه .**

وبدأ يقرأ الرسالة ، على الرغم من أن كل شيء بداخله كان يطالبه بألا يقرأها . لم يستطع أن يمنع نفسه من ذلك . **آه ، يا إلهى ! آنتونيا شيفمان ! أوه ، آنتونيا المسكينة . كلا ، كلا ، لماذا هى ؟ لقد كانت آنتونيا واحدة من الناس الطيبين ، الذين من الصعب العثور على أمثالهم .**

إلى : أنتونيا شيفمان

أظن أنه يمكن لك أن تعتبرى أن هذه الرسالة معادية لمعجبيك ، بالرغم من أننى كنت واحدة من معجبيك .

على كل حال ، إن الرابعة والنصف صباحاً لهو وقت مبكر بشكل فظيع لكى تغادر المنزل واحدة مثلك ، فائزة بجائزة الأوسكار ثلاث مرات وأم لأربعة أطفال ، ألا تعتقدين ذلك ؟ أظن أنه الثمن الذى علينا أن ندفعه لنكون ما نحن عليه . أو على الأقل جزء من هذا الثمن .

لقد كنت هناك هذا الصباح لأريك الجانب المظلم للشهرة والثراء فى بيفرلى هيلز بين نجوم الفن .

كان الجو حالك الظلام حين جاء السائق ليأخذك إلى " موقع التصوير " . هناك تضحيات تقدمينها لم يبدأ معجبوك بتقديرها حق قدرها .

دخلت من البوابة الأمامية خلف السيارة وتبعت السائق على طول الطريق .

وفجأة ، خطر لى أن السائق لابد أن يموت إذا شئتُ أن أصل إليك ، ومع ذلك فلم يكن قتله مصدر أى متعة لى . ولذا كنت عصبية زيادة عن اللازم ، أهتز وكأننى فسيلة فى مهب عاصفة هوجاء .

والحق أن المسدس كان يرتعش فى يدى عندما طرقت على زجاج نافذته . احتفظت بالمسدس مخبأ خلف ظهرى وأخبرته أنك ستهبطين من المنزل خلال دقائق .

قال : " ما من مشكلة " . وتعلمين ؟ إنه لم يكد ينظر نحوى . ولماذا عليه أن ينظر نحوى ؟ فأنت نجمة النجوم ، ١٥ مليون دولار على الفيلم الواحد كما قرأت . فبالنسبة له ما أنا إلا خادمة .

شعرت وكأننى ألعب دوراً صغيراً فى واحد من أفلامك ، ولكن صدقينى ، لقد خططت لأن أسرق منك الأضواء فى هذا المشهد .

أدركت أن علىَّ القيام بشيء درامى بسرعة . كان السائق على وشك أن يتساءل حول سبب استمرارى بالوقوف هناك . لم أدر إذا كان الخوف سيشلنى إذا ما تطلع إلىّ . لكن ما إن فعل حتى تم كل شيء وحسب .

صوبت المسدس على وجهه وضغطت الزناد . ما هو إلا فعل صغير جداً ، يكاد يكون رد فعل . وبعدها بثانية كان جثة هاه ؟ . كان بوسعى القيام بأى شيء أشاء عند ذلك . وهكذا درت حول جانب السيارة ، ودخلت إليها وانتظرتك . يا لها من سيارة لطيفة ، لطيفة حقاً . فاخرة جداً ومريحة جداً ، مفروشة بالجلود ، ذات إضاءة ناعمة ومزودة بثلاجة وبراد صغير معبأ بكل ما تشتهينه . حلوى التويكس ، كيف يا آنتونيا ؟ عار عليك !

وعلى هذا ، فقد كان من سوء الحظ أن تخرجى من المنزل بسرعة شديدة . كم وددت أن أبقى فى سيارة الليموزين الخاصة بك ، لأقضى وقتاً هادئاً فى هذه الرفاهية . خلال هذه الدقائق المعدودة ، أدركت سبب رغبتك فى أن تكونى ما أنت عليه . أو على الأقل ، ما قد كنت عليه .

إن دقات قلبى تتسارع الآن بينما أكتب هذا ، لمجرد تذكرى اللحظة .

توقفت للحظات خارج السيارة ، قبل أن تفتحى الباب لتدخلى . وعلى الرغم من كونك ترتدين ملابس عادية ولم تكونى قد وضعت أية مساحيق زينة ؛ إلا أنك مازلت تأخذين الألباب بجمالك . لم تتمكنى من رؤيتى ولا رؤية السائق المقتول عبر الزجاج المعتم من الخارج . ولكننى تمكنت من رؤيتك . هذا ما كان عليه الحال طوال الأسبوع كله يا آنتونيا . كنت موجودة أمامك هناك دون أن تنتبهى لى أبداً .

يالها من لحظة لا تقدر بثمن بالنسبة لى !

إنه أنا ، بداخل سيارتك . وأنت خارجها ، مرتدية سترة من قماش التويد الصوفى الناعم ، مما جعلك تبدين كامرأة أيرلندية عادية للغاية .

حين دخلت السيارة ، قمتُ على الفور بإغلاق الأبواب وفصلت المقعد الأمامى عن الجزء الخلفى . وظهرت نظرة الدهشة هذه على وجهك لحظة رؤيتك لى . لقد رأيت هذه النظرة نفسها من قبل - فى أفلامك ، عندما تتظاهرين بالخوف .

ما لم تدركيه فى الغالب أننى كنت مرعوبة شأنى شأنك تماماً . كان جسدى كله يهتز ويترجرج . وأسنانى تصطك ببعضها البعض . لهذا السبب أطلقت عليك النار قبل أن تفكر أى منا فى قول أى كلمة .

لقد مرت اللحظة بأسرع ما يمكن ، ولكننى كنت قد خططت بناء على هذا سبب استخدام السكين . تمنيت فقط ألا يعثر عليك أطفالك . لم أكن أود لهم أن يروك على هذه الحال . كل ما عليهم أن يعرفوه هو أن ماما قد ذهبت ، ولن تعود أبداً .

هؤلاء الأطفال البائسون - آندى ، تيا ، بترا ، إليزابيث .

إنهم الأشخاص الوحيدون الذين أرثى لحالهم . مساكين ، أطفال مساكين ، يتامى الأم . هل هناك شيء أكثر بؤساً من هذا ؟

مازلت أعرف شيئاً ما - لكنه سرى الدفين ، ولن يطلع عليه أحد أبداً .

الفصل ٤

دقت الساعة الخاصة بمارى سميث عند الخامسة والنصف صباحاً ، لكنها كانت مستيقظة بالفعل . فى تمام اليقظة ، تفكر وتتدبر فى كل شئونها ، وكيف ستصنع ثوب القنفذ لترتديه ابنتها آشلى فى مسرحية المدرسة . ماذا عساها أن تستخدم من أجل أشواك القنفذ ؟

لقد نامت فى وقت متأخر الليلة الماضية ، لكنها لم يبد عليها مطلقاً أنها قادرة على إيقاف الموكب الاحتفالى الذى يسير فى ذهنها لقائمة المهام التى يتوجب عليها القيام بها .

إنهم بحاجة إلى المزيد من زبدة الفول السودانى ، ومعجون أسنان الأطفال ، ودواء زيرتك للحساسية ، ومن أجل الضوء الليلى للحمام . لدى بريندان تدريب كرة قدم فى الساعة الثالثة ، وهو نفس موعد درس الرقص الإيقاعى الخاص بآشلى ، وكل من المكانين يبتعد عن الآخر مسافة خمسة عشر ميلاً . إنها تكتشف الآن هذا الأمر . ولعل حالة الرشح قد زالت عن آدم خلال الليل بطريقة أو بأخرى ، أما مارى فلا يمكنها تحمل يوم آخر من المرض ، إنها بحاجة لأن تغير مواعيد عملها مرة أخرى .

وكان هذا هو الجزء الهادئ من اليوم . فبعد قليل ستجد نفسها أمام الموقد ، تملى الأوامر وتستجيب للسيل المعتاد من احتياجات وقت الصباح .

" ساعد أختك فى ارتداء حذائها يا بريندان ، إننى أتحدث إليك يا بريندان ، ألا تسمعنى ؟ "

" ماما ، إن جوربى شكله غريب جداً . "

" اقلبيه يا حبيبتى ! "

" هل يمكننى أن أصطحب كليو إلى المدرسة ؟ هل يمكننى ذلك من فضلك ؟ أرجوك يا ماما ، أرجوك ؟ "

" نعم ، نعم ، ولكن سيكون عليك إخراجها من المجفف أولاً . أوه بريندان ، ماذا طلبت منك أن تفعل ؟ "

قامت مارى بمهارة بإسقاط مقدار من البيض المخفوق على خير وجه فى طبق كل واحد منهم ، فى اللحظة نفسها التى كان الخبز فيها قد نضج فى جهاز التحميص .

" **الإفطار جاهز !** " .

فيما شرع الطفلان الكبيران فى تناول الطعام ، أخذت هى آدم إلى غرفته وألبسته سروال الأطفال ، وقميص البحار . وراحت تداعبه وتلاطفه وهى تجلسه على كرسيه المخصص لتناول الطعام .

" من هو أجمل بحار فى المدينة ؟ من هو رجلى الصغير ؟ "

هكذا سألته وهى تدغدغه تحت ذقنه المكتنزة .

قال بريندان مبتسماً : " إنه أنا يا ماما ، أنا رجلك الصغير . "

أجابته مارى : " لا ، أنت رجلى الكبير " وهى تداعبه بخفة تحت ذقنه ، ثم اعتصرت كتفيه قائلة : " ورجلى الكبير هذا يكبر يوماً بعد الآخر " .

فقال وهو يحاول الإمساك بالنتفة الأخيرة من البيض بشوكته وإبهامه : " ذلك لأننى أنظف صحنى تماماً " .

قالت آشلى : " أنت طباخة ماهرة يا ماما " .

" أشكرك يا حبيبة قلبى . والآن هيا ،
لنذهب ن . ن . ن . ن " .

وبينما هى تنظف الصحون ، مشى بيرندان وآشلى صفاً فى الردهة وهما يترنمان بأغنية : " نمشط وننظف ، ونغسل ونجفف ، شعرنا وأسناننا ، أيدينا ووجهنا ... " .

وبينما كان الكبيران يغتسلان ، وضعت الأطباق فى الحوض حتى وقت لاحق ؛ ومرت بالمنشفة الورقية مرة أخرى سريعاً على وجه آدم ؛ وتناولت وجبة غداء الأولاد المعدة منذ المساء من الثلاجة ؛ ووضعت كل وجبة بداخل كيسها الملائم .

نادت عليهما قائلة : " سوف أضع آدم على مقعده فى السيارة . من يأتى الأخير هو دودة الحقل . "

تكره مارى هذه الطريقة العتيقة فى التعامل مع أطفالها ، لكنها كانت تدرك قيمة المنافسة الصغيرة البريئة من أجل الاحتفاظ بالأولاد فى حالة حركة . كانت تسمعهما يتصايحان فى غرفتيهما ، نصف ضاحكين ونصف خائفين من أن يكون كل منهما هو آخر من يخرج من المنزل ليلحق بسيارتها القديمة المتهالكة . **" اللعنة " ، من ذا الذى قال " القديمة المتهالكة " مرة أخرى ؟ لا أحد غيرها ، مارى ، مارى ، ومن ذا الذى قال " اللعنة " ؟**

بينما كانت تضع آدم بمكانه فى السيارة حاولت أن تتذكر ما الذى أبقاها ساهرة لوقت متأخر فى الليلة الماضية . إن الأيام ، وكذلك الليالى حالياً ، تبدو بالنسبة لها تتداخل مع بعضها البعض وتتحول إلى حزمة عشوائية من الطبخ ، والتنظيف ، والغسيل ، وقيادة السيارة ،ووضع القوائم ، ومسح الأنوف والأفواه ، والمزيد من قيادة السيارة . إن لوس أنجلوس لها مساوئها الضخمة . يبدو الأمر كما لو كان ساكنوها يمضون نصف حياتهم فى سياراتهم ، محتجزين فى زحام المرور .

لابد لها أن تحصل على سيارة أخرى توفر استهلاكها للوقود بدلاً من تلك السيارة الكبيرة التى أتت بها إلى الغرب .

نظرت إلى ساعة يدها . مرت عشر دقائق دون أن تدرى كيف . عشر دقائق ثمينة ، كيف يحدث هذا على الدوام ؟ كيف يضيع الوقت منها هكذا على الدوام ؟

هرعت إلى الباب الأمامى واستعجلت بريندان وآشلى ليخرجا . " ما الذى يؤخركما كل هذا الوقت ؟ سنتأخر مرة أخرى هكذا ؟ يا إلهى ، انظرا كم الوقت الآن " . هكذا كانت تصيح مارى سميث .

الفصل ٥

ها قد وصلنا ، وفيما أنا غارق حتى أذنى فى هذا العالم الغاضب الذى يبدد ويسخر من كل المعتقدات الراسخة ، إذا بهم ينعتوننى بـ " شيرلوك هولمز أمريكا " فى إحدى أشهر وأقوى المجلات التى تحظى بأكبر عدد من القراء . يا له من انهيار كامل ذلك الذى كان ، ومازال الأمر يضايقنى هذا الصباح . أحد الصحافيين فى الحوادث والتحقيقات واسمه جيمس ترسكوت قرر أن يتتبعنى هنا وهناك ويكتب حول قضايا القتل التى أحقق بها . لكننى هربت مع ذلك . لقد ذهبت لقضاء عطلة مع أسرتى .

فى المرة الأخيرة التى التقيت خلالها ترسكوت فى واشنطن العاصمة ، قلت له ضاحكاً : " سأذهب إلى ديزنى لاند ! " وما كان من جواب من هذا الصحافى إلا أن تبسم مزهواً بنفسه .

بالنسبة لأى شخص آخر ، ربما تكون العطلات شيئاً عادياً . شيئاً يحدث طيلة الوقت ، مرتين فى العام أحياناً . أما بالنسبة لأسرة كروس فإن قضاء عطلة حدث له شأنه ، بل بداية صفحة جديدة .

وللفأل الحسن ، كانت أنغام أغنية " عالم جديد تماماً " تتردد فى ردهة الفندق حين مررنا من هناك .

حثتنا جانى على السير وهى تتقدمنا جرياً وتقول : " هلموا أيها المتباطئين ! " . أما ديمون الذى دخل فى مرحلة المراهقة لتوه فقد كان أكثر تحفظاً على نحو ما . تنحى جانباً وأمسك الباب حتى تمر منه جدته نانا بينما نخرج من الجو المكيف الهواء إلى شوارع كاليفورنيا الجنوبية المشرقة بنور الشمس .

فى الحقيقة ، تعرضت حواسنا لصدمة مفاجئة لحظة خروجنا من الفندق . روائح القرفة ، والعجائن القلية ، ونوع من الطعام المكسيكى الشهى ، كل تلك الروائح اخترقت أنوفنا فى ذات الوقت . كما أمكننى أن أسمع الضجيج البعيد لقطار بضائع ، أو هكذا كان يبدو لى ، مصحوباً بصرخات الفزع - ولكن من النوع الطيب ، وليست من النوع الذى يرهب ويحذر . لقد كفانى ما سمعت من النوع الآخر حتى أكون تقديراً للفارق بينهما .

قمت بالعطلة على خلاف كل التوقعات ، والحق أننى خرجت من المدينة قبل أن يخرج علىّ مدير المباحث الفيدرالية بيرنز ومساعدوه بنصف دستة أسباب تمنعنى من القيام بعطلة فى هذا التوقيت . كان مطلب الأولاد الأول هو ديزنى ورلد وقرية إيبكوت فى فلوريدا . ولأسباب تخصنى ، وكذلك من أجل موسم الأعاصير فى الجنوب ، حولت مسارنا إلى أحدث مدينة ترفيهية لديزنى لاند " ديزنى كاليفورنيا أفينشر " .

قامت جدة الأولاد بتظليل عينيها بيدها من الضوء شديد السطوع للشمس ، وقالت : " إنها حقاً كاليفورنيا . إننى لم أر شيئاً يحدث بشكل عادى منذ جئنا إلى هنا يا آلكس . فهل رأيت أنت ؟ "

زمت شفتيها ولوت جانبى فمها لأسفل ، لكنها لم تستطع منع نفسها من الضحك ، ثم راحت تغرق فى نوبة ضحك قوية . هكذا هى نانا . إنها لا تضحك على الآخرين أبداً - ولكن تضحك معهم .

" لن تخدعينى أيتها المرأة العجوز . كم تحببين رؤيتنا جميعاً معاً . وذلك فى أى مكان ، وعلى أى حال ، وفى أى وقت . وحتى لو كنا فى أصقاع سيبريا فلن تهتمى بذلك " .

أشرق وجهها ، قالت : " الآن ، أصقاع سيبريا . هذا مكان تروق لى رؤيته . رحلة عبر سكة حديد سيبريا ، جبال ساياناى ، بحيرة بايكل . أتعرف ، لن تنتهى حياة صغار الأمريكيين إذا هم ذهبوا فى عطلة إلى مكان ما حيث يمكن لهم أن يتعلموا حقاً شيئاً عن ثقافة أخرى " .

حولتُ ناظرى نحو ديمون وجانى وقلت : " إنك لا تنسين أبداً أنك كنت مُعلمة ... " .

قالت جانى : " دائماً معلمة " .

كرر آلكس الصغير وراءها : " دائماً معل ـ ما " . كان فى الثالثة من عمره ، وكان مثل ببغاء صغير بالنسبة لنا . كنا لا نراه بشكل منتظم ، وكنت أنا على وجه الخصوص أندهش لكل ما يفعله . لقد أخذته أمه معها إلى سياتل منذ ما يزيد على سنة ، ولاتزال صراعات حضانته بينى وبين كرستين مستمرة .

قاطع صوت نانا أفكارى :" أين سنذهب أو ... "

وقبل أن تنهى نانا سؤالها قالت جانى : " نطير فوق سماء كاليفورنيا ! " .

قاطعها ديمون قائلاً : " حسناً ، وبعدها نملأ سماء كاليفورنيا بالصراخ " .

أخرجت جانى لسانها فى شقاوة لشقيقها ، ونفخ هو خديه لها بلطف وهو يمازحها . بالنسبة لهما يشبه الأمر صباح يوم العيد ـ حتى النزاعات عندئذ تكاد تكون مرحة .

قلت : " يبدو أن لديكما خطة . وبعدها إذن سنذهب لمشاهدة فيلم رسوم متحركة من أجل أخيكما الصغير " .

رفعت آلكس الصغير بين ذراعى واحتضنته قريباً منى ، وقبلت وجنتيه . نظر إلىَّ بابتسامته الصغيرة المطمئنة .

عاد للحياة رونقها من جديد .

الفصل ٦

وعند تلك اللحظة رأيت جيمس ترسكوت يقترب منا ، لا يفصله عنا إلا خمس أو ست خطوات ، وخصلات من شعره الأحمر تتدلى فوق كتفيه المغطيين بالسترة الجلدية السوداء .

بطريقة من الطرق ، جعل ترسكوت رؤساءه بنيويورك يوافقون على أن يكتب عنى سلسلة متواصلة من الموضوعات ، مبنية على سجلى الحافل فى العمل على جرائم قتل لفتت الانتباه وأثارت الرأى العام ، وذلك بوتيرة ثابتة . وقد يرجع هذا إلى أن القضية الأخيرة ، والمتعلقة بالمافيا الروسية ، كانت أسوأ قضية لى فى سجلى المهنى ، كما أثارت الاهتمام للحد الأقصى . سمحت لنفسى بالاستقصاء حول ترسكوت . إنه فى الثلاثين من عمره فقط ، تخرج فى جامعة بوسطون ، تخصص فى الجرائم الحقيقية ، وطبع كتابين غير روائيين حول المافيا . ومازالت العبارة التى سمعتها عنه تصم أذنى : إنه يتبع فى عمله أساليب ملتوية .

نادى علىّ قائلاً : " آلكس " ، ومد يده كما لو كنا صديقين قديمين التقيا بالمصادفة . متردداً ، صافحته . لم يكن الأمر أننى أكرهه ، أو

أعترض على حقه فى كتابة ما شاء من موضوعات صحافية ، لكنه كان يقتحم علىّ حياتى بالفعل ، وبطرق أظن أنها غير لائقة ـ كأن يكتب لى رسائل إليكترونية يومية ، وأن يوجد فى مواقع ارتكاب الجرائم ، بل وفى منزلى بواشنطون العاصمة ، والآن هنا ، ها هو يظهر فجأة مقاطعاً عطلتى العائلية .

قلت بصوت هادئ : " تعرف يا سيد ترسكوت أننى أرفض التعاون فى تلك الموضوعات الصحافية " .

ابتسم قائلاً : " لا بأس . إننى أتفهم هذا " .

قلتُ : " ولكننى غير قادر على تفهم تصرفاتك . إننى خارج الخدمة الرسمية الآن . إنه وقت خاص أقضيه مع أسرتى . ألا يمكن لك أن تحترم خصوصيتنا ؟ نحن الآن فى ديزنى لاند " .

أومأ ترسكوت برأسه كما لو كان يبدى فهمه التام ، ولكن قال بعدها : " ستكون عطلتك أمراً مشوقاً لقرائنا . إنها حالة أقرب إلى الهدوء الذى يسبق العاصفة . هذا عظيم جداً ! فديزنى لاند مكان مثالى . لابد أنك تفهمنى ، أليس كذلك ؟ "

قالت نانا وهى تتخذ خطوة للأمام فى مواجهة ترسكوت :

" أنا لا أفهمك . أنا لا أفهم هذا الحق فى التطفل على حياة الآخرين . هل سمعت نصيحة كهذه من قبل أيها الشاب ؟ حسناً ، فلتعمل بها . أتعرف أن لديك براعة فى استفزاز الأعصاب ؟ "

وعندئذ لاحظت شيئاً أكثر إزعاجاً بطرف عينى ـ حركة لا تتناسب مع الظروف المحيطة بنا : امرأة فى ثياب سوداء ، تدور ببطء على يسارنا .

كان بحوزتها كاميرا رقمية وقد شرعت بالفعل فى التقاط صور لنا ، لعائلتى . صورة لنانا وهى تواجه ترسكوت .

أحطت الأولاد موارياً لهم قدر طاقتى ، ثم اشتعلت غضباً على جيمس ترسكوت . قلت : " كيف تجرؤ على تصوير أولادى هكذا ، والآن فلتبتعد حالاً أنت وصديقتك عن هنا . امض " .

رفع ترسكوت يديه فوق رأسه ، ابتسم بخبث ، وراح يتراجع قائلاً :

" إن لى حقوقاً مثلك تماماً يا د. كروس . وهذه الفتاة ليست صديقتى على الإطلاق ، بل هى زميلة . فالأمر كله من أجل العمل . من أجل قصة صحافية " .

قلت : " تتحدث عن الحقوق ؟ حسناً ، ابتعد عن هنا وكفاك . هذا الصبى الصغير فى عمر الثالثة فقط . لا أريد لأسرتى أن تكون مادة قصة صحافية ، لا حالياً ولا فى أى وقت قادم " .

الفصل ٧

حاولنا جميعنا أن ننسى أمر جيمس ترسكوت ومصورته بعد قليل من الوقت . وقد نجحنا في ذلك أيضاً . وبعد ركوب ما لا يحصى من الألعاب المختلفة ، شهدنا عرضاً حياً بطولة ميكى ماوس ، وثعابين ، وشخصيات كرنفالية بلا حصر ، ثم جرؤت على أن أقترح أن نعود للفندق .

سألنى ديمون باسماً : " لكى نذهب إلى حمام السباحة الذى هناك ؟ " وكنا قد لمحنا حمام السباحة الشديد الضخامة الذى تبلغ سعته خمسة آلاف قدم ونحن ذاهبون لتناول إفطارنا فى الصباح الباكر .

عندما وصلت لمكتب الاستقبال بالفندق وجدت رسالة فى انتظارى ، وهو ما كنت أتوقعه . إنها التحرية " جميلة هيوز " من نقطة شرطة سان فرانسيسكو ، وهى الآن فى البلدة وتحتاج لمقابلتى بأسرع ما يمكن ، كما تقول الرسالة المقتضبة . مما يعنى أن أتحرك بسرعة .

نظرت مبتسماً فى ندم إلى الأولاد فى حمام السباحة ، وفكرت فى مغادرتى لهم ، إننى فى عطلة أنا أيضاً على كل حال .

قالت جانى بسخرية ودودة : " اذهب واقض على الأشرار يا أبى " .

رفع ديمون إبهامه علامة على التأييد قائلاً وهو يبتسم من وراء العدستين الغائمتين لقناع الغطس : " إنها جميلة ، أليس كذلك ؟ "

قطعت الطريق من فندق ديزنى لاند إلى فندق جراند كاليفورنيا ، حيث سأقابل التحرية جميلة . كان هذا المكان يتسم بالطابع الأمريكى العتيق وكان أكر هدوءاً من الفندق الذى نقيم فيه .

عبرت من خلال أبواب زجاجية إلى ردهة استقبال شاهقة . كانت ألواح الخشب الأحمر تغطى الجدران بارتفاع ستة طوابق ، وقد أضىء الطابق السفلى بالمصابيح خافتة الإضاءة وقد توسطته مدفأة حجرية هائلة الحجم .

لم أكد ألحظ هذا كله ، على الرغم من ذلك . كنت بالفعل منشغل البال بجميلة هيوز التى أنا على وشك مقابلتها .

يا للعجب ـ ألست فى عطلة ؟

الفصل ٨

قابلتنى جميلة بالتحية عند باب المطعم الذى يقع فى أحد الطوابق العليا بالفندق ، وكانت ترتدى قميصاً وردى اللون وجونلة سوداء وحذاء عالى الكعبين جعلها تبدو فى نفس مستوى طولى ، وكانت رائعة الجمال ولم يبد عليها مظهر الشرطية التى تعمل فى قسم جرائم القتل .

قالت لى : " لقد وصلت لتوى " .

فهمست لها وأنا أقبل يدها : " لقد جئت فى الوقت المناسب " . لقد كانت رؤية جميلة بالنسبة لى تعد بمثابة العودة إلى حضن الوطن ، وأخذت أتساءل عما سيؤدى له لقاؤنا هذا ولكننى منعت نفسى ، فقط دع الأمور تتخذ مجراها الطبيعى يا آلكس .

همست فى أذنى قائلة : " أشكرك على الزهزر ، كل الزهور ، إنها رائعة الجمال ، أعلم ، أعلم ، ليس بالطبع فى مثل جمالى " .

فضحكت عالياً وقلت : " هذا صحيح " .

أمكننى أن أرى من ورائها باقة الزهور الخاصة بالفندق ، لقد قام هارولد لارسون بخدمة ممتازة من أجلى . بتلات الورد كانت موزعة فى

حوض بألوان الأحمر والأصفر المشمشى والأبيض . كنت أعرف بوجود دستة من سيقان الأزهار الطويلة على المنضدة الجانبية ، واثنتين أو ثلاث من الأسطوانات المنتقاة بعناية ـ مختارات لأفضل أغنيات آل جرين ، لوتر انجرام ، Tears of joy لـ " تاك وباتى " ، وبعض أوائل ما غنت آلبرتا هنتر .

قالت جميلة : " أحسب أنك افتقدتنى حقاً " .

وفجأة ، صرنا نحن الاثنين فى عناق طويل ، وقبلت وجنتها وغنيت لها هامساً : " إذا كان حبى لك خطأ ، فلا أرغب فى أن أكون صائباً أبداً " .

ابتسمت جميلة قائلة : "حبك لى ليس خطأ " .

وأخذنا نرقص على أنغام الموسيقى الهادئة .

وسألتها بينما كنا نرقص : " كيف تفعلين هذا بالكعب العالى ؟ "

قالت : " إن هذا الأمر لا يستطيع القيام به سوى امرأة " .

بعد ذلك وخلال برهة من الوقت ، لم يكن هناك الكثير من الكلام . دائماً ما ظهر أننى وجميلة نعرف ما يفكر فيه الآخر على كل حال ـ ولا حاجة بنا للحديث فى أوقات بعينها . ولقد اشتقت إليها ، أكثر حتى مما كنت أظن .

أمسكت وجهها بكلتا يدى أتأمل جمالها وشعرت وكأنها تقرأ أفكارى . ابتسمت هى ، متابعة باستمتاع الكلام الذى لم أنطق به . همست فى النهاية : " أهكذا هو الأمر ؟ وطرفت عيناها . لقد تقاسمنا مزحة قراءة الأفكار قبل ذلك .

أخذنا نرقص حتى لم يكد أى منا يستطيع الوقوف ، فجلسنا وتناولنا غداءنا على أضواء الشموع كل منا بصحبة الآخر .

ثم قالت في النهاية : " سوف تكون متعباً بشدة ولن تقدر على ركوب الألعاب في الغد " .

قلت : " بمناسبة الركوب .... " .

بدأت تضحك : " وعود وكلام " .

" لكنني أفي بكلامي دائماً " .

الفصل ٩

لم أعد أتذكر متى توقفت أنا وجميلة عن الرقص في تلك الظهيرة ، لكنني انتبهت على صوت جهاز النداء الآلي . وهو جهاز جديد أحضرته خصيصاً من أجل هذه الرحلة ، فلا يعرف الرقم إلا قلة قليلة من الأشخاص ـ جون سامبسون ، مساعد المدير بيرنز ، وتوني وودز . هل شخصان بالعدد الكثير جداً ؟ ماذا هنالك الآن ؟

تنهدت قائلاً : " إنني آسف ، آسف يا جميلة . لم أتوقع هذا . لستُ مضطراً للرد عليه " . قلت العبارة الأخيرة غير جاد جدية تامة . وكان كلانا يدرك هذا .

هزت جميلة رأسها قائلة : " سأفشي لك سراً صغيراً : لقد أحضرت جهازي معي هنا ، وهو في حقيبتي . هيا يا آلكس ، أجب على الاتصال " . نعم ، أجب على الاتصال .

وبالفعل كان هو مكتب المدير يتصل من واشنطون العاصمة . التقطت سماعة الهاتف في مكتب الاستقبال بالفندق وطلبت الرقم . نظرت أخيراً

إلى ساعة يدى ـ إنها الرابعة بعد الظهيرة . لقد تطاير النهار على جناح السرعة ، وهو ما كان أمراً طيباً بشكل ما . حتى الآن على كل حال .

قلت لجميلة ممسكاً بالسماعة : " إنه رون بيرنز . لا يمكن أن يكون خيراً . لابد أنه خبر سيئ " .

أومأت برأسها . إن اتصالاً من قمة الهرم الوظيفى معناه نوع من الشئون الخطرة والعاجلة . وأياً كان هذا الشأن فلست أرغب فى السماع به الآن .

رد علىَّ رون بيرنز بنفسه . سيسوء الحال فى غضون ثانية . قال : " آلكس ؟ أهذا أنت ؟ "

تنهدت قائلاً : " نعم يا سيدى " . لم يكن هناك سواى ، وجميلة ، وأنتم .

" أقدر لك استجابتك للنداء . وآسف على إزعاجك . أعرف أنه مر وقت منذ أن قمت بآخر عطلة حقيقية لك " . لم يكن يعلم الأمر على حقيقته ، ولكننى بقيت هادئاً منصتاً لما يقوله المدير .

" آلكس ، هناك قضية شائكة فى لوس أنجلوس . وغالباً ما سأرسلك للاضطلاع بها على أية حال . لعله من حسن الحظ وجودك بكاليفورنيا مصادفة . بالطبع مفهوم نسبى . "

هززت رأسى للخلف والأمام . إن هذا لا يبشر بأى خير .

" ما القضية ؟ ولماذا يكون من حسن الحظ أننى هنا ؟ "

" هل سمعت عن آنتونيا شيفمان ؟ "

أثار هذا اهتمامى بدرجة طفيفة . قلت : " الممثلة ؟ طبعاً " .

" لقد قُتلت هذا الصباح ، هى وسائق سيارتها الليموزين . لقد وقع هذا أمام منزلها تماماً . كانت أسرتها نائمة بالداخل " .

سألته : " وبقية أفراد الأسرة ـ هل هم بخير ؟ "

" لم يصب أى فرد آخر بسوء يا آلكس . الممثلة وسائقها فقط " .

تشوش عقلى قليلاً : " لكن لماذا يتدخل مكتبنا فى هذا ؟

هل طلبت شرطة لوس أنجلوس الاستشارة والنصح منا ؟ "

" ليس بالضبط " . توقف بيرنز لبرهة : " إذا لم تكن تمانع ، أرجوك أن تجعل هذا بيننا نحن الاثنين فقط ، كانت آنتونيا شيفمان من بين أصدقاء الرئيس ، وكانت صديقة حميمة لحرم الرئيس . ولقد طلب الرئيس تعاوننا فى العمل على تحقيقات جريمة القتل " .

" آه ! " وهكذا أرى أن رون بيرنز غير محصن تماماً ضد واشنطون وضغوط الرئاسة كما كنت أحسب . وبرغم هذا ، فقد كان وجوده فى مكتب التحقيقات الفيدرالية هو أفضل ما حدث لنا على مدى الفترة الوجيزة منذ توليتى لمنصبى . وبالطبع قدمت له بعض الأمور الطيبة بالمقابل كذلك .

" آلكس ، كل ما عليك هو إلقاء نظرة سريعة على هذه المسألة . سأقدر لك هذا حقاً . ستكون وسط أسرتك على موعد العشاء . عشاء متأخر على أية حال . قم بتفقد موقع الجريمة وحسب من أجل خاطرى . أريد أن أسمع تعليقك أنت على ما جرى . لقد أعلمتهم بالأمر ، وهم ينتظرونك هناك " .

أنهيت المكالمة وألقيت نظرة نحو جميلة وقلت لها : " حسناً ، النبأ السار أننى لن أطير مغادراً المدينة . فهو شىء ما حدث فى لوس أنجلوس . لقد قتلت الممثلة آنتونيا شيفمان اليوم " .

جلست إلى جوارى على طاولة الطعام مرة أخرى : " آه ، هذا فظيع يا آلكس . كم أحببت أفلامها . لقد بدت إنسانه ظريفة دائماً . ياله من عار حقاً ! لا بأس ، على الأقل سوف تتاح لى فرصة النميمة قليلاً مع نانا والأولاد بينما أنت لا تسمعنا " .

" سألتقى بكم جميعاً هنا على العشاء . وقد يكون فى وقت متأخر قليلاً " .

" لن تقلع طائرتى قبل الحادية عشرة يا آلكس . ولكننى لا أريد أن ألحقها فى اللحظة الأخيرة " .

قبلتها ، بشيء من الخجل ، خجل من مطاوعتى لبيرنز ، ولكن ماذا كان بوسعى أن أفعل غير هذا ؟

قالت : " هيا ، اذهب لتجعل كاليفورنيا مكاناً أكثر أمناً ، سأحرص على مراقبة ميكى ماوس والبطة دونالد لأتأكد من عدم قيامهما بأفعال شائنة ! " .

يا لها من فكرة !

الفصل ١٠

قاد الراوى سيارته بالقرب من موقع قتل الممثلة شيفمان ، لدى مسرح الجريمة . كان يعلم أنه لا ينبغى له المجيء إلى هنا مرة أخرى ، لكنه لم يستطع منع نفسه . وقد رأى بشكل ما أن مجيئه قد يكون فكرة جيدة . وهكذا أوقف سيارته وخرج منها ليلقى نظرة .

يالها من فوضى غير معقولة أسفر عنها الأمر ! كان يعرف المنزل ، يعرف الحى السكنى الفاخر فى بيفرلى هيلز - مكان خرافى . وفجأة لم يستطع التقاط أنفاسه ، راق له الشعور بالخطر ، الشعور بأن " أى شيء قد يحدث الآن ! " وهذا صحيح بلا شك . فقد كان هو راوى الحكاية على أية حال .

كان رجال الصحافة والإعلام منتشرين فى كل الأنحاء ، جنباً إلى جنب مع رجال مكتب شرطة لوس أنجلوس بطبيعة الحال ، بل وبعض من كبار المسئولين بالشرطة ، كان عليه أن يركن سيارته على بعد ربع ميل تقريباً . كان هذا حسناً منه - أكثر ذكاءً ، وأكثر أماناً . بعد مرور دقيقة أو ما يقاربها ، انضم إلى حشد المعجبين والمحزونين الآخرين الذين

بدا وكأنهم يزورون المزار المكرم حيث انتقلت روح آنتونيا المسكينة إلى الرفيق الأعلى هذا الصباح .

مر زوجان شابان ، يتأبط كل منهما ذراع الآخر ، وقالاً : " لا يمكن تصديق هذا ! " ورأساهما محنيان كما لو أنهما حقاً فقدا شخصاً عزيزاً غالياً . ما بال هؤلاء الناس ؟ كيف يمكن لهم أن يكونوا أغبياء لهذا الحد ؟

أراد أن يقول لهما : أما أنا فيمكنني تصديق هذا . أولاً وضعت رصاصة فى رأسها ، ثم فجرت وجهها لدرجة أن أمها حتى لا يمكن لها أن تتعرف عليها . وصدقوا هذا أو لا تصدقوا ، فإن لجنونى منهجه الخاص . ثمة خطة كبرى ، وهذه الخطة قوامها الجمال .

لم يتحدث مع هؤلاء الباكين المحزونين المقرفين ، اكتفى بأن شق طريقه نحو الأبواب اللؤلؤية لمنزل شيفمان . توقف هناك فى احترام بين الآخرين ـ كانوا حوالى مائتى من المعزين . لقد بدأ العرض الهامشى لبيفرلى هيلز لتوه ، إنه تسخين وحسب حتى الآن .

فلتخمنوا ماذا هناك ، إنها قصة ضخمة حقاً . ولا أحد من أولئك الصحافيين والمذيعين يعرفون القصة الحقيقية . وليست لديهم أية فكرة عن آنتونيا ، ولا عن مصرعها .

سمع من يقول له : " مرحى يا رجل ، كيف حالك ؟ " . تجمد الرواى ثم استدار ببطه ليرى من كان يتحدث إليه .

لقد تعرف على وجه الرجل ، لكنه لم يعرف تحديداً من كان هو . أين التقيت بهذا الأحمق من قبل ؟

قال رواى الحكاية ، مدركاً أنه يغمغم ويدمدم قليلاً فى كلامه : " يا إلهى ، لقد كنت ماراً من هنا فحسب . وسمعت ما حدث فى الإذاعة . لذا توقفت لأبدى احتراماتى ، أو لأبدى أى شيء والسلام ، يا للعار ، إنها مأساة ، أليس كذلك ؟ إنه عالم مجنون ها هنا ، لن تدرك أبداً مدى جنونه " .

قال الرجل الآخر : " لا ، لن ندرك أبداً ذلك . من ذا الذى يرغب فى قتل آنتونيا شيفمان ؟ أى معتوه هو ؟ أى مخبول هو ؟ "

قال راوى الحكاية : " إنه هنا فى لوس أنجلوس . قد يكون أى شخص منا ، أليس كذلك ؟ "

الفصل ١١

بعد مرور ربع ساعة على مكالمة واشنطون ، كانت تنتظرنى سيارة من نوع جراند ماركيز أمام فندق ديزنى لاند . هززت رأسى شاعراً بخيبة أمل ، وغضب كذلك ـ فقد أضاف هذا إلى ضيقى مساحة جديدة .

بجوار السيارة وقف أحد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية مرتدياً سروالاً كاكياً ضيقاً وقميصاً قطنياً باهت الزرقة من قمصان البولو . حيث بدا وكأنه يستعد للعب مباراة جولف فى نادى مدينة لوس أنجلوس . كانت مصافحته قوية ، ومتلهفة قليلاً .

قال : " أنا العميل الخاص كارل بيج . إننى سعيد حقاً بلقاء سيادتك يا د. كروس . لقد قرأت كتابك أكثر من مرة " .

لابد أنه تخرج منذ فترة قصيرة فى أكاديمية كوانتيكو كما يبدو من هيئته . من حيث لون بشرته الذى يميل إلى السمرة والذى يميز سكان كاليفورنيا وقصة شعره التى تدل على إنه من أبناء البلدة . لعله فى منتصف العشرينيات من عمره . رجل مجتهد ومتحمس بالطبع .

قلت : " شكراً لك . إلى أين نحن متجهان بالضبط ؟ "

زم بيج شفتيه فجأة وأومأ برأسه . قد يكون محرجاً لأنه لم يجب عن سؤالى هذا قبل أن أطرحه عليه . ثم بدأ يتحدث من جديد : " نعم بالطبع . إننا ذاهبان إلى بيفرلى هيلز يا د. كروس . إلى مسرح الجريمة حيث عاشت الضحية " .

قلت بنبرة إشفاق : " آنتونيا شيفمان ؟ "

" بالضبط ، فهل ... هل تم إعلامك بالأمر إجمالاً ؟ "

" فى الحقيقة كلا . لم يتم إعلامى على أتم نحو فى كل الأحوال . ما رأيك فى أن تخبرنى بما تعرفه فى طريقنا إلى المنزل ؟ إننى أريد سماع كل شيء " .

استدار نحو السيارة وكأنه سيفتح لى الباب ، لكنه تراجع عن هذه الفكرة ، ودلف على مقعد السائق . دخلت إلى المقعد الخلفى ، وما إن صرنا على الطريق ، حتى بدأ بيج يتخفف من توتره قليلاً فيما يحكى لى حول القضية .

" لقد أسموها بقضية " مارى سميث " . ذلك لأن هناك رسالة إليكترونية من امرأة تدعى مارى سميث أرسلت إلى محرر الفنون والترفيه بصحيفة إل . إيه . تايمز الأسبوع الماضى ، تعرب عن مسئوليتها عن جريمة القتل الأولى " .

أظن أن عينىّ شابهما الحول وأنا أسمع هذا . قلت : " مهلاً . هل تم إعطاء اسم لهذه القضية بالفعل ؟ "

" نعم سيدى " .

سألته وأنا ألحظ نبرة التوتر التى غشيت صوتى : " فهى إذن ليست قضية منفردة ، إنها جزء من كل ؟ " فهل يمكن أن يكون بيرنز قد غرر بى وأخفى عنى تلك المعلومة ، أم أنه هو نفسه لا يعلم ؟

قال بيج : " بلى . هذه على الأقل هى الجريمة الثانية يا د. كروس . وقد يكون هناك نوع من الطقوس المتكررة يؤديها الشخص نفسه فى كلا موقعى الجريمة . كما أننا نعتقد أن القاتل امرأة ، وهو ما يجعل الأمر غريباً جداً " .

وهكذا فقد كان لدى بيج معلومة أو اثنتان . فى هذه الأثناء لم أستطع إلا أن أشعر بأننى تم التلاعب بى من قبل بيرنز . لماذا لم يخبرنى بالحقيقة وحسب ؟ كنا بالكاد خرجنا من نطاق مدينة ديزنى لاند ، وها هى هذه الجريمة تبدو أكثر تعقيداً بكثير مما أظهره لى بيرنز .

قلت من بين أسنانى : " السافل ! " . لقد سئمت التلاعب بى ، وقد أكون سئمت العمل فى المكتب على العموم . ولكن ربما أكون فى مزاج سيئ وحسب لأنهم انتزعونى من عطلتى .

قال بيج متوتراً : " أهنالك مشكلة ؟ "

كان من السهل علىّ أن أنفس عن غيظى بالتحدث قليلاً مع بيج ، لكننى لم أكن بعد مستعداً لعقد أية صداقة جديدة مع العميل بيج بعد ، وكان كل همى هو الانسلال من هذه القضية بأقل قدر ممكن من الخسارة .

قلت : " ما من مشكلة كبرى . لا شيء يتعلق بك على أية حال . دعنا نذهب إلى مسرح الجريمة . يُفترض بى أن ألقى نظرة سريعة وكفى " .

" حاضر سيدى " .

نظرت نحو عينى بيج الزرقاوين فى مرآة السيارة العاكسة . وقلت له : " ليس عليك أن تقول لى " حاضر سيدى " فأنا لستُ رب عملك " . ثم ابتسمت ابتسامة واسعة ، لكى أوضح له أنها مجرد مزحة .

الفصل ١٢

فلنتأمل الأمر مجدداً ... طلب الرئيس العون من مكتبنا .... إننى أريد أن أسمع رأيك فيما حدث . ها .. رأيى ؟ أى سخرية ؟ هذا هو رأيى ، لقد تم استغلالى وهذا لا يروق لى . كما أننى أكره أن أتذمر شاكياً على هذا النحو .

انتهجنا طريق سانتا آنا السريع نحو وسط مدينة لوس أنجلوس ، ثم طريق هوليود السريع عائدين مرة أخرى . كان العميل بيج يقود السيارة بشكل تلقائى عنيف ، قاطعاً الطريق على السيارات الأخرى المرة تلو الأخرى . حتى أن أحد رجال الأعمال الذى يتحدث فى هاتفه الخلوى أخرج يده الأخرى بعيداً عن عجلة القيادة ليشير لنا إشارة تدل على الغضب .

بدا أن بيج غير واعٍ بهذا كله فأسرع نحو الجهة الجنوبية ، وأخبرنى بالمزيد بما يعلمه عن الجريمة المزدوجة البشعة .

أطلق النار على كل من أنتونيا شيفمان وسائقها برونو كاباليتى فى وقت ما بين الرابعة والخامسة والنصف صباحاً . اكتشف بستانى جثتيهما

حوالى السابعة والربع صباحاً ، حيث تمزق وجه شيفمان الجميل بشفرة حادة من نوع ما .

من الواضح أنه لم يتم الاستيلاء على أية نقود أو أشياء أخرى ذات قيمة . فقد عُثر فى جيب برونو كاباليتى على مائتى دولار تقريباً ، وكانت حقيبة يد شيفمان لا تزال بجوار جثتها فى السيارة . وكان بها بطاقات ائتمان ، وأقراط ماسية ، والمزيد من النقود .

سألت : " هل كانت هناك أية علاقة سابقة بين الاثنين ؟ أقصد بين شيفمان وسائق السيارة ؟ ما الذى تعلمه بشأنهما ؟ "

" الفيلم الوحيد الذى عمل كاباليتى فيه معها كان فيلم Banner Season ، لكنه كان قائد سيارة جيف بريدجز فى هذا الفيلم . مازلنا نتحرى عن السائق مع ذلك . هل سبق أن شاهدت فيلم Banner Season ؟ "

" لا ، لم أشاهده . ما مدى ازدحام مسرح الجريمة ؟ هناك رجالنا ، ورجال مكتب مباحث لوس أنجلوس ، والإعلام ؟ هل هناك أى شيء آخر تنبغى لى معرفته قبل أن نصل ؟ "

اعترف بيج قائلاً : " الحق أنى لم أذهب إلى هناك حتى الآن ، لكن الزحام غالباً ما سيكون خارقاً للتوقعات . أقصد أنها آنتونيا شيفمان ، تعرف هذا ؟ لقد كانت ممثلة جيدة حقاً . وغالباً ما كانت سيدة لطيفة " .

" نعم كانت كذلك ، يا للخسارة " .

قال بيج ، الذى اتضح أنه يميل إلى الاستعراض بمعلوماته : " كان لديها أبناء أيضاً . أربع فتيات صغيرات : آندى ، إليزابيث ، تيا ، وبترا . "

بعدها ببرهة قصيرة ، كنا قد انتهينا من الطريق السريع ، وبدأنا نقود متجهين غرباً وأمامنا تغرب الشمس . وبينما يتغير أفق المدينة من وسط هوليود الصاخب كمدينة إلى الخضرة الزاهية فى شوارع بيفرلى هيلز السكنية ، وصفوف أشجار النخيل التى أطلت علينا من عليائها ، كما لو أنها تنظر إلينا باستعلاء ، استدرنا بعكس غروب الشمس وقدنا السيارة

باتجاه حى ميللر ، قيادة مسرعة ، ومناظر رائعة للمدينة تتوارى خلفنا . إلى أن توقف بيج بالسيارة فى أحد الشوارع الجانبية .

كانت شاحنات التلفاز والإذاعة متناثرة فى كل موضع . امتدت الأقمار الصناعية الخاصة بهم فى الهواء كتماثيل هائلة الحجم . وبينما اقتربنا رحت ألحظ شبكات السى إن إن ، والكى تى إل . إيه ، والكى أى إس آر انترتاينمنت ٩٨٠٧ ، وانترتاينمنت تونايت . وقد توقف بعض المراسلين فى مواجهة الكاميرا وأعطوا ظهورهم للمبنى ، ليؤكدوا أنهم فى بث مباشر من لوس أنجلوس . والشبكات تبث . ياله من سيرك . لماذا إذن يحتم علىّ أن أكون هنا أيضاً ؟ ألا يفترض بى أن أكون فى ديزنى لاند ؟ وهى سيرك ألطف وأعذب .

لم يتعرف علىّ أحد من رجال الإعلام المبثوثين ، وهو اختلاف منعش عن واشنطن العاصمة . شققت طريقى أنا والعميل بيج عبر الحشد إلى حيث وقف شرطيان بزيهما الرسمى كحراس . أمعنا النظر فى أوراق هوياتنا .

قال بيج : " هذا د. آلكس كروس " .

قال أحد الحارسين : " وبناء عليه ؟ "

لم أنطق بكلمة . لم تبد لى عبارة " وبناء عليه ؟ " جواباً لائقاً .

سمح لنا الحراس أخيراً بالمرور ، ولكن قبل ذلك لاحظت أمراً أثار غثيانى . إنه جيمس ترسكوت بشعره الأحمر المتهدل ، يقف وسط حشد الصحافيين والمراسلين . وكذلك مصورته تلك ، نفس المرأة فى ثيابها السوداء تماماً . رآنى ترسكوت كما رأيته ولاحت ابتسامة على شفتيه .

كان يدون الملاحظات .

وكانت المصورة تلتقط صوراً لى .

الفصل ١٣

كنت أردد اللعنات بصوت خفيض بينما كنت أنا وبيج نسير فى ممشى السيارات الدائرى الطويل المفروش بالحصى الأبيض . إن كلمة قصر صغير هى الملائمة لوصف هذا المكان ، بناية ذات طابقين على الطراز الأسبانى . تعترض المنظر أوراق شجر كثيفة من الجوانب كافة بعد الواجهة ، لكن مساحة المنزل نفسه لا تقل عن عشرين ألف قدم مربع ، وغالباً أكثر . من الذى يحتاج إلى هذه المساحة كلها ليعيش بها ؟ إن مساحة منزلنا فى واشنطن العاصمة أقل من ثلاثة ألف قدم ، وهى مساحة تكفينا جميعاً .

أحاطت بالطابق الثانى سلسلة من الشرفات . بعض منها يطل على ممشى السيارات ، حيث كانت تقف الليموزين السوداء محاطة بالشريط الأصفر المعهود فى مواقع الجرائم .

هنا لقيت آنتونيا شيفمان وبرونو كاباليتى حتفهما .

تم تطويق المنطقة المحيطة بالليموزين لتكون دائرة خالية لها فتحة واحدة فقط للدخول والخروج . وكان هناك ضابطان آخران من مكتب شرطة لوس أنجلوس عكفا على تدوين أسماء كل من يدخل ويخرج .

وكان يدور حول السيارة جماعة من التقنيين بمعاطفهم البيضاء ومعهم ميكروسكوب محمول وحاويات لجمع الأدلة . وآخرون يلتقطون صورا بالكاميرا العادية وكذلك بالكاميرا التى تنتج الصور فورياً .

وفرقة كاملة أخرى قد انتشرت بالفعل هنا وهناك ، تأخذ عينات من المنطقة المحيطة . كان الوضع مؤثراً بما يكفى ، كما كان محبطاً كذلك . إن أفضل قسم للطب الشرعى يفترض أن يكون التابع لشرطة طوكيو . أما على المستوى المحلى فإنه ليس هناك إلا مكتبا لوس أنجلوس ونيويورك الوحيدان اللذان يمكن أن ينافسا مصادر مكتب المباحث الفيدرالية .

قال بيج : " أظن أننا محظوظان ، إذ يبدو أن رجال الفحص الجنائى قد أوشكوا على الانتهاء من عملهم " . أشار نحو إحدى متخصصات الفحص الجنائى ، وهى امرأة مكتنزة رمادية الشعر تقف إلى جوار الليموزين وتتكلم فى مسجلها المحمول .

هذا يعنى أن الجثث لم تنقل بعد . كنت متفاجئاً ، لكنه نبأ سار بالنسبة لى . كلما كان مسرح الجريمة على حالته ، زاد ما يمكننى الحصول عليه من معلومات لأجل بيرنز والرئيس وحرمه . خمنت سر عدم نقل الجثث : كان الموتى بانتظارى . استدرت نحو بيج وقلت له : " فلتخبر أى شخص مسئول هنا من مكتب شركة لوس أنجلوس بضرورة عدم تحريك أى شيء . أرغب فى أن ألقى نظرة واضحة . وحاولوا التخلص من بعض هؤلاء الواقفين من هنا ، أبقوا على الضروريين وحسب مثل جامعى العينات والطابعات ، وهذا كل ما هنالك . وليأخذ جميع الآخرين استراحة " .

ولأول مرة هذا الصباح ، يتوقف بيج لبرهة قبل أن يجيبنى . فلم يكن رأى قبل ذلك هذا الجانب العملى الشديد لشخصيتى . ليس الأمر هو أننى ألقى بثقلى كله دفعة واحدة ، ولكن يتحتم علىَّ الآن استغلال هذا الثقل . فما من سبيل آخر أمامى حتى أتمكن من القيام بعمل ملائم وسط كل هذه الفوضى والارتباك .

قلت له : " آه ، هناك أمر آخر يجب أن تبلغ به المسئول هنا أياً كان " .

استدار بيج قائلاً : " وما هو ؟ "

" أخبره أنه مادمت أنا هنا ، فإننى المسئول عن كل شيء " .

الفصل ١٤

مازلتُ أسمع صوت المدير بيرنز فى رأسى . **أريد أن أسمع رأيك فيما جرى .... سنعيدك لتتناول العشاء مع أسرتك .**

لكن هل ستكون لدىّ شهية للطعام بعد هذا ؟

كانت السيارة الليموزين نتنة الرائحة تماماً ، بهاتين الجثتين اللتين لا تزالان بداخلها . إحدى أفضل الحيل التى تعلمتها هى الانتهاء من الأمر فى غضون ثلاث دقائق ، أى قبل أن تصاب أعصاب حاسة الشم لدىّ بالتخدر . وعندئذ أكون على ما يرام . كان علىّ أن أخوض غمار تلك الدقائق الثلاث لكى أدرك أننى عدت مجدداً للعمل فى جرائم القتل .

ركزتُ ، ورحت ألتقط التفاصيل المريعة واحدة بعد الأخرى . جاء أولاً الأمر الصادم الذى لم أكن مستعداً له ، وحتى على الرغم من أننى كنت أعلم أنه وشيك .

كان وجه آنتونيا شيفمان يكاد لا يمكن التعرف عليه تماماً . وكان جزء من الجانب الأيسر له قد اختفى تماماً حيث أصيبت بطلقة ، وغالباً من مكان قريب . أما المتبقى من لحم الوجه ـ العين اليمنى ، والوجنة ،

وفمها ـ فقد تم تمزيقه عدة مرات . لقد أصيبت القاتلة ، مارى سميث ، بنوبة غضب عارمة ـ لكن هذه النوبة كانت ضد آنتونيا شيفمان وحسب ، وليس السائق ، أو هكذا يبدو الأمر .

ظهر أن ملابس المثلة كما هى لم تُمس . وما من إشارة إلى أى اعتداء جنسى . ولا علامة على نزف دم من فتحات الأنف أو من الفم ، مما يعنى أنها توفيت وتوقفت عن التنفس على الفور تقريباً . من ذا الذى يقدم على مثل هذا الهجوم العنيف ؟ ولماذا آنتونيا شيفمان ؟ فقد كانت تبدو كإنسانة دمثة ، ولا تنشر عنها الصحف إلا كل خير . يحبها الجميع ، وهذا وفقاً لما يتحدث به الجميع . إذن ما تفسير هذه المذبحة وهذا الانتهاك لحرمة منزلها ؟

ظهر العميل بيج وانحنى من خلف كتفى . قال : " ما معنى هذا التمزيق للوجه فى ظن سيادتك ؟ نوع من الإشارة إلى جراحة تجميلية ربما ؟ "

أطاح العميل الشاب بكل إشارة واضحة أو غير واضحة تعنى أننى بحاجة للانفراد بنفسى الآن ، لكننى لم أتجرأ على تخييب ظنه بى .

قلتُ له : " لا أحسب هذا . لكنى لا أرغب فى اللجوء إلى الظنون قبل الأوان . سنعرف المزيد بعد أن تتعرض الجثة للفحص ويتم تنظيفها . والآن ، اسمح لى بمتابعة عملى رجاءً يا بيج " . تغطى وجه المثلة الممزق بدم جاف له لون بنى . يا للخسارة الرهيبة . ماذا يُفترض بى تحديداً أن أبلغ به الرئيس عما شاهدت ها هنا ، حول ما جرى لصديقته ؟

كان السائق ، برونو كابالیتی ، مازال مستنداً إلى عجلة القيادة . اخترقت رصاصة واحدة صدغه الأيسر ثم فجرت جل رأسه . كان المقعد المجاور له والخالى ملطخاً بالدم ، أغلب الظن أنها دماؤه هو وليست دماء القاتل ، والذى من الواضح أنه أطلق النار على آنتونيا شيفمان من المقعد المجاور للساق ، وقد كان يوجد قدر ضئيل من مخدر الكوكايين فى جيب معطف السائق . فهل لهذا أى معنى ؟ غالباً كلا ، ولكنى لم أستطع التوصل إلى أى استنتاج بعد .

فى النهاية ، خرجت من الليموزين وابتعدت عنها وتنفست الهواء الطلق ملء صدرى . قلت محدثاً نفسى وليس أى شخص آخر : " هناك عدم ترابط غريب فى هذا الأمر " .

تساءل بيج : " الأمر متقن ومرتبك معاً ؟ وهو فى نطاق السيطرة وخارج عن السيطرة كذلك " .

نظرتُ نحوه ، ولويت فمى على نحو يشابه الابتسام . أدهشتنى الفكرة قليلاً . " بلى ، صحيح تماماً " . لقد تم ترتيب وضع الجثتين بداخل السيارة على ما يرام . لكن إطلاق الرصاص ، وخاصة القطوع فى وجه شيفمان تتسم بالغضب والعشوائية .

كان هناك كذلك بطاقة اتصال وصف من ملصقات الأطفال ملصوقة على باب السيارة تعرض صوراً لامعة وبراقة الألوان للفرس وحيد القرن وأقواس قزح . ظهر النوع ذاته من الملصقات فى مسرح جريمة الأسبوع الماضى . كان كل ملصق منها مميزاً بحرف كبير ، اثنان منها بحرف (أ) ، وواحد بحرف (ب) . ماذا يعنى هذا كله ؟

أخبرنى بيج فى عجالة بشأن القضية المصاحبة لقضيتنا هذه . إنها امرأة أخرى تعمل فى مجال الأفلام ، تسمى باتسى بينيت ، مديرة إنتاج ناجحة ، لقيت مصرعها بالرصاص فى دار عرض بويستوود قبل ستة أيام . لم يكن هناك شهود . وكانت بينيت هى الضحية الوحيدة يومها ، ولم يكن هناك تمزيق بالسكين . لكن الملصقات فى ذلك الموقع كانت تعرض حروف الألف وحرف الباء .

أياً كان من يقوم بهذا فقد أراد بلا شك أن يعلن مسئوليته عن الاغتيالات . لم تكن جرائم القتل مرتجلة ، لكن أساليب الفاعل تتميز بالحيوية . وهى تتطور بالطبع .

تساءل بيج قائلاً : " فيم تفكر ؟ هل تمانع أن أسأل ؟ أم أننى أقطع عليك أفكارك ؟ "

وقبل أن أجيبه ، قاطعت كلينا عميلة أخرى . وللغرابة فقد كانت تشبه العميل بيج ، إلا أنها كانت تزيد عنه فى سمرة لون بشرتها وكان

شعرها أفتح ، الأمر الذى جعلنى أتساءل إذا كانا قريبين من أسرة واحدة .

قالت : " لقد تلقت صحيفة إل إيه تايمز رسالة إليكترونية أخرى موجهة إلى نفس المحرر آرنولد جرينر من مارى سميث نفسها " .

سألت : " هل نشرت الصحيفة شيئاً بخصوص هذه الإيميلات حتى الآن ؟ " فهز كل من العميلين رأسه بالنفى . فقلت : " هذا حسن . فلنحاول الإبقاء على هذا الوضع ، وأن نخفى أمر ملصقات الصغار تلك أيضاً ، إذا أمكننا ، وأمر حروف الألف وحرف الباء " .

نظرت نحو ساعة يدى . إنها الخامسة والنصف بالفعل . أحتاج إلى التواجد ساعة أخرى على الأقل فى ملكية شيفمان ، وبعدها أرغب فى التحدث مع آرنولد جرينر فى صحيفة تايمز . ولا جدال فى أننى ينبغى لى مقابلة رجال مكتب شرطة لوس أنجلوس قبل أن ينتهى هذا اليوم نفسه . غالباً ما كان جيمس تركسوت يتحرى عن المعلومات بالأنحاء هو الآخر . فى الديار بواشنطن العاصمة ، كم فوتُ من وجبات بصحبة أسرتى . وقد اعتادت نانا والأطفال هذا ، وجميلة تتفهم الوضع غالباً ، لكن هذا كله ليس مبرراً . فليس هناك وقت أنسب من الوقت الحالى لخرق أسوأ عادات حياتى : ألا وهى تفويت تناول العشاء بصحبة أسرتى .

لكن هذا لن يحدث ، أليس كذلك ؟ اتصلت بنانا بالفندق أولاً ، ثم اتصلت بجميلة . ثم ورد على خاطرى أهالى المسكينتين شيفمان وبينيت ، فعدت للعمل .

الجزء الثانى

أنا أحب لوس أنجلوس

الفصل ١٥

" **لِمَ أنا من وسط كل الناس** ؟ لماذا فى اعتقادك تُراها تبعث لى ؟ ليس لهذا أى مغزى . أليس كذلك ؟ هل توصلت إلى أى شىء يعطى مغزى لهذا ؟ الأمهات تُذبح ؟ سيعم عن قريب جنون شامل فى هوليود من وراء تلك الجرائم ، ثق بكلامى . وسينفضح السر القذر الصغير لمارى " .

ظل آرنولد جرينر يطرح علىّ الأسئلة ذاتها أكثر من مرة خلال المقابلة . جرى اللقاء فى مكتب له شكل الحرف " ل " من زجاج شفاف ومكشوف للأعين فى قلب صالة تحرير الأنباء بصحيفة إل إيه تايمز . يمتد ببقية الطابق المزيد من المكاتب والألواح التى تقسم المكان لأجزاء منفصلة .

وبين الفينة والأخرى ، كان يطل شخص ما برأسه أو رأسها من فوق لوح القيم الخاص به ، ليختلس نظرة سريعة علينا ، ثم يغطس من جديد للأسفل . أسمى جرينر هذا الفعل بالتلصص الطفولى ، ساخراً من نفسه .

كان يجلس على أريكة بنية من الجلد ، ويمسك بركبتيه من خلف سرواله الدوكرز الرمادى المجعد ثم يتركهما . ومن وقت لآخر ، يكتب

دون اعتناء شيئاً ما على صفحة فى جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به .

دارت المحادثة حتى الآن حول حياة جرينر السابقة : جامعة يال ، ثم الالتحاق للعمل التدريبى بمجلة فاريتى ، حيث كان ينسخ الوثائق لمحررى قسم الفنون هناك ويعد لهم أقداح القهوة . وسرعان ما اتخذ موقعه بين أفراد الفريق ، وحظى بالشهرة أيضاً حينما نجح فى عمل لقاء مع توم كروز سجله معه فى إحدى حفلات صناعة السينما . وقبل عامين عرضت عليه صحفية إل إيه تايمز عملاً ليكتب عموداً خاصاً به ، بعنوان " خلف الشاشة الفضية . " واكتسب فى المجال سمعة " الدخيل أو المتسلل " كما أخبرنى ، ليتصيد قصص هوليود الخفية ويعقد لقاءات " مستفزة " . كان من الواضح اعتداده البالغ بنفسه .

لم أستطع أن أتبين المزيد من الصلات ، ما بين جرينر وأى من الجريمتين ، إلا صلة مجال صناعة السينما . ومع ذلك فلم أكن مستعداً لأن أصدق أنه قد اختير بمحض المصادفة ليتلقى رسائل مارى سميث الإلكترونية .

كما لم يكن جرينر ميالاً للتصديق بذلك هو أيضاً . كان مشتت التركيز فى أنحاء المكان ، لكنه لم يتوقف عن إمطارى بالأسئلة منذ أن بدأنا .

جلست بالقرب منه فى نهاية الأمر . قلت له : " هلا استرخيت وهدأت رجاء يا سيد جرينر ؟ "

أجاب فى اندفاع : " كم يسهل عليك أن تقول هذا " .

وعلى الفور تقريباً قال : " آسف . إننى آسف . " ووضع إصبعين على جبهته وحك ما بين عينيه وقال : " إننى من اتسم بالعصبية والتوتر الدائمين ، وذلك منذ أن كنت صبياً يافعاً فى جرينويتش " .

لقد رأيت هذا النمط من رد الفعل ـ مزيج من جنون العظمة والاضطهاد والغضب الذى يستثيره عمى المرء عن الحقائق تماماً كما هى حال آرنولد جرينر . عندما عدت للتحدث مرة أخرى ، احتفظت بصوتى منخفضاً بما يكفى ليركز على سماعى وحسب .

" أعرف أنك فكرت فى هذا من قبل ،ولكن ألا تستطيع أن تفكر فى أى سبب لتلقيك تلك الرسائل ؟ دعنا نبدأ من أى اتصال سابق جرى بينك وبين باتسى بينيت وآنتونيا شيفمان ، أو حتى سائق الليموزين برونو كاباليتى " .

رفع كتفيه علامة على الحيرة ، وأدار عينيه فى محاولة يائسة لأن يلتقط أنفاسه . قال : " قد نكون حضرنا نفس الحفلات ، هذا على الأقل بالنسبة للمرأتين . ولا شك أننى كتبت عن أفلامهما . آخر فيلم كان يخص آنتونيا ، فيلم Canterbury Road ، ولم يعجبنى بالمرة ، من المؤسف أن أقول هذا ، لكن أعجبنى أداؤها فيه وكتبتُ هذا فى الموضوع ، هل تعتقد أن هذا قد يكون له صلة بالأمر ؟ فربما يكون القاتل يقرأ ما أكتبه . أقصد ، القاتلة ، أليس كذلك ؟ إن هذا غريب إلى حد بعيد . كيف يمكن لى أن أكون جزءاً من مخطط إجرامى مجنون ؟ "

وقبل أن أتمكن من قول أى شيء على الإطلاق ، ألقى بحفنة أخرى من أسئلته المتدافعة كطلقات الرصاص .

" هل تعتقد أن مقتل سائق آنتونيا كان أمراً عارضاً ؟ كما يبدو من الرسالة أنه كان مجرد صدفة عارضة " .

كان من الواضح أن جرينر متعطشاً للمعلومات ، سواء المعلومات الشخصية أو المهنية . لقد كان صحافياً فى نهاية المطاف . وله نفوذ معقول فى أوساط هوليود . لذا قدمت له جوابى الثابت للصحافيين .

" مازال الوقت مبكراً لتحديد هذا . ماذا عن باتسى بينيت ؟ "

سألته : " أتذكر آخر مرة كتبت فيها شيئاً حول واحد من أفلامها ؟ أو حول شيء من إنتاجها ؟ إنها مازالت تنتج أفلاماً من وقت لآخر . صحيح ؟ "

أومأ جرينر برأسه ، ثم تنهد بصوت مسموع ، تقريباً بشكل مسرحى .

" هل تظن أننى يجب أن أوقف كتابة عمودى حالياً ؟ أيجب علىّ هذا أم لا ؟ قد يحسن بى هذا " .

كانت المقابلة أشبه بمباراة فى لعبة تنس الطاولة يلعبها المرء مع صبى يعانى اضطراباً فى تركيز الانتباه . نجحت فى النهاية فى تلقى جواب على كل أسئلتى ، لكن هذا استلزم من الوقت تقريباً ضعف ما حسبته عند وصولى للصحيفة . كان جرينر بحاجة إلى تهدئة وتطمين باستمرار ، وحاولت أن أقدم له هذا دون أن أكون غير صريح معه . لقد كان عرضة للخطر ، على أى حال .

قبل أن أغادر ، قال جرينر : " أمر واحد أخير . أتظن أننى يجب أن أؤلف كتاباً حول هذا ؟ أم سيكون أمراً شائناً قليلاً ؟ "

لم أهتم بجواب المزيد من الأسئلة . ألم يدرس بجامعة يال الشهيرة ؟ لابد أن بوسعه التوصل لجواب على سؤاله إذن .

الفصل ١٦

بعد المقابلة ، خرجت من مكتب آرنولد جرينر متكاسلاً لكى ألقى نظرة على عمل بول لوبلو ، وهو التقنى الخاص بمكتب شرطة لوس أنجلوس المسئول عن تتبع رسائل مارى سميث الإليكترونية .

راح ينقر على لوحة مفاتيح كمبيوتر جرينر بينما يتحدث إلىّ بصوت خفيض وعبارات متسارعة . قال : " وردت الرسالتان من خلال مركزين مختلفين لتزويد خدمة الإنترنت . يرجع أولهما إلى مقهى انترنت فى سانتا مونيكا . مما يعنى أن مارى سميث قد تكون واحدة من مئات الأشخاص . إن لها عنوانى بريد اليكترونى مختلفين . هذا إلى الآن . وكلاهما تابعان لاشتراكات Hotmail ، وهو ما لا يظهر لنا أى شىء فى حقيقة الأمر ، عدا أننا نعرف أنها أنشأت العنوان الأول من مكتبة عامة فى المركز الأمريكى USC قبل يوم من إرسال الرسالة الأولى " .

كان على أن أستجمع تركيزى لأتابع ما يقوله لوبلو . هل جميع من هنا مصابون باضطراب فى تركيز الانتباه ؟ سألته : " وماذا عن الرسالة الإليكترونية الثانية ؟ "

" لم يكن مركز إرسالها من نفس المكان الذى أرسلت منـه الأولى . هـذا كل ما يمكنني قوله لك " .

" هل جاءت من داخل لوس أنجلوس ؟ هل تعرف هذا ؟ "

" لا أعرف حتى الآن " .

" ومتي ستعرف ؟ "

" غالباً مع نهاية هذا اليوم ، رغم أن هذا لن يفيد كثيراً " . انحنى إلى الأمام ، ونظر بعينين نصف مغمضتين نحو عـدة سـطور مـن شـفرات علـى الشاشة وقال : " إن مارى سميث تعرف ما الذى تقوم به " .

ها نحن مجدداً نقول : تقوم به . أفهـم لـماذا يستخدم الجميـع ضـمير المؤنث . أنا أيضاً كنت أستخدمه ـ ولكن على سبيل التسهيل فقط .

لكن هذا لا يعنى اقتناعى بأن القاتل كان امرأة ، ليس بعد ، على كـل حال . إن الرسائل التى ترد إلى جرينر قد تمثل أى نـوع مـن الأشـخاص .

لكن من هو ؟

الفصل ١٧

إلى أى مدى تستمتع بإجازتك حتى الآن يا آلكس ؟ هل تستمتع بها كثيراً ؟

أخذت نسختين من الرسالتين العجيبتين وتوجهت للقاء رجـال مكتـب شرطة لوس أنجلوس . كان مكتب التحرى شمال لـوس أنجلـوس سـتريت على بعد ربـع ميـل مـن مكاتـب جريـدة تـايمز ـ هـذه هـى معجـزة لـوس أنجلوس ، مما يمنحها شهرة أن الوصول إلى أى مكان بالمدينـة لا يقتضـى أكثر من ٤٥ دقيقة .

آه ، العطلة رائعة . إننـى أشاهد كـل المعـالم السـياحية . الأطفـال يعشـقونها كذلك . أما نانا فتشعر بأنها تحلم .

مشيت وئيداً ، وأنا أقـرأ الرسـالتين فـى طريقـى إلى مكتـب الشـرطة . حتى ولو كانت الكتابة ذات طبيعة شخصية معينة ، فلابد أنها نابعة مـن عقل القاتل .

بدأت بالرسـالة الأولى ، والتـى وصـفت اللحظـات الأخـيرة مـن حيـاة باتسى بينيت . كانـت رهيبـة بـلا جـدال ، إنهـا يوميـات مختـل عقليـاً خطير .

إلى : agriner@latimes.com

من : مارى سميث

رسالة إلى باتريس بينيت :

إننى أنا من اغتالك .

هل تعد هذه جملة مفيدة ؟ أظن أنها كذلك . إليك جملة أخرى تروق لى كثيراً .

هناك شخص ما غريب عليك تماماً سيعثر على جثتك فى شرفة المشاهدة بدار عرض ويستوود فاليج . جثتك أنت باتريس بينيت .

لأن هذا هو المكان الذى لقيت فيه حتفك اليوم ، بينما تشاهدين آخر أفلامك ، وهو ليس أفضلها بكل تأكيد . دار عرض فاليج ؟ ماذا كنت تظنينه بفعلك هذا ؟ ما الذى أتى بك إلى دار العرض هذا اليوم ، يوم مصرعك ، لكى تشاهدى فيلم The village ؟

كان ينبغى لك أن تكونى بمنزلك يا باتسى . مع صغارك الأعزاء . حيث يجب أن تكون أى أم صالحة . ألا تعتقدين هذا ؟ حتى ولو كان أغلب وقتك فى المنزل تقضينه بين قراءة السيناريوهات وإدارة شئون الاستوديوهات عبر مكالمات هاتفية .

اقتضى منى الأمر وقتاً طويلاً حتى أقترب منك . فأنت شخص له شأنه بالاستوديو الخاص بك ، وما أنا إلا نكرة من بين ملايين النكرات ممن يشاهدون أفلامك على جهاز الفيديو أو على قنوات الأفلام مثل انترتينمنت تونايت أو آكسس هوليود . إننى حتى لم أستطع الدخول من البوابة المقوسة الضخمة للاستوديو . بالطبع لم أستطع .

كل ما تمكنت من القيام به هو مشاهدة سيارتك ذات اللون الكحلى الداكن من طراز أستون مارتن وهى تغدو وتجىء ، يوماً بعد الآخر ، ولكننى إنسانة صبورة للغاية . لقد تعلمت كيف أنتظر ما أريد .

وبمناسبة الانتظار ، ذلك المنزل الخرافى الذى تقطنين به من العسير رؤيته من الشارع . لقد رأيت صغارك الظرفاء أكثر من مرة فى الحقيقة .

واعرف أنه بعد بعض الوقت كان يمكن لى أن أعثر على سبيلى إلى داخل المنزل . ولكنك اليوم غيرت أنت كل شيء .

لقد ذهبت إلى دار العرض فى منتصف الظهيرة ، تماماً كما تصرحين بذلك فى بعض اللقاءات معك . فربما اشتقت إلى رائحة الفيشار . هل قمت من قبل باصطحاب بناتك الصغيرات لمشاهدة الأفلام يا باتسى ؟ لابد أن تقومى بهذا كما تعرفين . فكما يقولون كل شيء يمضى فى لمحة بصر .

لم يبد لى ذهابك له أى معنى للوهلة الأولى . فأنت من الكبار المهمين كثيرى المشاغل . ثم تبينت الأمر . إن الأفلام هى لب مهنتك . ولابد أن تشاهديها طيلة الوقت ، لكن لديك أسرة كذلك تنتظرك كل ليلة . من المفترض أن تكونى بالمنزل لتناول العشاء مع الصغيرتين لين ولورى . ما عمرهما الآن ؟ الثانية عشرة والثالثة عشرة ؟ تريدانك بجانبهما ، كما تريدين أنت ذلك . هذا حسن على ما أظن . عدا هذه الليلة ، فإن العشاء سوف يوضع ويرفع بدون وجودك . ينتاب المرء الحزن لدى تفكيره فى هذا ، وهذا ما أشعر به الآن .

على أى حال ، كنت تجلسين فى شرفة المشاهدة بالصف التاسع . وكنت أنا أجلس فى الصف الثانى عشر . وانتظرت ، وشاهدت مؤخرة رأسك ، وشعرك الأسود المتموج . هذا هو موضع استقرار الرصاصة . أو هكذا أتخيل . ألا يفترض أن هذا ما يفعله المرء أمام الأفلام ؟ الهرب ؟ الفرار منها كلها ؟ عدا أن أغلب الأفلام بائسة للغاية هذه الأيام . غبية لدرجة البؤس أو مقرفة لدرجة البؤس .

فى الحقيقة لم أخرج مسدسى إلا بعد أن بدأ الفيلم . لم يرق لى كل هذا الخوف الذى انتابنى . فقد كان من المفترض أن يكون هذا الخوف من نصيبك أنت أيتها المرأة المهمة كثيرة المشاغل . لكنك لم تعلمى بما كان يجرى ، ولا حتى تعلمين بوجودى هناك . لم تكونى فى إطار السلطة والنفوذ عندها . جلست هكذا ، وأنا أمسك بالمسدس فى حجرى ، وأنا أصوبه نحوك لأطول وقت ممكن . ثم قررت أننى أرغب فى الاقتراب منك . أن أصبح فوقك تماماً .

كنت بحاجة لأن أنظر فى عينيك بعد أن تعلمى بأنك ستقتلين ، بعد أن تعلمى بأنك لن ترى لين ولورى مرة أخرى أبداً ، ولن ترى فيلماً آخر بعد ذلك ، لا مزيد من الأمان والطمأنينة ، ولا مزيد من الشهرة والنفوذ .

بعدها كانت رؤية وجهك الميت وعينيك المفتوحتين على اتساعهما مفاجأة لى . صدمة لجهازى العصبى فى الحقيقة . ماذا حدث للمحيا الأرستقراطى الذى كان يميزك ؟ لهذا اضطررت لمغادرة دار العرض بأقصى سرعة ، ولهذا اضطررت لأن أتركك قبل أن أنتهى منك تماماً .

لا يعنى هذا أنك مازلت تبدين أى اهتمام . كيف حال الطقس لديك يا باتسى ؟ أرجو أن يكون ساخناً . ساخناً كما يجدر بالجحيم .

هل تفتقدين صغيرتيك بشكل فظيع ؟ هل تشعرين بشيء من الندم ؟ أراهن أنك تشعرين بذلك . أتمنى لو كنت مكانك . ولكننى لست هذا الشخص المهم الشهير ، ما أنا إلا واحدة من صغار البشر .

الفصل ١٨

الساعة تمام التاسعة ، ولم يمضى شيء بشكل حسن ، وهذا أبسط ما يمكن قوله .

رئيسة مكتب شرطة لوس أنجلوس التحرية جين جاليتا كانت قبضتها عند المصافحة رقيقة على نحو غير متوقع ، لكن بدا عليها أنها تستطيع تكسير العظام بها لو أردت . كانت بلوزتها ذات الرقبة قصيرة الأكمام تكشف عن عضدها . كانت نحيفة ، وكان وجهها حاد الزوايا ، وعيناها البنيتان كانتا من النوع الثاقب الذى يجبرك على التحديق بها .

اكتشفت أنى أحدق بها ، فنظرت بعيداً .

سألتنى : " العميل كروس . هل جعلتك تنتظر طويلاً ؟ "

قلت لها : " ليس لوقت طويل " . لقد تقلدت موقع جاليتا قبل هذا . وحين يكون المرء كبير التحريين فى قضية تجذب اهتمام الرأى العام ، فإن الجميع يريدون قطعة من وقته إلى جانب أن يومى كاد أن ينتهى . غالباً ما ستظل المحققة جاليتا ساهرة طوال الليل . والسبب طبعاً يعود لهذه القضية .

لقد تجمعت الفوضى لتسقط بين يديها منذ اثنتى عشرة ساعة . إن هذه القضية تعود إلى المكتب الغربى بهوليود ، لكن الجرائم المتسلسلة كانت تحول تلقائياً لوسط المدينة ، إلى وحدة جرائم القتل الخاصة . وعلى المستوى التقنى ، فإن قضية " مارى سميث " لا يمكن تصنيفها كسلسلة من جرائم القتل قبل أن تتم أربعة اغتيالات على الأقل ، لكن مكتب شرطة لوس أنجلوس كان قد قرر أن يتوخى جانب الحذر على سبيل الاحتياط . وكنت أتفق مع هذا القرار ، دون أن يطلب أحد رأيى فى هذا .

كانت التغطية الإعلامية لهذه القضية ، وما استتبعها من ضغوط على المكتب قد أصبحا عبئاً بالفعل . وقد يتحول هذا العبء الشديد إلى جنون مطبق بسرعة إذا ما انتشر أمر الرسائل الإلكترونية المرسلة لصحيفة التايمز .

قادتنى المحققة جاليتا للدور العلوى إلى غرفة اجتماعات صغيرة تحولت لغرفة إدارة الأزمة . وبدا كما لو أنها غرفة طوارئ لتجميع كافة المعلومات المتعلقة بجريمتى القتل .

فهناك جدار بكامله كان مغطى بالفعل بتقارير الشرطة ، وخريطة للمدينة ، ورسوم لمسرحى الجريمتين ، وعشرات الصور الفوتوغرافية للقتلى .

وسلة مهملات فى الركن تفيض بالأكواب الورقية الفارغة وحقائب الشطائر المزيتة . وقد بدا أن مطاعم وندى قد فازت فى معركة شطائر البرجر على مستوى المقاطعة .

كان يجلس إلى طاولة خشبية كبيرة محققان يرتديان قمصاناً قطنية ذات أكمام ، وقد مال كل منهما على أكوام منفصلة من الأوراق والمستندات .

مشهد مألوف ، وباعث على الإحباط .

قالت جاليتا للمحققين : " نحتاج للمكان " . لم يكن فى الأمر أى عدوانية مفرطة . فقد كان لديها نوع من الثقة الحازمة التى تجعل التسلط لا لزوم له . أخلى الرجلان المكان دون نطق كلمة .

سألتها : " من أين تريدين أن نبدأ ؟ " .

دخلت جاليتا فى الموضوع مباشرة . أشارت إلى صورة بحجم ٨,٥ × ١١ أبيض وأسود لظهر مقعد دار السينما . كان بها نفس النوعية من ملصقات الأطفال مثل تلك التى تركت على سيارة آنتونيا شيفمان . وكان كل ملصق مكتوب عليه حرف (أ) أو حرف (ب) . أحد الملصقات أظهرت حصاناً صغيراً واسع العينين ، والآخرين دباً صغيراً على أرجوحة . ماذا يربط القاتل بعالم الأطفال ؟ والأمهات ؟ قالت : " ما معنى حكاية الملصقات هذه ؟ "

قلتُ لها : " يبدو لى أمراً غير منطقى . شأنه شأن كل شيء آخر حتى الآن . الرسائل الالكترونية المكتوبة بعناية . إطلاق الرصاص من نطاق قريب . التقطيع بسكين . والمشاهير . إن أى شخص يقدم على هذا يرغب فى أن يصير مشهوراً . أن يلفت الانتباه والأنظار بشكل كبير " .

" صحيح بلا جدال . ولكن ماذا عن ملصقات الأطفال فى حد ذاتها ؟ أقصد ، لماذا الملصقات ؟ لماذا الأطفال ؟ لماذا هذا النوع ؟ ما شأن حروف الألف وحروف الباء ؟ لابد أن يعنى هذا شيئاً ما " .

" لقد أتت على ذكر أطفال الضحيتين فى الرسالتين . إن الأطفال لهم جانب فى هذه الأحجية ، إنهم قطعة من البازل . ولأكون أميناً معك ، فلم يسبق لى أبداً أن صادفت شيئاً كهذا ولو من بعيد " .

عضت جاليتا شفتها ونظرت نحو الأرضية . انتظرت لأرى ماذا ستقول بعد هذا .

تحدثت ببطه وهى تتأمل الأمر ملياً بالطريقة التى أتبعها غالباً : " إن بين أيدينا خيطين ها هنا . إنها صناعة الأفلام ككل ، وهوليود ، على الأقل حتى الآن . لكن هناك ما يتعلق بالأمهات والأطفال . فهي لم تأت على ذكر الأزواج فى الرسائل . فإما أن تكون هى نفسها أماً أو لديها مشكلة ما مع الأمهات " .

سألتها : " أتفترضين أن مارى سميث امرأة ؟ " .

الفصل ١٩

طرقعت المحققة جاليتا على الأرض بكعبيها ، ثم نظرت إلىّ نظرة تنم عن الدهشة . قالت : " ألا تعرف بأمر الشعر ؟ من الذى أطلعك على الأمر على كل حال ؟ "

انتابتنى صدمة إحباط بسبب وقتى الذى أهدرته مرة أخرى . تنهدت وسألت جاليتا : " أى شعر ؟ "

استكملت كلامها لتخبرنى بأن شرطة لوس أنجلوس قد عثرت على شعر امرأة تحت واحد من الملصقات فى دار العرض السينمائى بويستوود . أشارت الاختبارات أنه ينتمى إلى أنثى قوقازية ، وليست من شعر باتريس بينيت . إن حقيقة أنها كانت موجودة على سطح رأسى ناعم تحت الملصق أعطى لها ثقلاً جيداً بما يكفى كدليل ، على الرغم من أنه ليس دليلاً قاطعاً ولا شك .

لقد استبدلت بما أعرفه بالفعل هذه المعلومات الجديدة وأنا أعطى رأيى لجاليتا حول قضية مارى سميث . دون إزاحة إحساسى الداخلى بأننا لا يجب أن نستبعد احتمال أن يكون القاتل رجلاً .

" ولكن لا يجب أن تأخذى كل ما أقوله كأشياء مسلم بها . فلست عالماً بالظاهر والباطن " .

ابتسمت فى مكر ، على الرغم من أن أثر هذه الجملة كان ساراً بما يكفى . ثم قالت : " سآخذ هذا فى الحسبان يا عميل كروس . والآن ، ماذا هنالك غير هذا ؟ "

" هل لديك خطة للتعامل مع وسائل الإعلام ؟ "

أردت أن أؤكد على أن الخطة خطتها هى ، وأن العرض لها كلية ، وهو ما كان عليه الأمر بالطبع . فسوف يكون هذا يومى الأول والأخير فى العمل على قضية مارى سميث . إذا لعبت لعبتى بمهارة ، فلن أضطر حتى لقول هذا على مسمع من أحد . سأبتعد وكفى .

" إليك خطتى الإعلامية " .

اتجهت جينى جاليتا نحو تلفاز معلق على الحائط وأدارته . وراحت تتنقل عبر القنوات المختلفة ، وتتوقف عند أى منها تقوم بتغطية جريمتى القتل .

" الجريمة المزدوجة الصادمة لمقتل الممثلة آنتونيا شيفمان وسائقها ... "

" إننا نبث لكم بثاً مباشراً من بيفرلى هيلز ... "

" المساعدة السابقة لباتريس بينيت معكم على الهاتف ... " .

كان العديد منها محطات محلية ، كل شيء بداية من محطة سى إن إن ، وحتى قناة إنترتاينمنت تليفيجن .

ضغطت جاليتا على زر فى جهاز التحكم عن بعد لكى تبطل الصوت فى التلفاز ثم قالت :

" هذه هى نوعية الفرص التى يعيش بعض المراسلين حياتهم على أمل العثور عليها . إننى أجمع تفاصيل لحظة بلحظة من مسرحى الجريمة فقط لكى أبعد عنا هؤلاء الحمقى ، إضافة إلى مصورى النجوم الملاعين . إنهم خارج نطاق السيطرة تماماً ، والوضع سيصبح أسوأ فأسوأ . لقد خضت غماره من قبل ، فهل لديك أية مقترحات ؟ "

هل لدىّ أية مقترحات أبداً ؟ لقد تعلمنا جميعاً بضعة دروس مؤلمة بشأن السلاح ذى الحدين للتغطية الإعلامية فى قضية قناص واشنطن العاصمة منذ بضعة أعوام .

" إليك رأيى فى هذا - إذا كان لرأيى أى قيمة ، وأرجو أن يكون له بعض منها . لا تحاولى التحكم بالتغطية الإعلامية ، لأنك لن تستطيعى القيام بهذا مطلقاً . الأمر الوحيد الذى يمكنك السيطرة عليه هى المعلومات التى ستخرج من مسرح الجريمة . فلتكممى أفواه جميع من لهم صلة بالقضية . امنعى أى لقاءات دون تصريح محدد من المكتب . قد يبدو هذا غير منطقى قليلاً ، لكن احتفظى باثنين من الأشخاص لإعطاء التفاصيل من خلال الهاتف . اتصلى بكل الضباط المتقاعدين الذين يمكن لك الاتصال بهم . أخبريهم بألا يصرحوا بأية تصريحات للصحافة ، لا شيء مطلقاً . إن رجال الشرطة المتقاعدين يمكن لهم أن يكونوا من بين أضخم مشكلاتك . وبعضهم يحب فقط أن يختلق القصص أمام عدسة الكاميرا " .

منحتنى ابتسامة ماكرة أخرى وقالت : " كل هذا وتقول بأنك ليس لديك رأى أو أى شيء " .

هززت كتفى : " صدقينى ، لقد دفعت ثمناً غالياً لأتعلم هذه الدروس " .

وفيما كنت أتحدث ، تحركت المحققة جاليتا ببطء فى مقابل اللوحة الكبيرة المعلقة على الحائط . وهى تتأمل الأدلة وتتفحصها . هذه هى طريقة العمل ، أن يسمح المرء للتفاصيل بأن تتجمع فى أركان عقله ، حيث ستكون عندما تمس الحاجة إليها . لقد عرفت بالفعل أن لديها غريزة جيدة . لمسة شك صحية بالطبع ، لكنها كذلك تجيد الإنصات إلى الآخرين . كان من اليسير معرفة سبب تقلدها لهذا المنصب فى سنها الصغيرة هذه . والآن ، هل يمكنها المواصلة ؟

قلت : " هناك فكرة أخرى واحدة . غالباً ما سوف تراقب مارى سميث ما تفعلون . واقتراحى هو أن تتجنبوا التهوين من شأنها أو من شأن

ما تقوم به على الملأ ، على الأقل ليس حالياً . فهي بالفعل تلعب لعبة إعلام . أليس كذلك ؟ "

" بلى ، صحيح . على ما أعتقد " .

توقفت المحققة جاليتا عن الحديث وتطلعت نحو شاشة التلفاز الخرساء . قالت : " لعلها تلتهم هذا كله ملعقة وراء ملعقة " .

كانت هذه هي فكرتي كذلك . ولابد من إطعام الوحش بحرص ، بأشد الحرص .

هذا الوحش الأنثوي ؟

الفصل ٢٠

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل عندما عدت أخيراً إلى مدينة ديزني وتلقيت مزيداً من الأنباء السيئة . لم يقتصر الأمر على أن جميلة قد لحقت بطائرتها إلى سان فرانسيسكو . فقد كنت أعلم هذا كما أعلم أن علاقتي بجميلة تتعرض لأزمة مرة أخرى .

عندما دخلت غرفة الفندق رأيت الجدة قد أخذها النعاس على الأريكة . وعنقود من خيط الكروشيه فاتح الزرقة مازال ملتفاً حول أناملها . كانت نائمة في سكينة مثل طفل رضيع .

لم أشأ إزعاج المسكينة ، لكنها استيقظت من تلقاء ذاتها . كان هذا هو الحال على الدوام مع الجدة . حين كنت صغيراً ، كل ما كان على القيام به هو الوقوف بجانب فراشها إذا ما كنت متوعكاً أو زارني كابوس . وكانت تقول دائماً إنها تسهر على رعايتي ، حتى بينما تكون نائمة . فهل كانت تسهر على رعايتي الليلة ؟

نظرت متمعناً نحو المرأة العجوز للحظة هادئة . لا أعرف ما هو شعور معظم الناس تجاه جداتهم ، لكنني كنت أحبها إلى درجة موجعة

أحياناً . لقد ربتني جدتي منذ أن كنت في التاسعة من عمري . في النهاية انحنيت عليها وطبعت قبلة على خدها .

سألتها : " هل تلقيت رسالتي الصوتية ؟ "

ألقت نظرة ساهمة على هاتف الفندق ، وضوئه الأحمر المضيء ليعلن عن وصول رسالة .

قلت بهزة من كتفي : " لا أظن " .

وضعت يدها على أعلى ذراعي وقالت : " آه يا آلكس . لقد أتت كرستين إلى هنا بالفندق . جاءت وأخذت آلكس الصغير ليعود معها إلى سياتل . وقد مضى " .

للحظة توقف عقلي عن العمل . لم يكن من المتفق عليه أن تجيء كرستين لتأخذ آلكس إلا بعد مرور يومين آخرين . إن من حقها حضانة طفلنا في الوقت الحالي ، لكن كنا تحدثنا بشأن الرحلة إلى ديزني لاند ووصلنا لاتفاق . بل إنها قالت إنها فكرة طيبة .

بالكاد جلست على حافة الأريكة ، قلت : " إنني لا أفهم شيئاً . ماذا تقصدين ؟ هل اصطحبت آلكس معها للمنزل ؟ ماذا يحدث ؟ أخبريني بكل شيء " .

وضعت الجدة خيوط الكروشية بداخل القطعة التي اشتغلتها في حقيبة بجوارها . قالت : " لقد أصابني جنون عارم ، كدت أبصق في وجهها . لقد كانت مختلفة تماماً هذه المرة عن طبيعتها . كانت تصيح يا آلكس . صاحت بوجهي ، بل وبوجه جاني " .

قلت : " ماذا جاءت لتفعله هنا بأي حال ؟ لم يكن من المفترض لها أن ... " .

" لقد وصلت في وقت مبكر ، وهذا هو الجانب الأسوأ . إنني أعتقد يا آلكس أنها ما جاءت إلا لتقضي بعض الوقت المتميز بصحبتك وبصحبة آلكس الصغير . معنا جميعاً . ولكن حين اكتشفت أنك منشغل في العمل ، تغيرت تغيراً تاماً . لقد تحولت إلى دبور غاضب مرة واحدة . لم

أجد ما يمكنني أن أقوله لها . لم أر قط شخصاً غاضباً لهذا الحد ومتبدلاً لهذا الحد " .

لقد حدث الأمر كله بسرعة شديدة ، ورحت أكافح سيلاً من المشاعر الدافقة بداخلي . لقد أدركت قبل كل شيء أنه لم يتسن لي توديع ابني ، وها هو غادرني من جديد .

" ماذا عن آلكس ؟ كيف كان حاله ؟ " .

" كان مضطرباً ومرتبكاً ، وبدا عليه الحزن ، المسكين الصغير . لقد راح ينادي في طلبك عندما أخذته أمه بعيداً . قال إنك وعدته أن هذه ستكون عطلة . وكان يتطلع إليها كثيراً . جميعنا تطلعنا إليها ، أنت تعلم هذا يا آلكس " .

انقبض قلبي ، لقد تخيلت بعين عقلي وجه آلكس . وبدا لي كما لو أنه يصير أبعد وأبعد عني ، كما لو أن قطعة من لحم بدني كانت تُنتزع مني .

سألتها عندئذ : " ماذا عن جاني وديمون ؟ "

تنهدت نانا تنهيدة مثقلة : " كانا شجاعين فتحملا الموقف ، لكن جاني راحت تبكي إلى أن نامت الليلة . وأحسب أن ديمون بكى هو الآخر . لكنه أبرع في إخفاء بكائه . يا للشقيين الصغيرين ، ظلا معظم الليلة يتحدثان ويشكوان " .

جلسنا على الأريكة للحظة طويلة صامتة . لم أدر ماذا أقول .

قلت للجدة أخيراً : " إنني آسف لعدم وجودي معكم اليوم . وأعرف أن أسفي هذا لا يجدي فتيلاً " .

أمسكت ذقني براحتها وحدقت في عينيي . ها هي المحن آتيه ، عليَّ أن أستعد لمواجهتها .

" إنك رجل صالح يا آلكس . كما أنك أب طيب القلب . لا تنس هذا ، والآن بالذات . كل ما هنالك أنك ... أنك تعمل بمهنة شديدة الصعوبة " .

بعدها بدقائق ، تسللت إلى الغرفة التي نام بها جاني وديمون . الطريقة التي التفا بها داخل الأغطية أعادت لهما مظهر الطفلين الصغيرين

مرة أخرى . كم كنت أحب الأثر الذى يخلفه فى هذا المشهد ، **فوقفت** هنالك ، أكتفى بمشاهدتهما . ما من بلسم يداوى نفسى مثلما يفعل هذان الاثنان . صغارى ، مهما كبرا وبصرف النظر عن عمرهما .

كانت جانى نائمة على حافة فراشها وقد تجعد على الجانب الآخر غطاؤها . اقتربت وغطيتها .

" بابا ؟ " هكذا همس ديمون من خلفى وقد ضبطنى متلبساً .

" أهذا أنت ؟ "

" ماذا يا ديمون ؟ " جلست على حافة فراشه ومسحت على ظهره . كنت أفعل هذا منذ كان رضيعاً ، ولن أتوقف حتى يطلب منى ذلك .

سأل قائلاً : " هل ستضطر للعمل غداً ؟ هل أصبحنا فى الغد بالفعل ؟ "

لم يكن بصوته أى لوم . لقد كان شخصاً أكثر طيبة من أن يفعل هذا . فإذا كنت أنا أباً لا باس به ، فإن ديمون كان ابناً عظيماً .

قلت له : " كلا . ليس غداً . إننا فى عطلة ، أتتذكر ؟ "

الفصل ٢١

لليوم الثانى على التوالى أتلقى مكالمة توقظنى من النوم .

كانت هذه المكالمة من فريد فان آلسبرج ، مساعد المدير والمسئول عن مكتب لوس أنجلوس للمباحث الفيدرالية . كنت قد رأيت اسمه على مخططات الموظفين الخاصة بالجهاز ، لكننا لم نلتق فعلياً قط ولم نتحادث ، ومع هذا ، فقد تعامل معى بنوع من المودة والألفة الفورية خلال الاتصال الهاتفى .

سألنى بعد قول " مرحباً " بثوانٍ معدودة : " آلكس ! عساك تستمتع بعطلتك ؟ "

هل الجميع مطلعون على شئونى الخاصة ؟ أجبته قائلاً : " بأحسن حال ، شكراً . ماذا يمكننى أن أفعله من أجلك ؟ "

" استمع إلىّ ، إننا نشكرك كل الشكر لأنك مددت لنا يد العون فى قضية مارى سميث بالأمس . لقد حققنا قفزة جيدة فى هذه القضية ، حققنا ما يبدو كأنه علاقة مثمرة إلى حد ما مع مكتب تحقيقات لوس أنجلوس .

استمع إلىّ ، سوف أدخل فى الموضوع مباشرة ، إننا نود أن تمثلنا على مدى بقية التحقيقات ها هنا . وهو أمر بالنسبة لنا ضخم ومهم . وبالنسبة للمدير كما هو واضح . إن هذه القضية ستصير أكثر ضخامة ، بكل أسف " .

تذكرت عبارة من فيلم الأب الروحى : الجزء الثالث - " بالتحديد حين ظننت أننى خارج اللعبة ، جذبونى لداخلها من جديد " .

لكن مع ذلك فلن يحدث هذه المرة . لم أكن حصلت على قسط كافٍ من النوم ، لكننى صحوت ولدى إحساس واضح بما سوف يكون عليه حال هذا النهار - وهو لا علاقة له البتة بقضية مارى سميث ، أو بأية تحقيقات فى جريمة بشعة أخرى .

" سأضطر لتقديم اعتذاراتى عن عدم القيام بهذا . فلدىّ التزامات عائلية لا يمكن لى أن أتجاهلها " .

قال : " متفهم " ، قالها بأسرع من أن يكون يقصدها حقاً . " لكن قد يمكن لنا أن ننتزعك بعيداً لبرهة قصيرة . بضع ساعات فى اليوم " .

" آسف ، لا يمكن لكم هذا . ليس الآن " .

تنهد آلسبرج تنهيداً مثقلاً على الطرف الآخر من الخط . حين بدأ يتحدث من جديد ، اتسمت نبرة صوته بقدر أكبر من التحفظ والثبات ، ولا أعرف إذا كان تخمينى صحيحاً أم لا ، لكننى أحسست بلمحة تعال فى صوته كذلك . قال : " أتعلم ما نتعامل معه ها هنا يا آلكس ؟ هل استمعت إلى الأنباء هذا الصباح ؟ "

قلت : " إننى أحاول البقاء بعيداً عن نشرات الأنباء لبضعة أيام . وتذكر أننى فى عطلة . إننى بحاجة إلى عطلة . لقد خرجت لتوى من قضية الذئب " .

" اسمعنى يا آلكس ، كلانا يعلم أن الأمر لم ينته عند هذا الحد . هناك أناس يموتون هنا . أناس مهمون " .

أناس مهمون ؟ ما الذى يفترض أن يعنيه هذا بحق الجحيم ؟ كما أنه جعل يكرر اسمى بين كل عبارة وأخرى فى كلامه ، ولا أدرى إن كان

منتبهاً لذلك أم لا . كنت أقدر معنى الوجود فى موقعه ، إنها الضغوط ، لكننى سأبقى صارماً هذه المرة .

قلت له : " أنا آسف . جوابى هو لا " .

" إننى أود يا آلكس أن يبقى الأمر بينى أنا وأنت فقط .

فلا داعى لتدخل رون بيرنز ، أليس كذلك ؟ "

أخبرت فان آلسبرج : " كلا ، لا داعى " .

استأنف كلامه قائلاً : " حسناً - " لكننى قاطعته قائلاً : " لأننى سأغلق جهاز الاستدعاء الخاص بى الآن فوراً " .

الفصل ٢٢

سأعترف ، حين وضعت سماعة الهاتف ، كان نبض قلبى يتسارع قليلاً ، لكننى أحسست بالارتياح كذلك . فكرت أن رون بيرنز سيقدم لى الدعم فى هذا الشأن ولكن ، أتعلمون ؟ لم أكن حتى مهتماً .

بعد ذلك بساعة كنت ارتديت ملابسى ومستعداً لأن أعود كسائح فى إجازة . صحت قائلاً : " من يرغب فى تناول الإفطار مع شخصية جوفى العبيط ؟ "

كان الفندق يقدم " وجبات إفطار مع شخصيات كارتونية " ، وبدا الأمر وسيلة جيدة لتوجيه طاقاتنا مرة أخرى للمزاج الخاص بالعطلة . ولعلها طريقة ساذجة وعاطفية قليلاً ، لكن أحياناً يكون هذا أمراً طيباً ، طيباً حقاً ، مما يحتفظ بكل شيء فى المنظور المناسب .

دخل كل من ديمون وجانى إلى غرفة المعيشة الخاصة بالجناح ، وظهر على ملامحهما شيء من الحذر . أغلقت قبضتى يدى ومددتهما نحوهما .

قلت : " فليختر كل منكما إحدى اليدين " .

قالت جانى : " أبى ، إننا لم نعد أطفالاً صغاراً . إننى فى الحادية عشرة من عمرى . ألاحظت هذا ؟ "

اصطنعت أمارات الصدمة . وقلت : " غير ممكن ، حقاً ؟ " وقد جلب هذا التأثير الضاحك الذى تطلعت إليه .

قلت لهما : " هذا شأن جاد . أنا لا أمزح . والآن فليختر كل منكما إحدى اليدين . أرجوكما " .

تساءل ديمون : " ما هذا ؟ "

لكننى لزمتُ الصمت .

وأخيراً اختارت جانى يدى اليسرى ، ثم هز ديمون كتفيه وأشار إلى اليد اليمنى .

قلت : " اختيار جيد . " قلبت يدى وفتحت أصابعى . انحنى كلا الصغيرين لإلقاء نظرة أقرب .

سأل ديمون : " أهذا جهاز الاستدعاء الآلى الخاص بك ؟ "

قلت : " لقد أغلقته . والآن سأنتظر أنا وجدتكما فى الردهة ، وأريد منكما أنتما الاثنين أن تخبئانه فى مكان ما . خبئاه جيداً . إننى لا أرغب فى رؤية هذا الشيء مرة أخرى ، إلا بعد أن نرجع إلى واشنطن " .

اندفع كل من جانى وديمون يهللان ويصفران . بل إن نانا ذاتها أطلقت صيحة فرحة . صرنا أخيراً فى عطلة حقيقية .

الفصل ٢٣

ربما تنطوى كل تلك السحب من البؤس والعزلة على بعض قطرات مطر . هذا غير محتمل ، ولكن ربما . أدرك آرنولد جرينر أنه يحظى بالحقوق الحصرية لقصته الخاصة حين تنتهى كل هذه الفوضى الرهيبة . أو تعرف ماذا هنالك أيضاً ؟ هو لن يرضى بمجرد فيلم تليفزيونى ، فلسوف يحاول أن يقسم القصة إلى سلسلة فى عموده الخاص ، ثم يبيعه كمشروع له قيمته لأحد استوديوهات الإنتاج . هوليود تحت الحصار ؟ الحرب ضد النجوم ؟ عناوين سيئة . كانت هذه هى الفكرة العامة على أى حال .

هز رأسه واستعاد تركيزه على الطريق السريع لـ سان دييجو . وكان عقار الزاناكس الذى يتعاطاه يجعله غير قادر على التركيز . وقد ساعده الكافيين على تخطى هذا التأثير ، فقط لكى يحتفظ بنوع من التوازن خلال النهار . والحق أن رحلة الصباح إلى العمل كانت أكثر أوقات اليوم صعوبة . إنها الانتقال اليومى من مرفأ الطمأنينة والأمان إلى بحر القلق

والتوتر والشعور بالغثيان فى أمعائه . وكان توتره العصبى يزداد كلما صار أقرب من غرفته ومكتبه وحاسوبه .

لو يعلم على وجه اليقين بوصول رسالة إليكترونية أخرى مقززة إليه ، لكان الأمر أهون عليه . كان جانب عدم التيقن من شيء هو الجحيم بعينه .

هل ستعود مارى للظهور ؟ هل سيحدث هذا اليوم ؟

إنما الأهم من ذلك كله ، لماذا تكتب إليه ؟

وبأسرع مما أعتقد ، كان قد وصل إلى ميدان تايمز ميرور ، كان جرينر يعمل فى الجانب الأقدم من مجموعة المبانى ، وهو مبنى يعود لحقبة الثلاثينات ويكن له جرينر عاطفة خاصة ، ذلك فى الظروف العادية على كلٍ . الأبواب الرئيسية كانت مصنوعة من قطع ضخمة من البرونز ، على جانبيها تمثالان لصقرين توأم . مشى بالقرب منهما هذا الصباح ، ودار نحو المدخل الخلفى ، وصعد الدرج للطابق الثالث . لا يمكن للمرء أن يكون أشد حرصاً من اللازم ، أليس كذلك ؟

فى اللحظة التى دلف فيها إلى طابق غرفة تحرير الأنباء لحقت به صحافية تدعى جينى بلوم . ومن بين جميع الزملاء الذين أظهروا اهتماماً مفاجئاً بسلامته وحسن أحواله ، كانت هى أبعد ما يكون عن هذا . أم أن هذا كان مثيراً للبغضاء والحنق له ؟

" مرحباً ، كيف الأحوال يا آرنولد ؟ أتبلى بلاء حسناً أيها الرجل ؟ ماذا ستغطى اليوم ؟ "

لم يفوت لها جرينر كلمة : " إذا كانت تلك طريقتك فى بدء أى حوار مع رجل ، فلابد أنك ستكونين أهم عانس لا يقترب منها رجل فى لوس أنجلوس كلها " .

ما كان من جينى بلوم سوى الابتسام ، وواصلت قائلة : " تتحدث وكأنك شخص لديه خبرة فى شئون الهوى والغرام . حسناً . فلنتجاوز مرحلة المغازلات التمهيدية وندخل فى صلب الموضوع . هل تلقيت المزيد

من الرسائل ؟ إنك بحاجة لمساعدة فى هذا الشأن ، صحيح ؟ إننى هنا طوع أمرك . إنك بحاجة لوجهة نظر امرأة معك " .

قال : " حقاً ، إن كل ما أحتاجه هو بعض الخصوصية . اتفقنا ؟ سوف أبلغك إذا توصلت لأى شيء آخر " . واستدار فجأة وسار مبتعداً عنها .

نادت من ورائه : " كلا ، لن تفعل ذلك " .

قال مواصلاً سيره : " كلا ، لن أفعل " .

على مستوى ما ، كانت حتى المضايقات المشتتة للانتباه تمثل نوعاً من الراحة بالنسبة له . فما إن تحول عن الصحافية بلوم مبتعداً حتى عاد عقله إلى حالة التشوش المزعجة التى تلازمه .

لماذا أنا ؟ لماذا قامت مارى المخبولة باختيارى أنا ؟ لماذا لم تختر الصحافية جينى بلوم مثلاً ؟

هل سيتكرر الأمر اليوم أيضاً ؟ جريمة أخرى تثير الانتباه والرأى العام ؟

وهذا ما كان فعلاً .

الفصل ٢٤

ترامى صوت أنثوى هادئ ومتزن : " خط شرطة النجدة تسعة واحد واحد ، ما هى الحالة الطارئة ؟ "

" أنا آرنولد جرينر من صحيفة لوس أنجلوس تايمز . من المفترض بى أن أتصل بالمحققة جين جاليتا ، ولكننى لم ... لم أستطع العثور على رقمها على مكتبى . أنا آسف . أنا مشوش قليلاً الآن . إننى حتى لا أستطيع العثور على حافظة بطاقات التعارف الخاصة بى " .

" سيدى ، أهذه مكالمة طلب نجدة ؟ هل تحتاج لمساعدة ؟ "

" نعم ، إنها كذلك بالطبع . فقد يكون أحدهم لقى مصرعه . لا أدرى كم من الوقت مر على ذلك ، أو حتى إذا كان قد وقع أصلاً . فهل اتصل بكم أحد بشأن واحدة اسمها مارتى لوينشتاين ـ بيل ؟ "

" سيدى ، لا أستطيع أن أعطيك هذه المعلومات " .

" لا يهم . كل ما عليك هو إرسال أحدهم إلى منزل لوينتشتاين ـ بيل . أعتقد أنها قتلت . أكاد أكون متأكداً " .

" كيف يمكنك أن تكون متأكداً ؟ "

" أنا متأكد ، وأكاد أكون على يقين أن هناك جريمة قتل " .

" ما هو العنوان ؟ "

" العنوان ؟ يا الله ، أنا لا أعرف العنوان . من المفترض أن تكون الجثة فى حمام السباحة " .

" هل أنت فى المنزل الآن ؟ "

" كلا . كلا . اسمعينى ، هذه هى .... لا أدرى كيف يمكننى أن أوضح لك الأمر . إنها قضية جرائم القتل المسماة بمارى سميث . جرائم قتل مشاهير هوليود . هل تعرفين ما أتحدث عنه ؟ "

" حسناً سيدى ، أعتقد أننى أفهمك . ما هو الاسم مرة أخرى ؟ "

" لوينشتاين ـ بيل . اسمها الأول مارتى . إننى أعلم أن اسم زوجها هو مايكل بيل . قد تكتشفون ما وراء هذا . إننى لا أدرى يقيناً أنها توفيت . لقد تلقيت فقط هذه الرسالة الرهيبة . إننى صحافى فى لوس أنجلوس تايمز . واسمى هو آرنولد جرينر . والمحققة جاليتا تعرف من أكون " .

" سيدى ، إن لدى المعلومات الآن . سأضعك على الانتظار لدقيقة واحدة فقط ... " .

" كلا ، لا تضع .... " .

الفصل ٢٥

أسرع مكتب شرطة لوس أنجلوس بعمل اتصال فى الساعة ٨,٤٢ صباحاً ، وقد أرسل ضباط الشرطة ، والسيارات ، وفريق الطوارئ الطبى إلى عنوان لوينشتاين ـ بيل فى بيل إير .

وتلقى خط الطوارئ ٩١١ مكالمتين حول الحادثة نفسها لا تفصل بينهما إلا دقائق قليلة . كانت المكالمة الأولى من صحيفة لوس أنجلوس تايمز . وجاءت المكالمة الثانية من منزل لوينشتاين بيل نفسه .

أول من وصل إلى هناك هما الضابطان جيف كامبل وباتريك بينيك . ارتاب كامبل قبل وصولهما أنها جريمة قتل أخرى لأحد المشاهير . حيث كان العنوان غير معتاد لهذه النوعية من الاتصالات ، لكن الإفادة ذكرت أن الضحية هى أنثى بالغة . مع احتمال وجود جراح بالسكين . كان الزوجان اللذان يمتلكان المنزل كلاهما من أعلام هوليود . وهو يضيف المزيد إلى الأزمة على كل حال .

فى ممشى السيارات الخاص بالمنزل ، كانت تنتظر هناك خادمة قصيرة سوداء الشعر ترتدى زياً رسمياً أبيض ورمادياً . كانت تعصر شيئاً

يبدو كمنشفة . وفيما اقترب ضابطا الدورية أكثر ، استطاعا رؤية أن المرأة كانت تبكى وتدور حول نفسها .

قال بينيك : " عظيم . هذا ما كان ينقصنا تماماً ، إنها تبدو أسبانية حمقاء لا تنطق كلمة إنجليزية واحدة وتتصرف كالمجانين " .

أجاب عليه كامبل بنفس الطريقة التى يستخدمها مع زميله الأصغر سناً والمزعج بتحيزه العرقى على الآخرين : " اخرس يا بينيك . لا أحب سماع ما تقول . إنها مرتعبة وحسب " .

ما إن خرجا من السيارة حتى أصيبت الخادمة بنوبة هيستريا وأخذت تردد كلمة أسبانية لم يفهمها الضابطان . وهى تشير لهم نحو الباب الأمامى .

كان المنزل مبنياً على الطراز الحديث من الحجر والزجاج على جبال سانتا مونيكا . وحين اقترب الضابط كامبل استطاع أن ينظر خلال المدخل الزجاجى أخضر اللون ليرى الباحة الخلفية والمشهد البحرى من ورائها .

ما هذا الذى هناك على زجاج الباب الأمامى ؟

كان شيئاً لا صلة له بالمكان . إنها علامة ورقية أو ملصق من نوع ما . رسمة أطفال صغار ؟ بحرف (أ) كبير عليها . كان عليه أن يهدئ الخادمة ويمسك بها من أعلى ذراعها .

" اهدئى يا سيدتى ، من فضلك " .

قد تكون المرأة سمعته وقد تكون لم تسمعه . وراحت تتكلم باللغة الأسبانية بأسرع مما يمكن له أن يفهمه . وأشارت نحو المنزل أكثر من مرة .

أصر بينيك قائلاً : " لندخل وكفى . إنا نضيع الوقت معها . إنها امرأة مجنونة " .

وصلت سيارتان أخريان من سيارات المطاردة وعربة إسعاف ، تحدث واحد من فريق المساعدة الطبية مع الخادمة بشكل أسرع وأكفأ .

قال : " فى حمام السباحة بالخلف . ما من شخص آخر ها هنا على حد علمها " .

قال بينيك : " إنها لا تعلم أى شيء على الاطلاق " .

قال كامبل : " حسناً انتشروا . " وسلك هو وبينيك الجانب الشمالى للمنزل ، وأسلحتهما مشهرة . الفرق الأخرى اتجهت جنوباً ، عبر مجموعة من شجيرات السياج .

أحس كامبل باندفاعة مادة الأدرينالين القديمة فى جسده بينما كانا يشقان طريقهما عبر عنقود كثيف من شجيرات الأرطاسية . لقد اعتاد أن تكون مكالمات الإبلاغ عن جرائم القتل أمراً باعثاً على النشاط والتحمس . والآن فهى لا تثير فيه إلا إحساساً بالدوار والخوف .

دارت عيناه عبر الشجيرة الكثيفة بقدر ما أمكنه . مما يعرفه عن جرائم القتل الخاصة بمشاهير هوليود ، فمن المؤكد أن القاتل لم يعد له وجود ها هنا .

قال هامساً لشريكه راعى البقر ذى التسعة والعشرين عاماً الذى يعيش فى كاليفورنيا والذى غالباً ما يكون أحمق فى معظم الأوقات ، قال هامساً له : " هل ترى أى شيء ؟ "

أجابه بينيك قائلاً : " نعم ، حزمة أزهار ، إننا أول من وصل هنا . لماذا تجعلهم يسبقوننا هكذا ؟ "

كظم كامبل رده الفورى . قال : " اجعل عينيك مفتوحتين ، قد يكون القاتل مازال هنا " .

" هذا أملى " .

دخلا إلى باحة الخلفية من المر الأسود المصقول . ويهيمن على الباحة حمام سباحة لا نهائى المساحة معتم القاع . بدا أن الماء يفيض للأعلى وفوق حافة مدخل الشرفة .

قال كامبل : " ها هى هناك " .

كانت تطفو جثة امرأة بيضاء مكشوفة ووجهها للأسفل ، وقد تعامد ذراعاها على بدنها . كانت ترتدى ثوب سباحة ليمونياً من قطعة واحدة . وكان شعرها الطويل الأشقر مفروداً برقة فوق سطح الماء .

قفز واحد من فريق المساعدة الطبية إلى حمام السباحة وقلب الجثة بشيء من الصعوبة . وضع إصبعاً على رقبتها ، لكن بالنسبة لكامبل كان من الواضح بالفعل أنه ما من نبض في جسمها .

امتعض وجه كامبل قائلاً : " اللعنة ! وأشاح بنظره بعيداً ، ثم عاد للنظر مرة أخرى . راح يتنفس نفساً عميقاً ليحتفظ بنفسه هادئاً . من اللعين الذى يمكنه أن يقترف شيئاً كهذا ؟ كانت ملامح المرأة المسكينة مطموسة فعلياً من الرقبة فيما أعلى . كان وجهها كتلة من اللحم الممزق وقد اصطبغت مياه المسبح فيما حول الجثة بلون وردى فاتح .

اقترب بينيك لينظر عن قرب وقال : " إنه نفس القاتل . أراهن على أى شيء . إنه نفس القاتل المعتوه الذى فعل هذا . " وانحنى نحو المسبح ليعاون فى جذب المرأة للخارج .

صاح كامبل : " مهلاً . " وأشار نحو مساعد الفريق الطبى الذى كان لا يزال فى الماء ، قال له : " أنت ، اخرج من المسبح . اخرج من المسبح الآن فوراً " .

نظروا جميعاً إلى كامبل بوجوه متحجرة ، لكنهم أدركوا أنه على صواب . وحتى بينيك لم ينطق بكلمة . لم يكن هناك من معنى لإضافة المزيد من آثارهم على مسرح الجريمة حتى يصل إلى هناك فريق البحث الجنائى . عليهم أن يتركوا الضحية حيث كانت .

" يا جماعة ! يا جماعة ! " .

تطلع كامبل نحو الأعلى حيث وقف ضابط آخر ، هو جيرى تاونلى ، نادى عليهم من نافذة مفتوحة بالدور العلوى . قال لهم : " إن المكتب هنا تم تخريبه تماماً . كُسرت الصور والأدوات والزجاج وكل شيء . وإليكم هذا . مازال الكمبيوتر يعمل وهو مفتوح على برنامج إرسال البريد الإليكترونى ! يبدو أن أحدهم كان يبعث برسالة قبل أن يذهب " .

الفصل ٢٦

إلى : agriner@latimes.com

من : مارى سميث

إلى : مارتى لوينشتاين . بيل

لقد راقبتك وأنت تتناولين عشاءك الليلة الماضية . أنت وأسرتك الجميلة من خمسة أفراد . ما ألطفكم وأرقكم . " الأم خير من يعلم " كما يقول المثل . وراء تلك الجدران الزجاجية شديدة النظافة ، وهو ما سهل مراقبتى للحد الأقصى . لقد استمتعت برؤيتك مع صغارك فى العشاء الأخير .

لقد استطعت أن أرى فعلاً الأطعمة شهية المنظر . على أطباقكم ، التى أعدتها الطاهية والمربية الخاصة بكم بالطبع . كنتم تستمتعون بقضاء وقت طيب معاً ، ولم يكن فى هذا بأس بالنسبة لى . لقد أردت أن تستمتعى خلال ليلتك الأخيرة . وأردت خصوصاً أن يحظى الصغار بذكرى تدوم لك . والآن لقد حظيت أنا أيضاً بذكرى لهم .

لن أنسى ما حييت وجوههم الحلوة ، أبداً ، لن أنسى صغارك أبداً يا مارتى . ولتثقى فى هذا .

يا لروعة منزلك الجميل يا مارتى ، كما يليق بمؤلفة ومخرجة مهمة . هل هذا الترتيب الصحيح ، بالمناسبة ؟ أظن هذا .

لم أدخل إلا فيما بعد ، عندما كنت تضعين الفتيات فى أسرتهم ، تركت باب الباحة مفتوحاً من جديد ، وهذه المرة استخدمت الباب .

لم أستطع كبح جماح نفسى . أردت أن أرى الأشياء بالضبط كما ترينها ، من الداخل إلى الخارج .

لكننى مازلت لا أفهم لماذا يشعر كل الأثرياء بهذا القدر من الأمان فى منازلهم . فتلك القلاع الضخمة لا يمكنها حمايتكم إذا لم تنتبهوا جيداً . وأنت لم تنتبهى . أنت لم تلقى أدنى قدر من الانتباه . هل تعود مشاغلك الزائدة عن الحد إلى الأمومة أم إلى النجومية ؟

استمعت إليك وأنت بالدور العلوى ، تقومين باللازم حتى ينام البنات . لقد تأثرت لهذا بدرجة ما ، وأنا جادة فيما أقول . لعلك ظننت أنك ستكونين آخر شخص يلقى عليهم نظرة ، لكن هذا غير صحيح .

فيما بعد ، عندما راح الجميع فى النوم ، نظرت إلى كل واحدة من تلك الفتيات فى أسرتهن ، يتنفسن فى سكينة وسلام . كن أقرب إلى ملائكة لا يشغلهن شاغل من هموم دنيانا .

لم أكن مضطرة أن أخبرهن بألا يقلقن بشأن أى شيء ، لأنهن بالفعل غير قلقات بشأن أى شيء . كان الأمر بالنسبة لك هو النقيض تماماً . قررت أن أنتظر حتى الصباح ، بحيث أستطيع الانفراد بك أيتها المخرجة .

ولقد سعدت بانتظارى هذا حقاً . أخذ زوجك ، مايكل ، البنات للمدرسة صباحاً . هذا دوره على ما أحسب . كان هذا من حسن طالع الجميع ، ومن حسن طالعه هو على وجه الخصوص . فسوف يعيش ، ولن تشاهديه وهو يموت . ونلت منك على النحو الذى أردته ، تماماً على النحو الذى طالما تخيلته لفترة طويلة .

وإليك ما حدث عندئذ يا مارتى .

بدأ آخر نهار لك كما يبدأ أى نهار آخر . قمت بطقوسك الصباحية العزيزة عليك ثم توجهت للسباحة فى المسبح . خمسون مرة تقطعينه سباحة

كالعادة . لابد أنه من اللطيف امتلاك مسبح كبير كهذا . مزود بسخان للماء كذلك . وقفت أشاهدك تنزلقين إلى الأمام وإلى الخلف فى المياه الزرقاء المتلألئة . وبالرغم من أننى كنت شديدة القرب منك فقد استلزمك وقت طويل لرؤيتى .

عندما نظرت أخيراً لأعلى ، لابد أنك كنت مرهقة ، أكثر إرهاقاً من أن تصرخى كما أظن . كل ما استطعت فعله هو الاستدارة . لكن هذا لم يمنعنى من إطلاق الرصاص عليك أو من تقطيعى لوجهك الجميل إلى خرق ومزق .

أتعرفين يا مارتى ؟ لقد كان هذا هو الجانب الأمثل فى الأمر كله . لقد بدأت أحب تشويه الوجوه حقاً .

والآن ، دعينى أسألك سؤالاً أخيراً : أتعرفين لماذا كان لابد أن تموتى ؟ أتعرفين ماذا فعلت لتستحقى هذا ؟ أتعرفين يا مارتى ؟ أتعرفين ؟

إننى أشك فى هذا .

الفصل ٢٧

لكن لم يكن هذا هو النحو الذى جرت عليه الأمور بالضبط ، هذا ما يعرفه راوى الحكاية .

بالطبع ، لم يكن سيخبر صحيفة لوس أنجلوس تايمز والشرطة بكل شيء ، سيخبرهم فقط بما يحتاج أن يعرفهم به ، فقط بما من شأنه أن يساعد على تصديقهم للقصة التى يريدها .

كانت قصة جميلة جداً . قصة غير عادية إذا لم يقل هذا هو نفسه . مارى سميث ! يا الله . حكاية رعب كلاسيكية كما لم تكن من قبل .

وعلى ذكر الحكايات ؛ فقد سمع حكاية طيبة ذات يوم - " اختبار المختلين نفسياً " . كان من المفترض أن يُعلمك هذا الاختبار إذا كنت من بين المختلين عقلياً أم لا . فإذا أجبت الجواب الصائب فإنك مختل . وتجرى القصة على النحو التالى . تلتقى امرأة شابة برجل فى جنازة أمها ، وتقع فى حبه فوراً . لكنها لا تحصل بأى شكل على اسمه ، أو رقم هاتفه ، ولا تعرف أى شيء عنه ،

بعد أيام قليلة ، تقتل هذه المرأة شقيقتها .

والآن .... الاختبار ! لماذا قتلت شقيقتها ؟ وإذا أجبت الجواب المناسب فأنت تفكر تفكير المختلين عقلياً .

ولقد أجاب راوى الحكاية الجواب المناسب طبعاً . لقد توصل إليه فى الحال . قتلت هذه المرأة شقيقتها .... لأنها تأمل أن يظهر الرجل الذى أحبته فى الجنازة .

على أى حال ، فبعد أن قَتَلَ مارتى لوينشتاين - بيل ، كانت معنوياته فوق السحاب ، لكنه أدرك أن عليه البقاء تحت نطاق السيطرة ، بدرجة أكثر أو أقل على أية حال . لابد أن يحافظ على مظهره الطبيعى .

لذا فقد هرع إلى العمل من جديد .

راح يتجول فى الردهات بمبنى مكتبه فى باسدينا ويتحدث إلى نصف دستة من الزملاء حول أمور مملة جداً ، مملة فى العادة وخاصة هذا اليوم . كان يرغب فى إخبار كل واحد منهم بما حدث تواً - يحدثهم عن حياته السرية ، وأنه ما من أحد يدرك حقيقة شخصيته ، حول قدر ذكائه وبراعته ، حول مدى عبقريته فى التخطيط والتنسيق والقتل .

يا الله ! كم يحبون استخدام هذه الكلمة على الدوام - كان أمراً قاتلاً - ياله من قاتل - هذا الشخص له نظرة قاتل ، أنه يتصرف مثل قاتل ، لكن هذا كله ليس إلا لغواً فارغاً بالنسبة له ...

كل هؤلاء جميعاً جبناء وضعاف النفوس . لا يعلمون ما معنى القتل الحقيقى . لكنه يعلم بالطبع .

وهو يعلم أيضاً شيئاً آخر - لقد أحب القتل حباً جماً ، أكثر حتى مما تخيل . وكان بارعاً فيه .

انتابته رغبة مفاجئة تدفعه لأن يستل مسدسه فى المكتب ويروح يطلق الرصاص على كل ما يتحرك ، أو يصيح أو يصرخ .

ولكن سحقاً ، ما كان هذا إلا خيالات ، وأحلام يقظة صغيرة غير ضارة - وهو ما لا يرقى أبداً إلى القصة الحقيقية ، قصته ، قصة مارى ، والتى كانت أفضل بما لا يقارن .

الفصل ٢٨

"**آلكس ، لقد اتصل مكتبك من مركز التحقيقات الفيدرالية** مئات المرات ، واضطررت للتوقف عن الرد على الهاتف . يا إلهي ، ما خطب هؤلاء الناس ؟ " . هكذا قالت لي عمتي الكبرى تيا وهي تجلس إلى مائدة المطبخ بالمنزل ، وتبدي إعجابها بالوشاح الملون الذي اشتريناه لها امتناناً لاعتنائها بالمنزل أثناء وجودنا بكاليفورنيا . جلست الجدة نانا بجوار تيا ، وراحت تصنف كومة سميكة من رسائل البريد .

كانت قطتنا روزي بالمطبخ ، وإذا لم أكن مخطئاً فقد بدت أثقل قليلاً . راحت تحتك بساقي في قوة ، كما لو كانت تقول لي **لقد افتقدتك للغاية ، لكني سعيدة بعودتك . إن تيا طباخة ممتازة بكل تأكي** .

أنا كذلك كنت سعيداً بعودتي . أظن أننا جميعاً كنا سعداء ، بدرجة أو بأخرى ، وما فعلته كرستين من أخذ آلكس إلى سياتل قد وضع حداً لعطلتنا ، أو على الأقل وضع حداً لبهجة العطلة . كانت محادثتي الوحيدة معها تتسم بالتوتر وبالحزن كذلك ، كنت أنا وهي مسيطرين على

أنفسنا قدر استطاعتنا ، وقد عقدنا العزم ألا نفقد هدوءنا ، فانتهى بنا الأمر إلى ألا نجد شيئاً نقوله .

لكن كرستين تثير قلقي - بتقلباتها وعدم ثباتها الذي شهدته في تلك الأيام طوال الوقت . كنت أتساءل كيف تتعامل مع آلكس الصغير حين لا أكون موجوداً . إن آلكس لا يشكو أبداً ، لكن الأطفال في سنه نادراً ما يشكون .

لقد عدت الآن إلى مطبخ منزلي بواشنطن العاصمة ، وأشعر كما لو أنني لم أغادره على الإطلاق . اليوم الخميس . لدى وقت حتى صباح الاثنين لأعود للتفكير في العمل - وهو قرار لم يدم أكثر من خمس دقائق .

بحكم العادة تقريباً ، رحت أجول بمكتبي في الدور العلوي . ألقيت حزمة الرسائل على المكتب ، ودون أن أفكر بالأمر أدرت جهاز تلقي الرسائل الصوتية .

خطأ ضخم . بل يكاد يكون خطأ قاتلاً .

كان بانتظاري تسع رسائل صوتية جديدة .

كانت أولاها من توني وودز بالمكتب .

" مرحباً يا آلكس . لقد حاولت أن أطلبك على جهاز الاستدعاء الآلي الخاص بي على مكتب المدير بيرنز بأسرع ما يمكن . وأرجو أن تعتذر لجليسة منزلكم بالنيابة عني . أظن أنها تظن أنني أطاردك . ربما لأنني أطاردك بالفعل . اتصل بي " .

ابتسمت ابتسامة خفيفة للمزاج الثقيل الخاص بتوني وبدأت الرسالة الثانية منه أيضاً .

" آلكس ، هذا تونى وودز مرة أخرى . أرجـوك اتصـل بـى بأسـرع مـا يمكنك . فهناك حادثة أخرى وقعت من قضية جرائم القتـل بكاليفورنيـا . إن الأمور تخرج عن السيطرة بلا جدال . هناك حالة هيستيريا تنتشـر فـى لوس أنجلوس . لقد أفشت صحيفة لوس أنجلوس تايمز أخيراً عن حكايـة الرسائل الإليكترونية التى ترد من مارى سميث . اتصل بى ، فـالأمر مهـم يا آلكس " .

يعلم تونى بما يكفي أهمية ألا يترك تفاصيل محددة كثيرة على الهاتف المنزلى . لكن لعله أيضاً كان يحاول إثارة فضولى بغموضه .

ولقد نجح فى هذا .

الفصل ٢٩

كنت واثقاً بما يكفى أن الضحية الجديدة ستكون أماً أخرى من مشـاهير هوليود ، ولكننى لم أستطع كبح جماح نفسـى مـن التسـاؤل حـول مـا إذا كانت أساليب مارى سميث قد استمرت فى التطور . وماذا بشأن الرسـائل الإليكترونية لصحيفة التـايمز ؟ لـن تفصح نشـرات الأخبـار التليفزيونيـة والمواقع الإليكترونية إلا عن نصف القصة ، فى أحسن الأحوال .

إذا أردت أن أعرف المزيد ، فعلىَّ أن أتصل بالعمل .

كلا ، هكذا ذكرت نفسـى . لا للعمـل حتـى يـوم الاثـنين . لا لجـرائم القتل . لا لمارى سميث .

صفر الجهاز من جديد ، وانبعث صوت رون بيرنز . كـان مـوجزاً فـى كلامه ودقيقاً ، كما هى عادته دائماً .

" آلكـس ، لقـد تم اتصـال بينـى وبـين فريـد فـان آلسـبرج فـى لـوس أنجلوس . لا تشغل بالك به ، لكننى فعلاً أحتاج لأن أطـرح عليـك بضـعة أسـئلة . والأمـر مهـم . ومرحبـاً بعودتـك إلى واشـنطن ، مرحبـاً بعودتـك للديار " .

ثم كان هناك اتصال آخر من رون بيرنز ، ولا تزال تغلب على صوته نبرة الاعتدال .

" آلكس ، إن لدينا اجتماعاً هاتفياً الأسبوع المقبل ، ولا أريدك أن تنضم إلينا فاقداً لحماسك . وإذا اضطررت لذلك فاتصل بى فى منزل خلال عطلة نهاية الأسبوع . كما أود أيضاً أن تتحدث إلى المحققة جاليتا فى لوس أنجلوس ، فإنها مطلعة على أمر ما تحتاج أنت لمعرفته . إذا لم يكن لديك أرقام هواتفها . فإن تونى يمكنه إحضارها لك " .

كان مضمون كلامه واضحاً ، لم يكن رون بيرنز يطلب منى أن أبقى فى العمل على هذه القضية . بل إنه يقر ذلك كأمر واقع . يا إلهى ، لقد سئمت هذا ــ جرائم القتل ، القضايا الشنيعة ، واحدة تلو الأخرى . وفقاً لتقديراتنا بمكتب التحقيقات ، فإن هناك ما يزيد على ثلاثمائة قاتل محترف صاحب أسلوب خاص موجودين حالياً فى الولايات المتحدة . سُحقاً ، هل يفترض بى أن أطارد هؤلاء جميعاً ؟

ضغطت زر التوقف على الجهاز لآخذ ثانية هدوء وأقرر شعورى حول ما يجرى ها هنا . عادت أفكارى مباشرة إلى مارى سميث . سمحت لها بالتسرب لعقلى من جديد . لقد استحوذت على اهتمامى ، وفضولى ، وعلى ذاتى غالباً . قاتلة أنثى ترتكب سلسلة من الجرائم ـ هل هذا ممكن ؟ وتقتل نساء أخريات ؟ بل وأمهات ؟

لكن لماذا ؟ هل يمكن لامرأة أن تقدم على هذا ؟ لا أعتقد هذا . لا يمكننى أن أتخيل وقوع هذا ، وهو ما لا يعنى عدم وقوعه أساساً .

كما تساءلت إذا كان آرنولد جرينر قد تلقى رسالة إليكترونية أخرى ، وما الدور الذى يلعبه جرينر ، أو تلعبه صحيفة لوس أنجلوس تايمز ، فى هذا كله ؟ هل لدى مارى سميث بالفعل ضحية تالية أمام عينيها ؟ ما هو دافعها ؟

كان هذا هو خيط الأفكار الذى استحوذ علىّ فى نهاية الأمر . هناك امرأة مطمئنة ، وهى أم ، على وشك أن تفقد حياتها قريباً بلوس أنجلوس ، تاركة وراءها زوجاً وأطفالاً فى الغالب . لهذا الأمر وقع شديد

علىّ ، وأعتقد أن بيرنز كان على علم بهذا حينما اتصل . بالطبع كان على علم بهذا .

قبل سنوات عديدة ، أصيبت زوجتى ماريا خلال تبادل لإطلاق نار من سيارات على الطريق . ولقيت ماريا حتفها بين ذراعى . لم تتم إدانة أحد ، وحتى لم يقبض على أحد . كانت أكبر قضاياى ، وقد خسرتها . كان الأمر مروعاً ومدمراً . والآن هذه القضية البشعة بلوس أنجلوس . لست محتاجاً لدرجتى العلمية التى نلتها فى علم النفس لأدرك أن مارى سميث تلك تضغط على كل أزرارى ، سواء الشخصية أو المهنية .

قلت لنفسى قد يكون علىّ تفقد الأمر وكفى . إضافة إلى أن بيرنز على صواب ـ فلم أرغب فى الظهور يوم الاثنين صباحاً وقد تجاوزتنى الأحداث .

سحقاً يا آلكس إنك تضعف .

وعندما التقطت الهاتف على الرغم من ذلك اندهشت لسماع صوت ديمون يتحدث على الخط بالفعل .

قال على الخط : " نعم ، لقد اشتقت إليك أنا أيضاً . وكنت أفكر فيك . أقسم لك إنى كنت أفكر فيك طوال الوقت " .

ثم إجابة صوت فتاة مراهقة تضحك قائلة : " هل أحضرت لى أى شىء من كاليفورنيا يا داى ؟ لعبة أذنى الفأر مثلاً ؟ مثلاً ... مثلاً ... ؟ " .

أرغمت نفسى على وضع السماعة ، بكل هدوء .

قال لها : نعم ، لقد اشتقت إليك أنا أيضاً ؟ من هى هذه الفتاة ؟ ومنذ متى كان لدى داى أسرار يخفيها ؟ إننى خدعت نفسى بالاعتقاد أنه إذا ظهرت فتاة فى حياته فسوف يخبرنى بشأن هذا . بدا هذا فجأة وهماً ساذجاً من جانبى . لقد مررت بسن الثالثة عشرة أنا كذلك . فما الذى كنت أعتقده ؟

مـرت لحظـة مراهقـة . هنـاك حـوالى مليـونى لحظـة مراهقـة ستمر . سأمنحه خمس دقائق أخرى ثم سأخبره أنه آن الأوان لإغلاق الخط . أثناء هـذا عـدت إلى جهـاز الرسـائل الصـوتية ـ حيـث كانـت رسـالة أخـرى بانتظارى .

وقد كانت رسالة مشوشة للعقل حقاً .

الفصل ٣٠

"**آلكس ، هذا بن آباجيان** اتصل يوم الخمـيس ، إنهـا الواحـدة والنصـف بتوقيتى فى سياتل . استمع إلىّ : أخشى أن لدىَّ أخباراً سيئة لك .

يبدو أن محامى كرستين قد بدأ التحرك من أجل الحضانة النهائية وقد تحدد موعد الجلسة ها هنا . لستُ متأكداً من قدرتى على تعطيـل الأمـر ، أو ما إذا كان ينبغى علينا ذلك ، هناك المزيد لأخبرك بـه ، لكنـى أفضـل ألا أبلغك به قبل أن نتحادث . أرجو أن تتصل بأسرع وقت ممكن " .

ارتفعت وتيرة نبضات قلبى . إن بن آباجيان هو المحامى الخاص بـى فى سياتل . ولقد وكلته بعد أن أخذت كرستين آلكس الصغير ليعيش معها مباشرة ، ولقد تحادثنا عشرات المرات منذ ذلك الحـين ـ علـى نفقتـى ، بالطبع .

إنه محام ممتـاز ، ورجـل صـالح أيضـاً ، لكـن رسـالته كانـت علامـة سيئة . أظن أن كرستين قد فسـرت مـا حـدث فـى كاليفورنيـا تفسـيرها الخاص وتصرفت بناءً على هذا ، متجهة إلى مستشارها فوراً .

مع فارق التوقيت بالنسبة للغرب ، كان لا يزال بوسعى أن ألحق ببن آباجيان بمكتبه . لقد حاول أن يعطينى صورة إيجابية ، لكن نبرة صوته كانت تنذر بالسوء .

" آلكس ، إنه وضع مؤقت وحسب ، لكنهم كذلك تقدموا بطلب أخذ الحضانة البدنية المقصورة عليهم وحدهم بالنسبة لآلكس الصغير إلى أن يحين وقت الجلسة الأخيرة . وقد وافق لهم القاضى على ذلك . أنا آسف أننى مضطر لإخبارك بهذا " .

اعتصرت سماعة الهاتف بشدة فى قبضة يدى . كان من العسير علىّ أن أجيبه ، أو حتى أن أستوعب ما أخبرنى به . لم تتعامل كرستين بهذه العدوانية قبل ذلك أبداً . والآن يبدو أنها تحاول منعى من مجرد رؤية آلكس الصغير . وقد نجحت فى حقيقة الأمر ، ولو مؤقتاً على الأقل .

" آلكس ، هل مازلت على الخط ؟ "

" نعم يا بن . أنا معك . ولكن عفواً ، امنحنى ثانية واحدة " . وضعت الهاتف جانباً وتنفست بعمق . ليس من الصالح الاستسلام للإحباط الآن ، أو أن أنفجر على الهاتف . فليس هذا خطأ بن على الإطلاق .

وضعت السماعة على أذنى مرة أخرى ، سألته : " ما هو أساس الدعوى ؟ " لعله أمر آخر غير ذلك الذى أعلمه بالفعل ، أو أرتاب به على الأقل .

" الاهتمام بسلامة وأمان آلكس . وقد قام مطلبهم على عمل الشرطة الخطر الذى كنت تقوم به خلال وجودك معه بكاليفورنيا . وعلى حقيقة أنك كنت غالباً قد تهاونت فى التزاماتك أثناء ما كان فى رعايتك بديزنى لاند " .

" كل هذا هراء يا بن . إنه خلط كامل للحقائق . لقد تمت استشارتى فى قضية من قبل شرطة لوس أنجلوس " .

قال : " هذا ما افترضه حتى الآن ، إن محاميتها هى آن بيلنجزلى . وهى ليس من المستبعد عليها أن تؤدى بعض الحركات الاستعراضية القليلة ، حتى فى هذه المرحلة . فلا تجعلها تنال منك ، متفقين ؟ "

واصل بن كلامه قائلاً : " علاوة على هذا ، فهناك أخبار جيدة لك عندى ، وصدق أو لا تصدق هذا . إن موعد المحاكمة فى وقت مبكر مما يعنى أن لديهم وقتاً قليلاً حتى يثبتوا الوضع الراهن ، كأمر واقع فى ظل الترتيب الجديد . مما يعنى أن القاضى لا يفترض به أن يضع هذه الترتيبات المؤقتة فى الحسبان ، لكنها أشبه بإنقاذ ما لا يمكن إنقاذه . وهكذا فكلما كان الأمر أسرع فهذا أفضل حقا . لقد حالفنا الحظ فعلياً لأن يكون موعد المحاكمة مبكرا هكذا " .

قلت : " عظيم ، لقد حالفنا الحظ أخيراً " .

أخبرنى بن أن أكتب تقريراً لما جرى فى كاليفورنيا بالضبط . وبناء على نصيحته كنت أسجل يومياتى منذ أن وكلته . مما يشمل الوقت الذى أقضيه مع آلكس ، والأمور التى ألحظها فى تنشئته ونموه ، الصور العائلية ، وربما الأهم من ذلك كله أى مآخذ لدىّ بشأن كرستين . وقد انتشلت ابننا من بين ذراعى قبل الموعد المتفق عليه بيومين ، فى حقيقة الأمر تلك التقلبات فى شخصيتها كانت من بين المآخذ ، وهى مسببة لمشاكل جذرية . فهل كان هذا المنعطف الأخير واحداً من بين تقلباتها ؟

قال بن لى : " هناك أمر آخر . قد لا يروق لك كثيراً " .

" اسمع يا بن ، أوجد لى شيئاً يروق لى فى هذا كله ، وسوف أضاعف لك أتعابك " .

" حسناً ، واحدة من أقوى الحجج لديك ستكون خاصة بعلاقة آلكس مع شقيقيه " .

قلت دون انفعال : " لن يقف ديمون وجانى كشاهدين أمام المحاكمة . هذا مرفوض تماماً يا بن ، لن أسمح به " .

كم من المرات رأيت فيها شهوداً بالغين وراشدين ينهارون فى قاعة المحكمة ؟ أكثر من أن أفكر حتى فى وضع أطفالى هناك .

طمأنني بن قائلاً : " لا ، لا ، لا . بالطبع لن يحدث هذا . لكن سيكون لهذا أثر إيجابى إذا حضرا جلسة الاستماع ، أنت ترغب فى استعادة آلكس ، أليس كذلك ؟ هذا هو هدفنا ، صحيح ؟ إذا كنت مخطئاً فى هذا الشأن ، فلا أريد أن أضيع وقتاً على قضيتك " .

رحت أدور بناظرى فى غرفة مكتبى ، كما لو أننى أفتش عن إجابة سحرية من نوع ما لسؤاله . قلت أخيراً : " سوف أضطر للتفكير فى هذا الشأن . وسأتصل بك لاحقاً " .

" تذكر الصورة الكلية يا آلكس . لن يكون الأمر مصدراً للسرور ، بل أبعد ما يكون عن هذا ، لكن سيكون جديراً بالتضحية على المدى البعيد . يمكننا أن نفوز فى هذه المعركة . وسوف نفوز " .

كان هادئاً للغاية ورابط الجأش . بالطبع لا أتوقع منه أن يصير عاطفياً ـ كل ما هنالك أننى لست فى مزاج يسمح لى بمناقشة متعقلة مع محامى .

سألته : " هل يمكننا أن نتحدث غداً فى الصباح الباكر ؟ "

" بالطبع ، ولكن اسمعنى ، إياك وفقدان الأمل عندما نقف أمام القاضى ، ستكون بحاجة لأن تثق من كل قلبك أنك أفضل أب من أجل ولدك . لا يعنى هذا أن علينا أن نبالغ فى انتقاد كرستين جونسون ، ولكن إياك والظهور بمظهر المهزوم ، أو حتى أن تستسلم لهذا الشعور . اتفقنا ؟ "

" لستُ مهزوماً . ولا حتى أكاد أكون مهزوماً . فلن أخسر ولدى يا بن . لن أخسر آلكس " .

" سأفعل كل ما يمكننى لأتأكد أن هذا لن يحدث . سأتحدث إليك غداً . اتصل بى فى العمل أو فى المنزل . لديك رقم هاتفى الخلوى ، أليس كذلك ؟ "

" إنه لدىّ " .

لم أدر ما إذا كنت ودعت بن بأى تحية أو ما إذا كنت قد وضعت السماعة قبل أن ألقى بالهاتف عبر الغرفة " .

الفصل ٣١

نادت الجدة قائلة من الأسفل : " ما الذى يجرى هناك بالأعلى ؟ "

" أكل شيء على ما يرام يا آلكس ؟ ماذا حدث ؟ "

نظرت إلى الهاتف المهشم على الأرضية وشعرت بأنى على شفا الجنون ، رددت عليها منادياً : " لا بأس ، لقد أوقعت شيئاً ، كل شيء على ما يرام " .

حتى الكذبة الصغيرة لم تكن منسجمة معى ، لكنى لم أكن أستطع مواجهة أى شخص الآن . ولا حتى الجدة . ابتعدت عن مكتبى وأحنيت رأسى ما بين ركبتى . كرستين اللعينة . ما خطبها ؟ كان ما فعلته بعيداً عن الصواب ، فكيف لم تدرك هذا ؟

فليس هناك وسيلة أسوأ من هذه يمكن لها أن تختارها لخوض هذا الأمر . كانت هى الطرف الذى اختار الانفصال ، وقالت إنها لا تصلح كأم لآلكس . وقد أخبرتنى بهذا . لقد استخدمت كلمة (لا أصلح) . وكانت هى الطرف الذى واصل تغيير رأيه المرة تلو الأخرى . لم يتبدل شيء

بالنسبة لى . لقد كنت أرغب فى الاحتفاظ بآلكس منذ اللحظة التى أبصرته فيها ، والآن أرغب فى ذلك بدرجة أكبر .

أستطيع أن أرى بعين خيالى وجهه ، وابتسامته الصغيرة الحيية ، وغمزة عينه الطريفة التى اكتسبها مؤخراً . كان بوسعى سماع صوته بداخل رأسى . أود أن أحتويه في صدرى فى عناق لا ينتهى أبداً .

كان الأمر ظالماً للغاية ، ومبنياً على ضلالات بشكل كامل . كان كل ما بداخلى هو الغضب ، بل وبعض البغضاء نحو كرستين ، وهو ما زاد من سوء حالى . سأمنحها معركة إذا كان هذا ما تريده ، لكن هذا جنون من جانبها .

تنفس بعمق ، هكذا قلت لنفسى .

يُفتَرَض أننى بارع فى الاحتفاظ بهدوئى فى المواقف الحرجة ، لكنى لم أستطع مقاومة الشعور بأننى اعاقَب على تأدية وظيفتى ، أُعاقَب لأننى شرطى .

لم أدر كم من الوقت جلست هناك ، لكننى حين غادرت مكتب العلية أخيراً ، كان المنزل غارقاً فى الظلام والسكون . لقد نام كل من جانى وديمون فى غرفتيهما . دخلت عليهما وطبعتُ على جبين كل منهما قبلة النوم على أى حال . تناولت الدمية الخاصة بجانى ووضعتها على المنضدة الجانبية .

ثم خرجت إلى الركن الخلفى من المنزل ، رفعتُ غطاء البيانو وجلست إليه لأعزف . إنه علاج الوحدة .

أحياناً يمكن للموسيقى أن تؤثر على وتمتلكنى ، وتعيننى على التغلب على ما يزعجنى ، أو نسيانه مهما كان .

والليلة ، عزفت مقطوعات لموسيقى البلوز وكانت كلها غاضبة وخاطئة كلياً . فتحولت لموسيقى برامز ، وهى أكثر هدوءاً ، لكنها لم تكن ناجعة ولو بأهون قدر . فإن الأصوات المهموسة فى اللحن انبعثت صارخة ، كما أن النوتات المنفصلة والمتتابعة كانت أقرب إلى حذاء يقرقع على الدرج صعوداً وهبوطاً .

توقفت أخيراً فى منتصف الجملة اللحنية ، ويدى على أصابع البيانو .

فى هذا الصمت ، سمعت صوت شهيقى وزفيرى الحاد للهواء . ماذا لو خسرت آلكس الصغير ؟

الفصل ٣٢

ما من شيء هناك قد يكون أسوأ مما نحن فيه ، لا شيء مما أتخيل قد يكون أسوأ .

بعد مرور أيام قلائل طرنا نحو سياتل من أجل جلسة الحضانة الخاصة بآلكس . أسرة كروس بكاملها اتجهت غرباً من جديد . ولكن دون عطلات فى هذه المرة ، ولا حتى عطلة قصيرة .

فى النهار الذى تلا وصولنا ، كان ديمون وجانى والجدة جالسين بهدوء من ورائى فى مقاعد قاعة المحكمة ، بينما كنا فى انتظار بدء الإجراءات ، توقفت محادثتنا وساد صمت بيننا يشوبه بعض التوتر ، ولكن وجودهم جميعاً معى كان يعنى لى أكثر مما كنت أتوقع .

رحت أنسق مجموعة الأوراق التى أمامى للمرة العاشرة تقريباً . أنا متأكد أننى أبدو على خير حال بالنسبة للجميع ، ولكن فى داخلى كنت محطماً ، وشاعراً بفراغ تام .

كنت أجلس وبن آباجيان على طاولة المدعى عليه فى الجانب الأيسر من الغرفة . كان مكاناً دافئاً لكنه غير حميم ، مغطى بطبقة خشب عسلى اللون على الجدران ، وأثاثه عصرى .

لم تكن هناك نوافذ ، ولم يكن هناك حاجة لها . فإن سياتل فى ذلك النهار كانت تظهر وجهها المعتم والمطر .

عندما دخلت كرستين ، بدت نشطة جداً ورابطة الجأش . لست متأكداً مما توقعته منها ، ربما علامة خارجية على أن الأمر شاق عليها كما هو بالنسبة لى . بدا شعرها أكثر طولاً ، وقد عُقص للوراء فى جديلة فرنسية . وقد ارتدت بذلة بلون أزرق وبلوزة حريرية رمادية عالية الياقة ، مما منحها مظهراً أكثر جدية وتحفظاً مما اعتدتُ عليه منها - وأقوى أثراً . كان مظهرها يعطى انطباعاً بأنها محامية أخرى على جانب المحامين الموجودين بالغرفة . كان مظهرها مثالياً .

التقت عيوننا لبرهة وجيزة . أومأت نحوى دون أن تبدى أى عاطفة . وللحظة ، غمرتنى ذكرى نظراتها إلى فى جلوسنا إلى مائدة مطعم كينكيدز ، مكاننا المفضل لتناول العشاء فى واشنطن العاصمة . كان من العسير أن أصدق أنها نفس هاتين العينين اللتين تواجهاننى فى غرفة المحكمة ، أو أنها كانت الشخص نفسه .

ألقت تحية مقتضبة نحو جانى ، وديمون ، والجدة . حافظ الصغيران على تهذيبهما وهو ما قدرته لهما .

كانت الجدة هى الشخص الوحيد الذى بدا عدوانياً بدرجة ما . حدقت فى كرستين خلال سيرها نحو منضدة المدعى .

وراحت تغمغم قائلة : " يا لخيبة الأمل . آه يا كرستين ، من أنت يا كرستين ؟ أنت أفضل مما تفعلينه هنا . أنت أفضل من أن تؤذى صغيرك " .

واستدارت كرستين عندئذ لتنظر نحو الجدة ، وبدا عليها الخوف ، وهو أمر لم ألحظة عليها من قبل أبداً .

من أى شيء يساورها هذا الخوف ؟

الفصل ٣٣

جلست الآنسة بيلنجزلى على يسار كرستين ، وكان بن على يمينى ، حاجبين عنا رؤية بعضنا البعض . وغالباً ما كان هذا أمراً طيباً . فلم أكن أرغب فى رؤيتها الآن . لم أتذكر أننى انتابنى كل هذا الغضب من قبل تجاه شخص ما ، وخاصة تجاه شخص كنت أهتم لأمره . **ما الذى تفعلينه يا كرستين ؟ من أنت ؟**

أخذ عقلى يطن بينما بدأت الجلسة ، وراحت آن بيلنجزلى تلقى بيانها الإفتتاحى الذى تدربت عليه حتى حفظته غيباً .

لم أكن حتى أسمع ما تقوله إلى أن سمعت عبارة " وُلد فى ظروف أسر " فعاد انتباهى وتركز على ما يدور حولى فى الحال . كانت تتحدث حول ظروف ولادة آلكس الصغير ، بعد أن اختُطِفت كرستين حين كنا فى جامايكا نقضى عطلة ، وكانت هذه بداية لنهاية ما بيننا .

بدأت أرى أن المحامية بيلنجزلى أشبه بحية رقطاء كما صورها لى بن عن حق . كان وجهها المجعد وشعرها الفضى القصير يواريان حب

الاستعراض الخاص بالمحامين . راحت تنطق بعباراتها الأساسية كلها فى قوة وجفاء وبمنتهى البلاغة والفصاحة .

" سيادة القاضى ، سأتعرض للمخاطر العديدة التى تعرض لها ولد السيدة جونسون والسيدة جونسون نفسها ، خلال العلاقة القصيرة المتوترة مع السيد كروس ، وهو صاحب التاريخ الطويل فى الانخراط بأكثر قضايا القتل خطورة وتطرفاً . وصاحب تاريخ طويل فى وضع هؤلاء ممن يعيشون بمقربة منه لمخاطر جمة " .

استمر هذا ، واستمر ، عبارة ثقيلة وجارحة تلو أخرى .

ألقيت بنظرة خاطفة نحو كرستين ، لكنها كانت تحدق أمامها تماماً وكفى .أهذا ما كانت تريده حقاً ؟ كيف أرادت للأمور أن تجرى ؟ لم أستطع تفسير التعبير الجامد على ملامحها ، رغم ما بذلته من جهد فى المحاولة .

حينما انتهت الآنسة بيلنجزلى من تجريحها العدوانى فى شخصى ، توقفت وتيرتها المبالغ فى حماسها وجلست .

نهض بن على الفور ، لكنه ظل واقفاً إلى جوارى خلال إلقائه لبيانه الافتتاحى .

" سيادة القاضى ، لست بحاجة إلى إضاعة الكثير من وقت المحكمة الثمين فى هذه النقطة . فلقد عاينتم هذه القضية بإيجاز ، كما أنكم مطلعون على العوامل الرئيسية لها . فأنتم تعلمون أن البذور الأولى لهذه الدعوى القضائية غرست فى اليوم الذى تخلت فيه السيدة جونسون عن طفلها المولود لتوه " .

كما أنكم تعلمون أن د. كروس قد وفر لآلكس الصغير ما يحتاجه أى طفل من الحب الأسرى خلال العام ونصف العام الأول من حياته . وتعلمون أن رابطة الدم التى لا انفصام لها بين الأشقاء قد نمت ما بين آلكس الصغير وشقيقيه بمنزلهم فى واشنطن العاصمة . بين أفراد الأسرة الوحيدة التى عرفها حتى العام الماضى فقط .

وأخيراً فإننا نعلم جميعاً أن بنية النجاح وفرصته هما المفاتيح الرئيسية التى يقاس عليها الوضع الأمثل للطفل فى الظروف المؤسفة لحالات انفصال الأبوين . وأنا أقول الآن ، وكلى ثقة من اتفاق سيادتكم معى ، أن منزلاً به والد وجدة وشقيق وشقيقة وعدد كبير من أبناء العمات والعمات على مقربة منهم ، أن منزلاً كهذا سوف يقدم لأى طفل تجربة من المساندة التامة أكثر من أن يتربى فى كنف أم تعيش على بعد ثلاثة آلاف ميلاً من منزل أسرتها الصغيرة ، تلك الأم التى غيرت رأيها مرتين بشأن التزامها تجاه طفلها موضع الدعوى .

بعد قول هذا كله ، لستُ هنا لكى أشهر بالسيدة جونسون . فهى بكل الاعتبارات أم رؤوم على أكمل وجه حينما تختار لأن تكون كذلك . أما الذى أرغب فى إيضاحه ها هنا أن ما يتوصل إليه الفكر السديد يقول بأن من الأفضل لطفل موكلى ، ولأى طفل ، أن ينشأ فى كنف والد لم يتذبذب أبداً تجاه التزاماته ، وما من إشارة لقيامه بهذا مستقبلاً " .

كنت اتفقت أنا وبن فى لقاءاتنا السابقة على إبقاء كل شيء فى إطاره المدنى ، ما استطعنا . وقد كنت على علم مسبق بما سيقوله ، ولكن هنا فى قاعة المحكمة ، وقبالة كرستين ، بدأ وقع كلامه مختلفاً على أذنى . حيث غلب عليه الآن طابع التنافس والهجوم ، وكان غير بعيد عما فعلته لتوها آن بيلنجزلى فى مرافعتها وكلامها حولى .

شعرت بشيء من الذنب . فبصرف النظر عما أرادت محامية كرستين السيئة أن تدعيه بشأنى وترمينى به ، ففى نهاية اليوم سأظل مسئولاً عن أفعالى ، بل وعن أفعال المحامى الخاص بى وهو ما قامت الجدة بزراعته داخلى منذ عهد قديم .

وعلى الرغم من ذلك فهناك أمر واحد لم يطرأ عليه تغير . وهو قرارى الذى مازال راسخاً ؛ فقد حضرت إلى هنا لأعيد ابنى الصغير إلى منزله فى واشنطن . لكن بالاستماع إلى مرافعة بن آباجيان ، ساورنى شعور بأن هذه القضية لا تحمل أى مكسب لأى شخص . كانت كلها خسارة ، ولكن الأمر هو من سيخسر بدرجة أقل .

وكل ما أتمناه ألا يكون آلكس الصغير من بين الخاسرين .

الفصل ٣٤

" **هل يمكن لك رجاء يا سيدة جونسون** أن تخبرينا عن سبب وجودك هنا اليوم ؟ "

تساءلت ما إذا كان قد لاحظ جميع الآخرين مدى توتر كرستين وهى تقف عند منصة الشهود . شبكت أصابع يديها ببعضها البعض ، وهى ثابتة تماماً فيما عدا ارتعاشة هينة للغاية . لم أستطع منع نفسى من الامتعاض ، وانقبضت معدتى . كم كرهت أن أراها على هذا النحو ، وحتى الآن وتحت وطأة الظروف التى صنعتها هى بيدها .

حين أجابت كرستين على أسئلة بيلنجزلى ، كان صوتها ثابتاً مع ذلك وبدت على سجيتها تماماً .

قالت كرستين : " لقد آن الأوان بالنسبة لطفلى أن يحظى بالاستقرار الدائم الثابت فى حياته المنزلية . أريد أن أوفر له نمط الاستقرار الذى أعرف أنه لابد أن يحظى به . وقبل أى شيء آخر ، أرغب فى أن يكون آمناً سالماً " .

ظلت بيلنجزلى على مقعدها ، تتظاهر أو ربما تشعر حقاً بثقة مطلقة ثم قالت : " هل يمكن لك من فضلك أن تخبرينا بالأحداث التى قادت إلى انفصالك عن السيد كروس ؟ "

بدا الإحباط على كرستين وأخذت دقيقة لاستجماع نفسها . لم أكن أظن أنها تتظاهر فى الوقت الحالى ، فقد كانت نزاهتها من الأسباب التى جعلتنى أغرم بها ، فى تلك الحياة السالفة التى جمعت بيننا .

تطلعت للأعلى من جديد وقالت : " بعد أن أصبحت حبلى بوقت قصير . تم اختطافى وظللت رهينة لمدة عشرة شهور . وكان الأشخاص الذين اختطفونى يقصدون إيذاء آلكس . وعندما انقضى ذلك الوقت العصيب وجدت أنه من المستحيل أن أعود للحياة الطبيعية معه . لقد أردت العودة إليه ، لكننى لم أستطع ذلك وحسب " .

قالت المحامية : " ولمجرد الإيضاح ، إنها تقصد السيد كروس بقولها آلكس " .

ليس المحقق أو د. كروس ، ولكن السيد كروس . يمكن للمحامين أن يستغلوا أى شيء مهما كان طفيفاً لصالحهم . حتى كرستين جفلت لهذا ، لكنها قالت : " هذا صحيح " .

" أشكرك يا كرستين ، والآن دعينا نعود بالزمن إلى الوراء قليلاً . لقد ولد ابنك فى جامايكا ، بينما كنت محتجزة كرهينة ، أليس هذا صحيحاً ؟ "

" بلى " .

" هل وُلد فى مستشفى بجامايكا ، أو تحت أى إشراف طبى ؟ "

" كلا . لقد وُلد بكوخ صغير بالغابات ، بالأدغال . أحضروا لى قابلة من نوع ما ، لكنها لم تكن تتحدث اللغة الإنجليزية ، على الأقل لم تتحدث بها معى ، ولم تكن هناك أى رعاية خلال فترة ما قبل الولادة . كنت ممتنة للغاية أن آلكس الصغير قد ولد فى صحة جيدة ، وظل صحيحاً ومعافى . فيمكن القول إننا عشنا فى زنزانة لشهور عدة " .

نهضت الآنسة بيلنجزلى وعبرت القاعة ، وناولت منديلاً لكرستين وقالت : " سيدة جونسون ، هل كان هذا الاختطاف هو المرة الأولى التى تتعرضين فيها لحوادث العنف التى جلبها السيد كروس إلى حياتك ؟ "

نهض بن واقفاً فى الحال وهو يقول : " اعتراض ! " .

قالت بيلنجزلى : " سأعيد صياغة سؤالى يا سيادة القاضية " .

والتفتت نحو كرستين من جديد بابتسامتها المشفقة وقالت : " هل كان هناك أية أحداث عنف أخرى سبقت أو لحقت مولد ابنك ، تتعلق بعمل السيد كروس مما أثر تأثيراً مباشراً عليكما ؟ "

قالت كرستين دون تردد : " كان هناك العديد منها . كانت المرة الأولى بعد أن التقينا مباشرة . فى ذلك الحين كان زوجى تعرض للقتل على يد أحد الأشخاص الذين يتعقبهم آلكس فى واحدة من قضايا الاغتيالات البشعة . وفيما بعد ، وبعد أن ولد طفلنا ، وحين كان يقيم بواشنطن مع أبيه ، عرفت أنه أخُرِج من المنزل فى منتصف الليل ، حدث هذا . والحق أنه أبُعِد عن المنزل جميع أطفال كروس . فقد كان هناك قاتل صاحب سلسلة من الجرائم يتعقب آلكس " .

توقفت بيلنجزلى عند طاولة الادعاء تنتظر . وفى النهاية جذبت حزمة من الصور الفوتوغرافية من ملف بُنى صلب .

" سيادة القاضية ، أود أن أضم تلك كأدلة . إنها تعرض بوضوح كيف كان حال منزل السيد كروس فى الليلة التى تعرضوا فيها لهذا الإخلاء الطارئ ، وسوف ترون ابن موكلتى هنا محمولاً إلى الخارج من قبل واحد من غير أفراد الأسرة فى قلب الاضطراب الذى كان يسود المكان بشكل جلى " .

أردت أن أصيح معترضاً على هذا الدليل المزعوم . فإننى أعلم علم اليقين أن من حمل آلكس الصغير للخارج فى تلك الليلة هو جون سامبسون وليس مجرد ضابط شرطة مجهول الهوية ، تلك الليلة التى التقطت فيها كرستين الصور خارج منزلى ـ فهل عينت تحرياً خاصاً ؟ لم يتعرض أحد لأى

خطر ، فلقد تعاملنا مع الأمر بكل حكمة وعلى وجه السرعة . لكن الصور لها أن تتحدث بلسانها ، على الأقل للوقت الراهن .

وعند هذا الحد راحت الأمور بالجلسة تزداد سوءاً .

قادت آن بيلنجزلى كرستين عبر سلسلة من الأحداث المضللة ذات الصلة بمهنتى ، وكانت عملياً تضع الكلمات على لسانها ، وانتهت تلك المهزلة بالحديث عن رحلة ديزنى لاند والتى صورتها المحامية مثل حقل ألغام رهيب محاط بالمخاطر التى تتهدد حياة آلكس الصغير الذى " تخليت عنه " لأجول فى كاليفورنيا الجنوبية فى أعقاب مجرم مختل عقلياً قد يرهب أسرتى من جديد .

الفصل ٣٥

ثم جاء دوري .

الوقت الذى قضيته أثناء استجواب بن لى على منصة الشهود كان من أشق المحن وأكثرها صعوبة ، من بين ما تعرضت له على الإطلاق ، من ناحية حجم الخسائر . كان قد دربنى ألا أوجه حديثى للقاضية مباشرة ، غير أنه كان من العسير على القيام بهذا فقد كان لها الكلمة الأخيرة فى تقرير مستقبل ولدى ، أليس كذلك ؟

القاضية جون مايفيلد . بدت فى الستينيات من عمرها تقريباً ، لها تسريحة شعر على نمط الأناقة الصارمة التى تنتمى لأمريكا فى حقبة الخمسينيات وليس إلى سياتل الألفية الجديدة . حتى اسمها بدا قديماً بالنسبة لى . وحين جلست على مقعد الشهود كنت أتساءل إذا ما كان لدى القاضية مايفيلد أى أبناء ، هل هى مطلقة ؟ هل مرت بأى شيء قريب مما نحن فيه ؟

سألنى بن للتو إذا ما كان لدى أى شكوك حول صلاحية كريستين كأم ، فقلت : " أنا لم آت هنا لألقى بالاتهامات أو لأقول أشياء سلبية

عن أى شخص . كل ما أريده هو التحدث بشأن أفضل الأوضاع بالنسبة لألكس . لا شيء سوى هذا يهمنى " .

ومن إيماءة رأس بن وزم شفتيه عرفت أننى أجبت الإجابة المناسبة . أم أن نظرته تلك لم تكن إلا لاسترضاء القاضية ؟

قال : " بلى ، صحيح تماماً . وعلى هذا فهل يمكنك رجاء أن تشرح للمحكمة كيف جاء آلكس الصغير ليعيش معك خلال العام والنصف الأولى من عمره ؟ "

كنت أرى كرستين رؤية مباشرة ، فى جلوسى هكذا عند منصة الشهود . فكرت أن هذا كان أمراً جيداً . لم أرغب فى قول أى شيء ها هنا لست مستعداً لقوله فى وجهها .

شرحت بأقصى ما أمكننى من البساطة والصراحة أن كرستين لم تشعر بأنها مستعدة أن تكون بصحبتى أو تربى طفلاً بعد ما جرى فى جامايكا . لم أكن بحاجة لأن أزين كلامى . لقد اختارت ألا تستمر فى البقاء معنا ، وانتهى الأمر . وقد أخبرتنى بأنها " لا تصلح " لتنشئة آلكس . لقد استخدمت كرستين هذه الكلمة ، ولن أنسى هذا أبداً . كيف أستطيع نسيانه ؟

" وكم مضى من الوقت ما بين تخلى السيدة جونسون عن ـ "

" اعتراض ، إنه يلقنه الكلام تلقينا يا سيادة القاضية " .

قالت القاضية ما يفيلد : " الاعتراض مرفوض " .

حاولت ألا أعول كثيراً على استجابة القاضية ، لكن كان من الخير لى سماع رفض الاعتراض على أى حال .

واصل بن طرح سؤاله على : " كم مضى من الوقت ما بين تخلى السيدة جونسون عن طفلها والمرة التالية التى وقعت فيها عيناها عليه ؟ "

لم أكن مضطراً للتفكير بالأمر . قلت : " سبعة شهور . مضت سبعة شهور " .

" نعم ، سبعة شهور دون أن ترى ابنها . ما شعورك حيال ذلك ؟ "

" أحسب أننى كنت مندهشاً لاتصال كرستين من جديد ، مندهشاً ليس أكثر . فقد كنت بدأت أعتقد أنها لن تعود . وهكذا اعتقد آلكس الصغير . " كانت هذه هى الحقيقة ، غير أنه كان من العسير إعلانها على الملأ فى قاعة المحكمة . أكملت قائلاً : " إن عائلتنا بكاملها انتابتها الدهشة ، الدهشة لغيابها أولاً ولظهورها المفاجئ ثانياً " .

" ومتى كانت المرة التالية التى سمعت منها خبراً ؟ "

" حين قالت إنها تريد أن يذهب آلكس الصغير للعيش معها فى سياتل . عند ذلك الوقت ، كانت قد وكلت محامية بالفعل فى واشنطن العاصمة " .

سأل بن : " وكم كان مر من الوقت هذه المرة ؟ "

" كانت قد مرت ستة شهور أخرى " .

" أهكذا الأمر ؟ تتخلى عن ابنها ، ثم تراه بعد سبعة شهور ، وتبتعد من جديد ، وتعود معلنة عن رغبتها فى أن تكون أماً ؟ أهكذا جرت الأمور ؟ "

تنهدت قائلاً : " شيء مثل هذا " .

" والآن يا د. كروس هلا أخبرتنا الآن وبصراحة شديدة لماذا تطلب ضم حضانة ابنك إليك ؟ "

هنا انصبت الكلمات من فمى صباً .

" إننى أحبه حبا جماً ؛ إننى أعشق آلكس الصغير . وأريد أن يكبر بين أخيه وأخته ، وجدته ، لقد ربتنى منذ أن كنت ابن التاسعة . أعتقد أن جانى وديمون هما سجل أعمالى فى الأبوة . لقد كانت لى هفواتى وعيوبى أياً كانت ، لكننى قادر على تنشئة أطفال سعداء ، بل وأستطيع أن أقول أطفال مدهشين للغاية " .

تطلعت نحو جانى وديمون ونانا . بادلونى الابتسام ، غير أن جانى أخذت تبكى عندئذ . أرغمت نفسى على العودة بناظرى نحو بن ، وإلا لكنت فقدت تماسكى أنا الآخر كما أظن .

لاحظت أنه حتى القاضية مايفيلد راحت تتطلع نحو الطفلين ، وأنها بدت مهتمة بهما .

قلت : " إننى أحب أبنائى أكثر من أى شيء آخر فى الوجود ، لكن أسرتنا لن تكتمل بدون آلكس ، أو آلى كما يحب أن نناديه . إنه جزء منا . جميعنا نحبه ونعزه للغاية . ولا يسعنا الاستغناء عنه لمدة ستة شهور ، أو حتى ست دقائق " .

بطرف عينى لمحت نانا تومئ برأسها ، وقد تبدت لى أكثر حكمة من القاضية على مقعدها العالى وبثوب القضاء الأسود ، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بتنشئة الصغار .

قال بن فى هدوء : " تابع كلامك من فضلك يا آلكس ، إنك تبلى بلاء حسناً . تابع " .

" كل ما كنت أتمناه هو ألا تغادر كرستين واشنطن أبداً . لأن آلى يستحق وجود كلينا بالقرب منه . ولكن إذا لم يستطع أن يحظى بهذا ، ينبغى له عندها أن يكون مع عدد أكبر من أفراد أسرته قدر الإمكان . لا أظن أن من السيئ وجوده ها هنا فى سياتل ، ولكن من المفترض أننا نتحرى له الأفضل . وكما قلت لا أعرف ما قيمة هذا لكننى أكن له كل الحب . إنه فلذة كبدى ، صاحبى ، وحبة قلبى . " وهنا رحت أدمع ، وبكل تأكيد لم يكن هذا لإحداث تأثير على القاضية أو محاباتها .

استمرت جلسات الشهادة خلال فترة بعد الظهيرة وجزء كبير من صباح اليوم التالى ، وكانت تميل الجلسات إلى القسوة فى بعض الأحيان . وبعد إغلاق المناقشات الخاصة بالمحامين ، انتظرنا خارجاً فى ردهة المحكمة بينما تقرر القاضية ماذا ستكون خطوتها التالية .

أمسكت جانى بزندى وهى تقول : " كنت عظيماً يا بابا " وضغطت وجهها على كتفى وأكملت : " إنك عظيم . وسوف نستعيد آلكس . أنا واثقة " .

طوقت كتفيها بذراعى الأخرى ، وقلت لها : " إننى آسف على ما يحدث . غير أنى سعيد لأنكما معى هنا " .

وعندئذ ، جاء حاجب المحكمة ليستدعينا للدخول من جديد . ولم ينم تعبير وجهه المحايد عن أى شيء ، بالطبع .

تحدث بن إلىّ هامساً ونحن ندخل قائلاً : " سوف يكون هذا مجرد إجراء روتينى . وغالباً ما ستضعه فى اعتبارها عند الحكم ، وسوف نستدعى مرة أخرى فى أى وقت ما بين أسبوعين إلى ستة أسابيع . وأثناء هذا سوف أطالب بالتوصل إلى اتفاق لزيارة الولد مؤقتاً يكون معدلاً لما سبق . أنا متأكد أننا لن نواجه صعوبة فى ذلك . لقد كنت رائعاً على المنصة يا آلكس . ليس هناك ما تقلق بشأنه . ما عليك إلا الاسترخاء حالياً " .

الفصل ٣٦

ما إن اجتمعنا من جديد فى قاعة المحكمة ، دخلت القاضية مايفيلد وجلست إلى مقعدها . هندمت تنورتها ، ولم تضيع أى وقت .

" لقد تأملت جميع الشهادات والأدلة الموجودة أمامى ، ولقد اتخذت قرارى . بناءً على كل ما سمعته ، فقد بدا الأمر واضحاً لى كل الوضوح " .

نظر بن نحوى بتمعن ، لكننى لم أكن متأكداً من معنى نظرته .

همست : " بن ؟ "

" حكمت المحكمة لصالح المدعية . سوف تبقى الحضانة والإقامة مع السيدة جونسون ، وسوف أعتمد على محاميتها فى تسهيل مواعيد الزيارة المتفق عليها ما بين الطرفين . وسأطلب منكم تسوية أى خلافات ذات صلة بهذا الاتفاق قبل أن أسمح برؤيتكم هنا مرة أخرى فى قاعة المحكمة " .

نزعت القاضية نظارتها وفركت عينيها ، كما لو أن تدمير حياة أحدهم ليس أكثر من أحد الجوانب المرهقة فى نهارها . ثم واصلت

تقول : " ونظراً للاختلافات الجغرافية فإننى أشجعكم مع هذا على التوصل لحلول مبتكرة ، كما أننى أحكم أن من حق د. كروس الحصول على ما يساوى ٤٥ يوماً على الأقل بصحبة ابنه سنوياً . انتهى " .

وبسرعة تامة ، اختفت القاضية كما ظهرت .

وضع بن يدا على كتفى وقال : " لا أعرف ماذا أقول لك يا آلكس . لم أشهد حكماً كهذا منذ خمسة أعوام . أنا كلى أسف " .

سمعته بالكاد ، وبالكاد كنت واعياً بأسرتى التى التفت حولى . تطلعت فرأيت كرستين وآن بيلنجزلى يندفعان للخروج .

خرجت الكلمات منى رغماً عنى . سألتها : " ماذا جرى لك ؟ " بدا كما لو أن كل عضلة تدربت على التحكم بها خلال اليومين الماضيين خرجت فجأة عن طورها . " هل هذا ما أردت ؟ أن تعاقبينى ؟ أن تعاقبى أسرتى ؟ لماذا يا كرستين ؟ "

وعندئذ تحدثت الجدة : " إنك قاسية وأنانية يا كرستين . إننى أشفق عليك " .

أشاحت كرستين عنا وراحت تمشى مبتعدة بسرعة شديدة ، دون أن تنبس بكلمة . حين وصلت لباب القاعة . اهتز كتفاها للأمام . وفجأة وضعت يدها على فمها . لم أكن متأكداً ، لكننى أظنها بدأت تبكى . أخذتها بيلنجزلى من ذراعها وقادتها خارجاً نحو الردهة .

لم أفهم شيئاً . لقد ربحت كرستين لتوها ، لكنها كانت تبكى كما لو أنها قد خسرت . فهل خسرت ؟ أهكذا جرى الأمر ؟ ماذا حدث لتوه بداخل عقلها ؟

بعدها بدقيقة دخلت الردهة وأنا لست فى وعيى ، كانت الجدة تمسك بإحدى يدى وجانى تمسك بالأخرى ، كانت كرستين قد ذهبت بالفعل ، لكن كان هناك شخص آخر فى انتظارنا هناك ، شخص لا أرغب فى رؤيته مطلقاً .

لقد تمكن جيمس ترسكوت من الدخول إلى المحكمة بطريقة ما هو ومصورته كذلك . أى شيطان وسوس له بالمجيء حتى هنا ؟ ما نوع القصة الصحافية التى يدبجها ؟

صاح فى المر : " أأمضيت يوماً شاقاً فى المحكمة يا دكتور كروس ؟ هل أنت مهتم بالتعقيب على الحكم ؟ "

ابتعدت عنه أنا وأفراد أسرتى ، لكن المصورة التقطت عدة صور رغماً عنا ، بما فى ذلك لقطات تخص ديمون وجانى كل على حدة .

التفت نحو ترسكوت قائلاً : " إياك ونشر صورة واحدة لأفراد أسرتى " .

سأل وهو يقف غير مبال واضعاً يديه على خاصرته : " وإلا ماذا ستفعل ؟ "

" إياك ونشر صور أسرتى فى مجلتكم . إياك " .

ثم شددت الكاميرا من المصورة وأخذتها معى .

الفصل ٣٧

فى وقت لاحق من هذا اليوم نفسه ، كان راوى الحكاية يقود سيارته باتجاه الجنوب على طريق ٤٠٥ ، الطريق السريع لسان دييجو ، وهو ما ليس على ما يرام لمدة ٤٠ دقيقة أو نحو ذلك ، وكان يدير فى رأسه " قائمة الكراهية " الخاصة به . من يريد له أن يكون التالى ، أو إذا لم يكن التالى ، فمن سيأتى دوره قبل الانتهاء من الأمر إذا ما توقف عن القتل أو قبض عليه ؟

التوقف ! فجأة تماماً كالبداية . النهاية . تم الأمر . انتهت الحكاية .

نقش هذه العبارة كيفما اتفق فى مفكرة صغيرة يحملها دائماً فى جيب الباب الأمامى . كان من الصعب أن يكتب وهو يقود السيارة ، فانحرفت سيارته خارج حارتها قليلاً .

وبغتة راح أحدهم من جهة اليمين يطلق نفير السيارة ، وظل يطلقه لعدة ثوان .

نظر فوجد بجانبه سيارة ليكسوس سوداء بغطاء قابل للرفع ، وكان هذا الشخص الأحمق تماماً يصيح نحوه قائلاً : " اللعنة عليك ، أيها المغفل ، اللعنة ، اللعنة " .

لم يتمكن راوى الحكاية من كبح جماح نفسه ـ اكتفى بالضحك فى وجه الأحمق أحمر الوجه بالسيارة الأخرى .

لقد فقد هذا الأحمق أعصابه وتمادى فى غضبه . لو علم فقط من هذا الذى يحاول إثارة غضبه وإغاظته . ياله من أمر ظريف للغاية ! بل إنه انحنى نحو نافذة المقعد المجاور للسائق . واتضح أن ضحكه زاد من غضب الرجل المعتوه أكثر . صاح الرجل : " هل تظن ذلك ظريفاً ؟ أتظنه ظريفاً ؟ "

وهكذا واصل راوى الحكاية ضحكه وحسب ، متجاهلاً الملعون المغتاظ وكأنه لا وجود له . لكن هذا الرجل له وجود حقاً ، ولقد نجح فى إثارة أعصاب راوى الحكاية ، وهو ما لم يكن أمراً حكيماً فى الحقيقة ، أليس كذلك ؟

فى النهاية ، قاد سيارته فى أثر السيارة الليكسوس ، كما لو كان نادماً وشاعراً بخطئه ، وهكذا أخذ يتعقبه . خرجت السيارة السوداء الخاصة بالأحمق بعد منعطفين . ففعل مثله .

ولم يكن هذا جزءاً من قصته . كان الآن يرتجل وفق وحى اللحظة .

واصل تعقب المصابيح الخلفية للسيارة السوداء حتى هوليود هيلز ، ثم إلى طريق جانبى ، ثم صعود تل منحدر آخر .

تساءل ما إذا كان سائق الليكسوس قد كشف وجوده الآن . وليتأكد من هذا ، أخذ يضغط البوق ولم يتوقف عن هذا لمسافة النصف ميل التالية أو ما يقرب . وحين أدرك أن الرجل الآخر ربما أخذه الخوف الآن ولو قليلاً ، تأكد أنه كان هو ، خاصة إذا ما علم أنه الشخص الذى تشاحن معه على الطريق السريع .

ثم اندفع بسيارته للأمام وأخذ يقطع الطريق على السيارة الليكسوس . كان هذا أظرف مشهد جرى حتى الآن ـ لقد فتح كل نوافذ السيارة وأخذت الريح تدور فيها .

حدق سائق الليكسوس به ، ولم يعد الآن يسب ويلعن أو يأتي بإشارات قبيحة . أكان يبدى الآن قليلاً من الندم ؟ قليلاً من الاحترام .

ارتفعت اليد اليمنى لراوى الحكاية ، صوب ، وأطلق النار أربع مرات على وجه السائق الآخر ، ثم شاهد السيارة الليكسوس تنحرف فجأة نحو جدار صخرى على جانب الطريق ، وترتطم به ثم ترتد عنه ، ثم تعود للخلف على الطريق وهي تتمايل يميناً ويساراً ، ثم ترتطم بالصخور مرة أخرى .

ثم لا شيء ـ لقد مات الملعون المزعج ، أليس كذلك ؟

يستحق الموت هو أيضاً ، هذا المغفل . المشين والمؤسف فى هذا الأمر ، أنه سيكون على هذا القتل أن يتوقف عاجلاً أو آجلاً . على الأقل وفقاً للخطة الكبرى ، وفقاً للحكاية .

الفصل ٣٨

دفعت المحققة جاليتا بسيارتها الثاندربيرد ذات العامين على الطريق . لقد قادت بسرعات أكبر من هذه قبل ذلك ولكن ليس فى لوس أنجلوس مطلقاً . راحت واجهات المتاجر تتلاشى بينما تهدر صفير سيارتها بإيقاع ثابت إلى الأمام .

كانت هناك سيارتا شرطة تقفان أمام مقهى الإنترنت عندما وصلت المحققة إلى هناك . وقد بدأ يتجمع على الرصيف المواجه فى الشارع جمع من الناس يصعب السيطرة عليه . كانت متأكدة أنه سرعان ما ستصل كاميرات التلفاز والطائرات المروحية الخاصة بمحطات الأخبار كذلك .

صاحت فى أول ضابط قابلها : " ما الوضع ؟ " ، وقد كان يحاول السيطرة على الجمع المتزاحم بدون همة حقيقية .

قال لها : " تحت السيطرة . لقد أخلينا المنطقة أمام وخلف المكان . هناك قليل من رجالنا فوق سطح المكان كذلك . وبالداخل لدينا حوالى عشرين مرتاداً للمقهى وفريق العمل بالمكان . إذا كانت هنا عند وصولنا ، فلابد أنها مازالت بالداخل " .

كان هناك مبالغة فى " إذا " تلك ، فكرت جاليتا بينها وبين نفسها ، لكن هناك ما يجب متابعة عمله . قد تكون مارى سميث لا تزال بالداخل . قد ينتهى الأمر كله هنا . أرجوك يا إلهى الرحيم .

" حسناً ، أريد وحدتين إضافيتين بالداخل بأسرع ما يمكنك ذلك ، ووحدتين أخريين للسيطرة على المتجمعين ، واحتفظ بالحراسة فى الأمام والخلف والأعلى " .

" سيدتى ، ولكن هؤلاء ليسوا من أفراد طاقمى ــ " .

" لا يهمنى من أى طاقم من هؤلاء . أنجز الأمر وكفى " . توقفت ونظرت فى عينى الضابط ثم أردفت : " كلامى واضح لك ؟ هل ستعمل اللازم ؟ "

" على أحسن وجه ، سيدتى " .

دخلت جاليتا . كان المقهى عبارة عن مستطيل كبير ، مزود بمنضدة لتناول القهوة فى المواجهة وصفوف من كبائن استخدام الكمبيوتر معدة لفرد واحد فى الخلف . كل جهاز الكترونى له كشك خشبى صغير خاص به ، مع حواجز حاجبة بارتفاع الأكتاف .

توزع جميع الأشخاص فى المكان ما بين الموائد غير المنتظمة ، والمقاعد والأرائك . تفحصت جاليتا الوجوه بسرعة . طلاب ، أبناء المدينة المرفهون ، مواطنون بسطاء ، وقليل من أنماط الشباب المتمرد المنتمى إلى شاطئ فينيسيا . أبلغها أحد الضباط أنه قد تم تفتيشهم جميعاً ، ولم يتم العثور على أية أسلحة . وكأن هذا له أية دلالة . فهم جميعاً حتى الآن مشتبه بهم تلقائياً .

كان مدير المكان شاباً صغيراً متوتراً للغاية بنظارة طبية إطارها مصنوع من العاج ، ولا يبدو أنه تجاوز سن الرشد بعد ، وكان مصاباً بأسوأ حالة حب شباب رأتها جاليتا منذ أيام المدرسة السنوية فى الوادى . شبك على صدره نموذجاً مصغراً لمشغل الأسطوانات مكتوب عليه بقلم عريض أحمر اسم بريت . اصطحب جاليتا إلى أحد أكشاك استخدام الكمبيوتر بالقرب من الخلف .

قال : " لقد عثرنا عليه ها هنا " .

سألت جاليتا : " هل هناك مخرج فى ذلك الاتجاه ؟ " وأشارت نحو ردهة ضيقة على يسارها .

أومأ المدير قائلاً : " لقد قامت الشرطة بالذهاب لهناك بالفعل . وطوقوه " .

" وهل تحتفظ ببعض السجلات لمن يستخدم الأجهزة ؟ "

فأشار لجهاز الدفع عن طريق بطاقات الائتمان وقال : " يتوجب عليهم استخدام ذلك . لا أدرى فى الحقيقة كيف أخرج منه المعلومات ، ولكننى أستطيع إيجادها من أجلكم " .

قالت له جاليتا : " سنتولى هذا الأمر نحن ، وإليك ما أريد منك القيام به . لتجعل جميع الموجودين هنا مرتاحين بقدر وسعك . وللأمانة ، فسوف يستغرق الأمر بعض الوقت . وإذا أراد أى شخص أى شيء ، لتكن القهوة دون كافين " .

منحته غمزة وابتسامة لم تكن صادقة ، لكن بدا أن هذا منح الفتى المسكين بعض الطمأنينة .

" واطلب من الضابط هاتفيلد الواقف هناك أن يأتى ليرانى " . لقد التقيت بالضابط بوبى هاتفيلد لقاءً خاطفاً ذات مرة قبل ذلك ، وتذكرت اسمه دائماً لأنه كان مماثلاً لاسم أحد أبطال فيلمى المفضل .

جلست إلى جهاز الكمبيوتر ووضعت زوجاً من القفازات المطاطية .

سألت هاتفيلد حين اقترب منها : " ما الذى تعرفه حتى الآن ؟ "

" النوع نفسه من الرسائل ، مكتوب إلى الرجل نفسه فى صحيفة التايمز . آرنولد جرينر . من المحتمل أن يكون أحد الأشخاص قد اطلع على تلك الرسائل ، لكننى أشعر وكأنها هى نفسها . هل سمعت عن كارمن دابروزى ؟ "

" الطاهية ؟ طبعاً . لقد صار لها برنامج خاص بها على الشاشة . إننى أشاهده من وقت إلى آخر ؛ لكننى لا أبرع فى الطهى " .

كما أن مطعم تراتوريا دابروزى فاز بجائزة أفضل مطعم بهوليود ، ولديه قائمة طعام من الدرجة الأولى ويعمل لأوقات متأخرة . الأهم من ذلك هو ما تعرفه جاليتا من أن لدى كارمن دابروزى برنامجها الذى يُعرض فى أكثر من محطة تليفزيونية ، وفيه تطهى طعاماً من أجل زوجها الوسيم وطفليها الرائعين . كل شيء يبدو مثالياً أكثر من اللازم قليلاً بالنسبة لميول المحققة جاليتا ، لكنها تشاهد برنامجها فى بعض الأحيان .

هزت جاليتا رأسها قائلة : " سُحقاً . إن دابروزى هى النموذج المثالى بالنسبة للقاتلة . هل عثرتم عليها ؟ "

أخبرها هاتفيلد قائلاً : " هذا هو المقلب المفاجئ ، إنها بخير حال ، ما من بأس عليها . ربما مفزوعة قليلاً ، ولكن لا بأس . وهكذا أفراد أسرتها . إن لدينا وحدة بالفعل عند منزلها . تفحصى الجهاز بنفسك ، إن من كتب هذه الرسالة أياً كان لم يرسلها مطلقاً أو حتى ينهيها " .

برزت رأس جين جاليتا من جديد : " ما معنى هذا ؟ ألم ترسله ؟ "

" لعلها ارتعبت لسببٍ أو لآخر ، أو لم تكن صافية الفكر ، فغادرت وحسب . ربما لم يرق لها مذاق القهوة هنا . لا أدرى على وجه اليقين " .

نهضت جاليتا واقفة وتطلعت نحو الزبائن المتجمعين وطاقم العمل بالمكان من جديد . قالت : " أو لعلها مازالت هنا " .

" أتظنين ذلك حقاً ؟ "

" الحقيقة ، ما من سبيل آخر غير هذا . فهى ليست بهذا الغباء . ومع ذلك ، فإننى أريد التحدث إلى كل شخص من هؤلاء الصغار . لتجعلوا هذا المكان صندوقاً محكم الغلق حتى إشعار آخر . قم ببعض التحريات المبدئية عنهم ، ولكن لا تجعل أى شخص يغادر المكان دون أن يمر بى شخصياً . مفهوم ؟ أى شخص ولأى سبب . حتى ولو خرجوا بتصريح من أمهاتهم " .

أجاب هاتفليد قائلاً : " حسناً ، حسناً ، مفهوم ، سأفعل ذلك " .

وفيما ابتعد هاتفيلد ، سمعته جين جاليتا يغمغم بشيء مثل : " هونى عليك واهدئى " من بين أسنانه . أمر نمطى . يميل رجال الشرطة الذكور للاستجابة لأوامر الرجال بطريقة ولأوامر النساء بطريقة أخرى . ألقت الأمر عن بالها ، وحولت انتباهها للرسالة الإلكترونية التى لم تكتمل على الشاشة .

لم تكتمل ؟ ما مغزى كل هذا العبث ؟

الفصل ٣٩

إلى : agriner@Latimes.com

من : مارى سميث

إلى : كارمن دابروزى :

ظللت تعملين فى مطعمك حتى الثالثة صباحاً ليلة أمس ، أليس كذلك ؟ امرأة مشغولة ، مشغولة جداً جداً ! ثم مشيت مقدار بنايتين حتى سيارتك بمفردك . هذا ما كنت تحسبينه ، أليس كذلك ؟ أنك كنت بمفردك تماماً ؟

لكنك لم تكونى وحدك تماماً يا كارمن . كنت هناك معك على الرصيف . إننى حتى لم أحاول أن أتوخى الحذر . لقد سهلت على الأمر . ليس هذا ذكاء منك .

مستغرقة فى نفسك تماماً : أنا ، أنا ، أنا ، أنا .

لعلك لا تشاهدين نشرات الأخبار . أو ربما تتجاهلينها . لعلك لا تهتمين لوجود أحد الأشخاص هناك يبحث عن أشخاص على شاكلتك

تماماً . إنك مطابقة للمواصفات وكأنك تصرخين بى أن أقتلك . وهو أمر جيد ، على ما أظن . لأن هذا ما أريده أنا أيضاً .

كنت أشاهدك ، تحاولين أن تظهرى على ما أنت عليه ، فاضطررت لأن أتساءل إذا سبق وأن أخبرت طفليك العزيزين أن ينظرا على جانبى الطريق عند عبورهما للشارع . من المؤكد أنك لم تضربى لهما مثلاً صالحاً ليلة أمس . أنت لم تنظرى حولك ، ولو لمرة واحدة .

وهو أمر شديد السوء لكم جميعاً ، جميع أفراد الأسرة رائعة الجمال كما لو أنها صورة فى بطاقة معايدة ، على النحو الذى تظهرون به فى برنامجك للطهى .

لن تكون أمامك فرصة لإخبارهم بشيء ، حين ينتهى الأمر بطفليك فى نهر الشارع بدونك ، أليس كذلك ، سيكون عليهما الآن تعلم درس احتياطات الأمان المهم من شخص آخر .

بعد أن تكونى قد

الفصل ٤٠

وانتهت الرسالة هكذا بغتة ـ فى منتصف الجملة .

حتى ولو لم تنته على هذا النحو ، فالأمر بكامله كان حجر عثرة جديداً فى طريق حل القضية . لم تمت كارمن دابروزى ، وبحوزتهم الآن رسالة التهديد بالقتل . كان هذا أمراً إيجابياً ، أليس كذلك ؟

أغلقت جين جاليتا عينيها ، وحاولت معالجة المعلومات الجديدة بسرعة وبشكل صحيح . لعل مارى سميث تكتب رسائلها مسبقاً ثم تنهيها وترسلها بعد الجريمة .

لكن لماذا تترك هذه الرسالة هنا ؟ هل فعلت هذا عن قصد ؟ هل كانت هى من الأساس ؟ قد لا تكون هى .

يارب السموات والأرض ! الأسئلة لا تنتهى أبداً فى هذه القضية . فأين الإجابة إذن ؟ ماذا عن إجابة واحدة وحسب كبداية ؟

فكرت بآلكس كروس ـ بشيء كان قد قاله : " واصل طرح الأسئلة إلى أن تعثر على حجر أساس القضية ككل ، إنه السؤال الذى يكمن فى قلب

الأمر كله . ثم تستطيع بعدها أن تشرع فى شق سبيلك لحل القضية من جديد . عندئذ ستظهر الأجوبة أمام عينيك . "

سؤال واحد . حجر الأساس . ما هو هذا ؟

حسناً ، قبل ست ساعات كان لا يزال لغزاً غامضاً بالنسبة لجاليتا . لم تسمح لآخر مرتادى المقهى فى النهار بالعودة لمنازلهم إلا بعد أن حل الظلام . أدلى خمسة أشخاص بخمس شهادات مختلفة بشأن الشخص الذى كان يجلس إلى جهاز الكمبيوتر المقصود ؛ ولم يكن لدى بقيتهم ما يدلون به .

لم تشتبه المحققة جاليتا بأى واحد ممن تحدثت معه من مرتادى المقهى ، لكن جميع الزبائن الستة وعشرين سيكونون تحت المراقبة . إن العمل المكتبى وحش كان أكثر من أن تتحمله ، لا الآن ولا أبداً .

الأمر الذى لم يثر دهشة أحد ، هو أن بطاقة ائتمان مارى سميث مسروقة . وصاحبتها سيدة فى الثمانين من عمرها من شيرمان أوكس ، وهى لم تدرك حتى بفقدانها للبطاقة ، كان اسمها السيدة ديبى جرين . لم يكن هناك شيء آخر مسجلاً على بطاقة الائتمان ؛ لم تكن هناك وثائق أو أوراق يمكن تتبع أثرها ، لا شيء مطلقاً . **إنها حريصة ، وهى منظمة ـ بالنسبة لشخص جنونه واضح مثلها .**

طلبت جاليتا من بريت مدير المكان أن يجلب لها قهوة اسبريسو قوية . من هنا ، ستعود إلى المكتب ، حيث سيتعين عليها أن تفرز وتحلل أحداث اليوم وهى لا تزال حاضرة فى ذاكرتها . قال جارها إنه سوف يفتح الباب للكلب من أجلها .

تساءلت ما إذا كانت ستعود إلى بيتها قبل منتصف الليل ، وعندئذ حتى ، هل سيكون بمقدورها أن تنام ؟

الجواب فى الغالب بالنفى ـ على كلا السؤالين .

وعلى هذا فما هو السؤال الوحيد الذى تحتاج إلى طرحه ؟ أين يكمن حجر الأساس ؟

أم أن ما قاله آلكس كروس محض هراء ؟

الفصل ٤١

لم تعرف أبداً ما الذى كانت تريده يا صديقى ، وربما مازالت لا تعرف . لقد كنت أحب كرستين ، لكن حالها انقلب تماماً بعد ما جرى فى جامايكا . كان عليها أن تمضى قدماً فى حياتها ، وكذلك أنت أيضاً " .

كنت أجلس مع صديقى سامبسون فى مقهى زينى ، مكاننا المفضل فى الحى الذى نسكنه . كانت تنبعث من صندوق الموسيقى أغنية " I Done Got wise " لفريق B . B . King's . لن ندير إلا أغنيات البلوز الحزينة هذه الليلة ، بالنسبة لى على الأقل .

لم يكن هذا المكان يفتقد البهجة ، مع وجود رافايل ، ذلك النادل الذى يعرفنا واحداً واحداً بالإسم ويصب لنا المشروبات بسخاء . ترددت حيال تناول فنجان القهوة الذى أمامى . كنت أحاول أن أتذكر هل هو الفنجان الثالث أم الرابع . كم كنت مرهقاً . تذكرت عبارة من أحد أجزاء فيلم إنديانا جونز : " ليست الأعوام يا عزيزى ، إنها الأميال " .

نظرت نحو سامبسون إلى جانبى قائلاً : " ليست كرستين هى المسألة يا جون مع هذا ، صح ؟ المسألة هى آلكس الصغير . أو آلى . كما يحب أن يدعو نفسه . إن له بالفعل شخصيته المتفردة " .

مسح على مقدمة رأسى قائلاً : " إن المسألة هنا فى دماغك يا صديقى ، والآن استمع إلى " .

انتظر حتى استقمت فى جلستى وأوليته انتباهى كاملاً . ثم انحرف بنظره ببطء نحو السقف . أغلق عينيه وانقبضت ملامح وجهه وقال : " اللعنة . لقد نسيت ما كنت سأقوله . يا للسوء ، يا للسوء . كنت سأحسن حالتك إلى درجة قصوى " .

ورغماً عن إرادتى وجدتنى أضحك . يعرف سامبسون دائماً متى يدخل علىّ البهجة . كان الأمر على الحال نفسه منذ كنا فى العاشرة من عمرينا ونحن ننمو معاً بواشنطن العاصمة .

قال : " حسناً ، لنعد إذن إلى ثانى أفضل شىء . " وأشار لرافايل لكى يجلب لنا كوبين من المشروبات المثلجة .

قلت وكأننى أحدث نفسى : " لا يعرف المرء أبداً ماذا سيحدث . عندما نقع فى الحب ، لا يكون هناك أى ضمانات " .

قال سامبسون : " هذا حقيقى . لو قيل لى إنه سيكون لدىّ ابن ذات يوم لكنت ضحكت من هذا . وها أنذا لدىّ طفل عمره ثلاثة شهور . هذا جنون . وفى الحين نفسه ، يمكن لكل شىء أن يتبدل من جديد . هكذا فجأة . " ثم طرقع أصابعه بقوة فخرق الصوت أذنى . إن لدى سامبسون أكبر يدين من بين كل الآخرين الذين أعرفهم . إن طولى ستة أقدام وثلاث بوصات ، لست قوى القسمات بالضبط ، ولكن أيضاً لست سيىء الهيئة ، لكنه يجعلنى أبدو نحيفاً .

استمر فى كلامه يدور ويثرثر ، لكن لكلامه معنى خاصاً به فقال : " أنا وبيللى سعداء معاً ، لا شك فى هذا ، لكن هذا لا يعنى أن تنقلب الأمور كلها انقلاباً جنونياً ذات يوم . مثلاً ، قد تقوم بعد عشرة أعوام من

الآن بإلقاء ملابسى إلى الباحة . لا أحد يدرى . لا ـ لن تفعل فتاتى بى هذا . ليست حبيبتى بيللى " . قال هذا وضحك كلانا .

جلسنا وشربنا فى صمت لبضع دقائق . وحتى بدون حديثنا ، ساد مزاج كئيب .

سألنى ، وقد رقت نبرة صوته : " متى سترى آلكس الصغير مرة أخرى . أقصد آلى ؟ كم يعجبنى هذا " .

" الأسبوع القادم يا جون . سأسافر إلى سياتل ، علينا أن ننهى اتفاق السماح بالزيارة " .

كم أبغض هذه الكلمة . الزيارة ، هذا ما لدى الآن مع ابنى ؟ فى كل مرة أتحدث بصوت عال عن هذا الموضوع ، أرغب فى أن ألكم شيئاً : مصباحاً ، نافذة أو كأساً .

سألت سامبسون : " كيف سأتمكن من القيام بهذا ؟ بجدية . كيف سأواجه كرستين وأواجه آليكس ـ وأتصرف كما لو أن كل شيء على ما يرام ؟ كلما رأيته الآن قلبى يؤلمنى . حتى لو أمكننى أن أنحى هذا جانباً وأبدو عادياً ، فإن هذا ليس بالوضع الطبيعى بين أب وولده " .

قال سامبسون مصراً : " سيكون ابنك على خير حال . من المستحيل يا آلكس أن تربى أطفالاً أقل من رائعين ، وعلاوة على ذلك ، انظر إلينا . هل تشعر بأن حالك أو حالى ليس على ما يرام ، أو أننا لسنا رجالاً صالحين ؟ " .

ابتسمت ناظراً إليه وقلت : " أليس لديك مثال أفضل منى ومنك ؟ "

" أنا وأنت لم نحظ فى طفولتنا بكل المزايا الحياتية ، ولكننا كبرنا وأصبحنا رجالاً صالحين . وعلى حد علمى أنت لا تتعاطى أى مخدرات ولا تتخلى عن أطفالك أو تبتعد عنهم ، ولا تفكر أبداً فى إيذاء أطفالك بدنياً . لقد مررت بهذا كله أنا ، وانتهى الأمر بأن أكون ثانى أفضل شرطى فى قوة واشنطن " . توقف وخبط رأسه بكفه : " أوه ، مهلاً ، إنك الآن المفضل لدى المباحث الفيدرالية كلها . أظن أن هذا يجعلنى رقم واحد فى واشنطن العاصمة " .

شعرت فجأة بأننى منهك لدى افتقادى لآلكس الصغير ، ولكننى أيضاً ممتن لصداقة جون . قلت له : " شكراً لأنك هنا " .

أحاط كتفى بذراعه واعتصرنى بقوة قائلاً :

" وما جدوى الصداقة إذن ؟ "

الفصل ٤٢

استيقظت فجأة لأرى مضيفة جوية مرتبكة قليلاً تحدق فيَّ من أعلى . تذكرت أننا دخلنا فى صباح اليوم التالى وأننى على متن طائرة يونايتد عائداً إلى لوس أنجلوس . أشار تعبير الفضول المرسوم على وجهها أنها طرحت علىّ سؤالاً لتوها .

قلت : " عذراً ؟ "

" هل سمحت رجاءً برفع منضدة طعامك الصغيرة . ورفع ظهر مقعدك . سنهبط إلى لوس أنجلوس فى غضون دقائق قليلة " .

قبل أن يأخذنى النوم ، كنت أفكر فى جيمس ترسكوت وكيف ظهر فجأة فى حياتى . هل هى مصادفة ؟ لا أميل لتصديق هذا . وهكذا فقد اتصلت بصديقة باحثة فى كوانتيكو ، وطلبت منها أن ترسل لى معلومات كثيرة حول ترسكوت . وقد وعدتنى هذه الصديقة ، مونى دونيللى ، أننى سأعرف عن ترسكوت أكثر مما أريد أن أعرف .

جمعت أوراقى . ليست فكرة حسنة أن أتركها مكشوفة هكذا ، وليس هذا من طبعى ؛ كما أنه لم يكن من طبعى أن أنام فى رحلات الطيران .

كان كل شيء تلك الأيام على غير حالته الطبيعية بدرجة طفيفة . درجة طفيفة فقط ، أليس كذلك ؟

فى غضون أيام معدودة ، نما ملفى الخاص بقضية مارى سميث ليصبح أكثر سُمكاً بشكل ملحوظ . كان الإنذار الكاذب الأخير بمثابة لغز غامض . لم أكن حتى متأكداً من أن مارى سميث وراء هذا الإنذار .

وبتأمل تقارير جرائمها . كونت عنها صورة شخص يزداد ثقة بنفسه فى ما يقوم به ، ويزداد عدوانية بلا شك . عملياً ، كانت تسعى وراء أهدافها حتى بلوغها . وموقع الجريمة الأول ، حيث قتلت باتريس بينيت ، كان مكاناً عاماً . المرة الثانية كانت أمام منزل آنتونيا شيفمان . والآن ، تشير كل الدلائل إلى أن مارى سميث قضت جزءاً من الليل بداخل منزل مارتى لوينشتاين ـ بيل قبل أن تقتلها بالمسبح فى نهاية الأمر .

على أى حال ها أنذا فى لوس أنجلوس مرة أخرى ، أغادر الطائرة ، أستأجر سيارة ، بالرغم من أننى بوسعى أن أطلب من العميل بيج المجيء لأخذى .

كان مقر مكتب تحقيقات لوس أنجلوس يجعل مقراتنا فى واشنطن مصدراً للخجل . فبدلاً من متاهة المكاتب التى تبعث سقوفها المنخفضة الرعب فى نفوسنا من انهيارها فجأة ، كان هذا المقر عبارة عن تسعة طوابق من بناية مفتوحة من الزجاج المصقول ، والكثير من ضوء النهار الذى يتخللها . ومن مكانى فى الركن الذى خصصوه لى بالدور الخامس عشر ، كنت أطل على منظر بديع لمتحف جيتى وما وراءه . مقارنة بما يحدث فى أغلب المقار ومكاتب التحقيقات ، كان من حظى الحصول على مقعد ومكتب فقط .

وبعد وصولى إلى هناك بعشر دقائق أخذ العميل بيج يحوم حولى . كنت أعلم أن بيج رجلاً ذكياً بما يكفى ، وشديد الطموح ، وبإضافة بعض الصفات على شخصيته ، فلسوف يصير عميلاً كفئاً . كل ما هنالك أننى لم أكن محتاجاً إلى شخص يختلس النظر من وراء ظهرى حالياً . فيكفى ما

أعانيه من مديرى بيرنز ، ناهيك عن الكاتب ، جيمس ترسكوت ، الذى يسعى لتسجيل تفاصيل سيرتى الذاتية ، أليس كذلك ؟ أم أنه يسعى وراء شيء آخر ؟

سألنى بيج إذا ما كنت بحاجة إلى أى شيء على الإطلاق ؟ رفعت ملف القضية وقلت له :

" هذا الأمر سوف يستغرق أربعاً وعشرين ساعة على الأقل . أريد أن أطلع على كل ما تعرفه المحققة جاليتا فى مكتبها بمركز تحقيقات لوس أنجلوس ، أريد أن أعرف أكثر مما تعرف هى . هل تظن أنه بمقدورك ــ ؟ "

قال : " سأسعى لذلك " ثم مضى .

لم يكن ما أمرته به مجرد مهمة زائفة بلا قيمة . فإننى بحاجة حقيقية لأنه أكون مواكباً لما يجرى ، فإذا كان هذا يعنى أن أتخلص من ظل بيج بعيداً عن ظلى فإن هذا سيكون أفضل .

جذبت ورقة بيضاء وجعلت أخط عليها بعضا من الأسئلة التى أدرتها فى عقلى خلال مشوارى من المطار .

إم لوينشتاين ـ بيل . كيف يمكن لأحدهم أن يدخل إلى المنزل ؟ هل لدى المجرمة قائمة اغتيالات من نوع ما ؟ نظام له أسس راسخة ؟ أهناك صلات خفية بين الضحايا ؟ أين يمكن أن تكمن هذه الصلات ؟

إن المعادلة الأكثر شيوعاً فى مهنتى هى : كيف + لماذا = من . فإذا أردت أن أعرف من هى مارى سميث ، لابد أن أتدبر التشابهات والاختلافات ـ وبالتركيب فيما بينها ، ومن موقع إلى آخر فى كل واحدة من الجرائم . مما يعنى الذهاب إلى منزل لوينشتاين ـ بيل .

كتبت : الشخص الذى يبعث بالرسائل ؟ / الجانى ؟

واصلت الرجوع لهذه النقطة . ما مقدار التشابة ما بين شخصية القاتل والشخصية التى تظهر فى الرسائل ؟ ما مدى الأمانة ، إن لم نجد كلمة أدق منها ، التى تكتب بها مارى سميث ؟ وما مدى التضليل بها ، إذا وجد ؟

حتى أتوصل إلى هذا ، سأكون كمن يلاحق شخصين مشتبهاً بهما . إذا حالفنى الحظ ، سيعمل موعدى التالى على إلقاء بعض الضوء على الرسائل الإلكترونية .

كتبت ملاحظة أخرى لنفسى . أدوات الجرائم ؟

لدى أغلب القتلة أصحاب الأسلوب الثابت مجموعتين من أدوات العمل ، وهكذا أيضاً مارى سميث . كانت المجموعة الأولى خاصة بالقاتل الحقيقى . المسدس شيء مؤكد بينها . فنحن نعلم أنها استخدمت السلاح نفسه فى كل المرات . لكننا لسنا متأكدين تماماً بشأن السكين .

ولابد من وضع سيارتها بالاعتبار . فما من وسيلة أخرى غير السيارة تجعل ذهابها وهروبها أمراً متيسراً لها .

ثم هناك تلك " الأدوات " التى تشبع لها حاجاتها العاطفية المختلة .

ملصقات بحروف " أ " و " ب " ، الرسائل الإلكترونية بحد ذاتها . غالباً ما تكون هذه الأدوات أهم بالنسبة للقاتل من الأدوات الفعلية ، فقد كانت هى وسيلتها لتقول " لقد مررت من هنا " أو " ها أنا ذا " .

أو من المحتمل أن يكون الأمر أعقد من هذا ، " هذه من أريدكم أن تعتقدوا أنها أنا " .

على أى اعتبار ، فهذه الرسائل نوع من الإغاظة ـ شيء يمكن أخذه على أنه : " هلموا وأمسكو بى . إذا استطعتم " .

دونت هذه الفكرة الأخيرة ، كذلك .

هلموا وأمسكوا بى إن استطعتم .

ثم كتبت شيئاً طال إزعاجه لى ـ ترسكوت . ظهر من ستة أسابيع ، **من هو جيمس ترسكوت ؟ ما الذى يسعى وراءه ؟**

نظرت فجأة نحو ساعة يدى . حان وقت مغادرتى للمكتب ، حتى لا أتأخر على موعدى الأول . وإن طلبت سيارة من المكتب لن يعنى هذا سوى شخص آخر يختلس النظر على عملى ، ولهذا تحديداً استأجرت سيارة من المطار .

غادرت المكان دون أن أخبر أى شخص عن مقصدى ، إن كنت سألعب من جديد دور المحقق فى جرائم القتل فعلىَّ أن ألعبه بالبراعة المطلوبة .

الفصل ٤٣

كان هذا على الأقل جانباً من عمل الشرطة ، فألقيت بنفسى فى خضمه بحماسة وطاقة متجددة . والحق أنى كنت مشحوناً بالعزم والتصميم . استولت الأستاذة ديبورا باباداكيس على كامل انتباهى ، فيما هى تشير لى بالدخول إلى مكتبها المصفوف ، المكتب رقم ٢٢ بمبنى رولف فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس . رفعت رزمة من المخطوطات المنظمة بعناية من فوق المقعد الوحيد المتاح ووضعتها على الأرضية .

قلت : " أرى أنك منشغلة يا أستاذة . يا الله ، إنك شديدة الانشغال . أشكرك لموافقتك على مقابلتى " .

أشارت إلىَّ لأجلس ، وهى تقول : " سأكون سعيدة إن استطعت تقديم يد العون . لم يسبق لى أن شاهدت لوس أنجلوس على هذه الدرجة من الانهماك فى قضية واحدة منذ ، لا أعلم ، ربما منذ قضية رودى كينج . إنه حقاً أمر مؤسف " .

ثم رفعت يدها وقالت بسرعة : " على الرغم من أنه ليس الأمر نفسه ، أليس كذلك ؟ على أى حال فهذا غير معتاد قليلاً بالنسبة لى . إننى من

نوعية الأشخاص الذين يميلون إلى القصص القصيرة والمقالات الشخصية ، إننى لا أقرأ الكتب التى تحكى عن الجرائم الحقيقية ، ولا الجرائم الخيالية والألغاز . حتى إننى لهذا السبب أقرأ لوالتر موسلى ، لكنه عالم اجتماع متنكر " .

قلت وأنا أناولها نسخاً من رسائل مارى سميث الإلكترونية : " أياً كان ما تستطيعين القيام به ، أخشى أن أقول كلاماً مكروراً حين أقول لك إننا نقدر لك إحاطة هذا الأمر بكتمان كامل " . كان مطلبى هذا لمصلحتى الخاصة ولمصلحة التحقيقات فلم يكن لدىّ أى تصريح رسمى بإطلاعها على الرسائل الإليكترونية ، أو إطلاع أى شخص آخر .

صبت لى الأستاذة باباداكيس قدحاً من قهوة من آلة قديمة لتحضير القهوة ، وانتظرت بينما راحت تقرأ الرسائل الإليكترونية وتعيد قراءتها .

كان مكتبها يعد أحد المعالم البارزة والفخمة فى داخل الحرم الجامعى وكان يطل على الباحة والحديقة الصخرية ، حيث عكف الطلاب على الكتابة وعلى تشرب الطقس المثالى لكاليفورنيا الجنوبية . أغلب مكاتب المبنى كانت تواجه الشارع . أما الأستاذة باباداكيس بمكتبها المصنوع من خشب الصنوبر ، والذى يعد تحفة ، وبجائزة " أو . هنرى " المعلقة على الجدار ، كانت تعطى الانطباع بأنها شخص قد أوفى بما عليه منذ وقت طويل .

بينما كانت تقرأ ، لم يظهر عليها أى رد فعل ، فيما عدا همهمة من وقت لآخر . وأخيراً ، رفعت بصرها وحدقت نحوى . وقد غاض لون وجهها قليلاً .

قالت وهى تأخذ نفساً عميقاً : " حسناً ، إن الانطباعات الأولى مهمة ، لذا فسوف أبدأ بها " .

التقطت قلماً أحمر ، ونهضت واقفاً واقتربت ملتفاً لأنظر من فوق كتفها .

" أترى هنا ؟ وهنا ؟ الاستهلالات جذابة . أشياء من قبيل " أنا الشخص الذى قتلك " و " لقد راقبتك وأنت تتناولين عشاءك ليلة

أمس " . إنها تستولى على الانتباه ، أو هذا هو المقصود من ورائها على الأقل " .

قلت : " هل استخلصت أى استنتاج محدد من هذا ؟ " كان لدى بعض الاستنتاجات الخاصة بى ، لكننى جئت إلى هنا لأستمع إلى وجهة نظرها .

هزت رأسها من جانب إلى آخر . قالت : " إنه أمر مثير للاهتمام ، لكن أيضاً يتسم بقدر ضئيل من العفوية ، وبكثير من التصنع . هذه الانسانة تختار كلماتها اختياراً حريصاً . فهى بلا شك لا تستسلم لتداعى الأفكار " .

" هل لى أن أسألك ماذا ترينه أيضاً فى الكتابة ؟ سيكون هذا عوناً كبيراً يا أستاذة باباداكيس " .

" حسناً ، هناك شعور بـ ..... الانفصال ، لنقل هكذا ، الانفصال عن العنف الخاص بالشخصية " .

تطلعت نحوى ، كما لو أنها تنتظر موافقتى . لم أتخيل أنها عادة تكون غير واثقة هكذا . حيث إنها فى أغلب الحالات تكون أكثر ثقة وصلابة إلا عندما تتحدث عن الأطفال ربما .

قلت : " استمرى من فضلك ، إننى مهتم بشأن الأطفال . ماذا تعتقدين يا أستاذة ؟ "

" عندما تصف ما قامت به ، يكون الأسلوب خبرياً للغاية . الكثير من الجمل البسيطة ، تكاد تكون متقطعة أحياناً . قد لا يكون إلا اختياراً أسلوبياً ، ولكنه قد يكون أيضاً نوعاً من التجنب .إننى ألحظ هذا طوال الوقت حين يخشى الكتاب موضوعاتهم . إذا كانت واحدة من طالباتى هى من كتب هذا ، لكنت نصحتها أن تنبش وراء تلك الخيوط أكثر قليلاً ، لتجعلها تتضح وتنكشف " . هزت كتفيها قائلة : " وطبعاً أنا لست اخصائية نفسية " .

قلت لها : " لا تقللى من شأن نفسك . إننى حقاً معجب بما قلت . لقد أضفت بعض الوضوح " .

ألغت المجاملة بتلويحة من يدها .

" هل من شيء آخر يمكننى القيام به ؟ أى شيء على الإطلاق ؟ فى الحقيقة إن الأمر مدهش بالنسبة لى . أظن أنه الفضول المرضى لدى " .

راقبت وجهها بينما كانت تزن أفكارها ، ثم ارتأت ألا تواصل حديثها .

سألتها : " ماذا هنالك ؟ أرجوك ، إنه مجرد تفكير عفوى . لا تقلقى بهذا الشأن . ما من إجابات صحيحة وأخرى خاطئة " .

وضعت قلمها ، وقالت : " حسناً ، السؤال هنا ما إذا كنا نقرأ شخصاً أم شخصية ، وبتعبير آخر ، هل الانفصال الذى أراه ينبع من عقل الكاتب الباطن ، أم أنه مجرد اصطناع شأنه شأن الجمل فى حد ذاتها ؟ من العسير أن نعرف ذلك على وجه اليقين . إن هذا لغز ضخم أمامنا ، أليس كذلك ؟ "

كان هذا بالضبط السؤال نفسه الذى طرحته على نفسى مراراً وتكراراً . لم تكن الأستاذة تجيب عليه من أجلى ، بل كانت تؤكد بلا جدال أنه من الجدير طرح هذا السؤال .

ضحكت فجأة ضحكة عصبية وقالت : " إننى أتمنى بالتأكيد ألا تمنح شهادتى أى دور حاسم فى تحرياتك . فكم أكره أن أضللك . فالأمر فى منتهى الأهمية والخطورة " .

قلت : " لا تقلقى بهذا الشأن . هذا هو مجرد عامل واحد من بين عوامل أخرى عدة نضعها فى الحسبان . وهو لغز غير معقول مع هذا . فهو لغز نفسى وتحليلى وأدبى " .

" لابد أنك تبغض أن تقطع كل هذه المسافة من أجل تلك النتف من المعلومات الضئيلة . لو كنت مكانك لفعلت " .

" فى حقيقة الأمر ، إن هذا النوع من المقابلات هو الجانب السهل من العمل " . هكذا قلت لها صادقاً .

كان موعدى التالى هو ما أخشاه .

الفصل ٤٤

عند البوابة الخاصة بعقار لوينشتاين . بيل فى قطاع بيل إير من بيفرلى هيلز أوقفنى حارس أمن مسلح . ثم أعاد اثنان من الحرس الخاص تفحص هويتى فى الجزء الأعلى من ممر دخول السيارات . وأخيراً سُمح لى بالاقتراب من المنزل ، والذى يقع على طريق متعرج وغير بعيد من فندق بيل إير ، الذى زرته مرة واحدة ، ووجدته واحداً من أكثر البقع جمالاً ووداعة من بين كل ما رأيت .

عندما قرعت الجرس ، أجابنى مايكل بيل بنفسه . كان المنزل مكوناً من الزجاج أكثر من أى شيء آخر ، ورأيته رؤية واضحة وهو يقترب قبل أن يصل إلى . كانت نبرة صوته بطيئة ومترددة .

إنه نمط سلوكى لأى شخص فقد أحد أفراد عائلته إثر جريمة قتل . فالوقت الذى تكون بأمس الحاجة فيه إلى أكثر المعلومات هو نفسه الوقت الذى يكونون فيه أقل رغبة فى التحدث بشأن ما حدث . لم أجد أبداً وسيلة للتعامل مع مثل هؤلاء الأشخاص تشعرنى بالارتياح ، أو تشعر الشخص الذى أذهب للقائه بالارتياح .

لم يبد على السيد بيل انتماؤه لـ بيفرلى هيلز تحديداً بلحيته الشقراء المشعثة ، وسرواله الجينز ، وصندل قدميه ، وذلك القميص ذى المربعات الباهت اللون . أكاد أراه كعامل فى بيع الخشب ، أو كعضو سابق فى فرق موسيقية مثل نرفانا وبيرل جام ، إذا لم نأخذ بالاعتبار المكان شديد الحداثة (المجهز على أحدث الطرز) . علمت من الملف أنه وزوجته قد بنيا منزلهما قبل بضع سنوات فقط .

كان سلوك مايكل بيل ونبرة صوته لهما تلك السمة المغمومة لشخص فى أول مراحل حداده ، غير أنه رحب بى فى تهذيب داعياً إياى للداخل . سأل : " هل يمكننى أن أقدم لك أى شيء . أعلم أن لدينا شاياً مثلجاً . هل تود بعضاً منه أيها العميل كروس ؟ "

قلت : " لا شيء شكراً لك " .

كانت تقف على مقربة مديرة منزل ومربية فى منتصف العمر ، فى انتظار أن تقدم العون إن استطاعت . إخال أنها لوبى سان ريمو ، التى عثرت على الجثة فى المسبح .

قال لها السيد بيل : " لا نريد شيئاً يا لوبى ، أشكرك ، اتركينا وحدنا من فضلك " .

تبعته خلال صالة مفتوحة حيث تجمع ثلاث صغيرات شقراوات إلى بعضهن البعض على مقعد هائل الحجم . كاسى ، آنا ، وزوى ، أعمارهن خمسة ، وسبعة ، وثمانية أعوام ، وفقاً لملف القضية . وقد ثبتت صورة من فيلم الرسوم المتحركة " البحث عن نيمو Finding Nemo " على شاشة بلازما ضخمة .

لقد قاطعتهن ، وساءنى هذا ، كذلك ، تساءلت ما إذا كانت مارى سميث تكن مشاعر نحو أطفال ضحاياها حقاً ؟ وإذا كانت تكن لهم مشاعر ـ فلماذا إذن ؟ ما الذى قد يُحتمل أن يكون دافع هذا الشخص المخبول ؟ لماذا يقدم على قتل أم تلك الصغيرات ؟

" سأكون فى غرفة المعيشة لبضع دقائق يا بنات . تابعن المشاهدة بدونى " . ضغط زر جهاز التحكم ورفع الصوت فبدأ الفيلم مرة أخرى ،

تعرفت على صوت الممثلة " إيلين دجينرز " فى أغنية الفيلم ، غالباً لأننى شاهدت نيمو عشرات المرات مع جانى ، التى تموت ولعاً بشخصية " دورى " .

قال السيد بيل : " يمكننا التحدث ها هنا " بينما دخلنا غرفة معيشة لسقفها عدة أقواس وقد ظهر جدار زجاجى من ثلاثة طوابق يطل على منظر ساحلى بديع ، وعلى مسافة أقرب يربض المسبح ، الذى وجدت به زوجته مارتى . جلس مايكل بيل مولياً ظهره للحمام على أريكة من المخمل لها لون كريمى .

قال بصوت هادئ : " كنت فى السابق أحب هذا المنظر ، وكذلك كانت مارتى " .

سألته بشكل مباشر : " أتفضل أن نلتقى فى مكان آخر ؟ "

قال : " شكراً لك ، لا بأس مطلقاً . أنا أحاول أن أتحرك بالمكان بشكل عادى قدر الإمكان . من أجل البنات . ومن أجل الحفاظ على سلامة ذهنى . الأمر على ما يرام . ألديك بعض الأسئلة ؟ "

" أعلم أن مكتب تحقيقات لوس أنجلوس قد قام باستجوابك وأعلم أنهم أنهوا التحقيق معك ، لذا سأحاول أن أكون مختصراً قدر الإمكان " .

" أقدر لك هذا . مهما يقتضى الأمر . رجاء ، لنقم بذلك . إننى أريد أن أعاونكم فى العثور على الشخص الذى ارتكب هذا . أحتاج لأن أشعر بأننى مصدر عون ، أن أفعل شيئاً ما " .

جلست إلى أريكة مواجهة . وبيننا منضدة من قطعة رخام كبيرة ومصقولة وقلت : " أنا آسف ، لكنى مضطر لأن أبدأ من الجانب الظاهر . هل كان لزوجتك أى أعداء تعرفهم ؟ أى شخص مر بخاطرك منذ حدث ما حدث ؟ "

مر بيديه فوق لحيته ، ثم هزهما أمام عينيه للأمام وللخلف ، قال : " صدقنى ، لقد فكرت فى هذا . لكن هذا جانب المفارقة فى الأمر . إن

مارتى واحدة من أكثر الأشخاص شعبية فى البلدة . لقد كان الجميع يحبونها ، وهو أمر نادر الحدوث هنا . وتأكد بنفسك " .

توقف عن الحديث ، وانقبض وجهه ألماً . كان على حافة فقدان تماسكه ، وخلت أننى أستطيع قراءة أفكاره . لقد كان الجميع يحبونها ، كان فيما مضى .

تهدل كتفاه . مسح عينيه بقبضته المكورة وقال : " أنا آسف . أواصل التفكير فى أن ما مضى قد انقضى ، لكنه لم ينقض حقاً " .

قلت له : " خذ وقتك " .

أردت أن أقول له ما هو أكثر ؛ أردت أن أخبره أننى أعرف طبيعة شعوره . ليس فقط حيال فقد زوجته ، ولكن أيضاً حيال فقدها على هذا النحو . فقبل فترة ، كنت فى موضع شديد الشبه بموقعه على هذا النحو . وإذا كانت تجربته شبيهة بما حدث لى مع ماريا ، فمن العسير أن يجد راحته فى أى شىء ، وبالذات على يد غريب مثلى ، بل وشرطى . أى كلام شخصى يمكننى قوله له فى هذه النقطة لن يكون إلا لصالحى الشخصى ، لذا لم أتحدث بشأن ماريا وكيف لقيت مصرعها .

" أبى ؟ "

كانت زوى ، كبرى البنات ، تقف لدى القوس المرتفع ما بين غرفة المعيشة والردهة . بدت خائفة ، وبدت ضئيلة وحيدة فى المدخل .

قال لها : " لا بأس يا حبيبتي . أنا بخير . تعالى هنا للحظة " . فتح ذراعيه فاتجهت نحوه ،وقد اتخذت الطريق الدائر حول الأريكة لتتجنب المشى إلى جوارى .

سقطت فى حضنه ، ثم بدأ كلاهما يبكى . تساءلت ما إذا كانت قد رأت والدها يبكى قبل هذا . قال مرة أخرى : " لا بأس " وراح يمسح على شعرها : " لا بأس يا زوى . إننى أحبك كثيراً . إنك بنت طيبة " .

همست زوى : " وأنا أحبك يا بابا " .

قلت بنبرة هادئة : " سنقوم بهذا فيما بعد . فى وقت آخر . لدى شهادتك فى الملف . لا أحتاج إلى الكثير على أى حال " .

نظر إلىّ نظرة امتنان ، وانضغط جانب وجهه إلى رأس زوى . لقد اطمأنت فى وضعيتها هى الآن وانحرفت قليلاً لتلتقى وحضنه . أشعر أنهما قريبان من بعضهما البعض ، وفكرت فى جانى .

قال : " أرجوك أن تعلمنى إذا كان هناك أى شىء بوسعى القيام به . إننى أرغب حقاً فى المساعدة " .

" إذا أمكننى أن ألقى نظرة سريعة على المنزل ، سيكون هذا مفيداً لى " .

" بالطبع " .

استدرت لأمضى ، ولكن عندئذ توقفت وتحدثت إليه من جديد ، فقط لأننى لم أستطع منع نفسى من ذلك . قلت له : " إنك تقوم بالأمر الصائب تماماً . لن يخرجك من هذا إلا أطفالك . اجعلهم بالقرب منك على الدوام " .

" سأفعل . إنهم كل ما لدى الآن . أشكرك . إنك شديد المراعاة لمشاعر الآخرين " .

غادرت عند ذلك ، وإذا كان لى أن أخمن ، لقلت إنه علم أن نصيحتى له لم تكن نصيحة من شرطى . بل نصيحة أب وزوج . وفجأة لم أعد أرغب فى البقاء بهذا المنزل لوقت أكثر من اللازم .

الفصل ٤٥

باعتبارى محققاً ، لابد أن يروق لى قضاء ساعات فى منزل لوينشتاين ـ بيل ، لأمتص التفاصيل كافة . ولكن تحت هذه الظروف ، أعطيت لنفسى من خمس عشرة إلى عشرين دقيقة فقط .

بدأت بالمسبح ، توقفت عند الطرف العميق ، وحدقت بالأسفل فى الخطوط الزرقاء المرسومة بالقاع . وأنا أقدر الموضع الذى أطلقت منه مارى سميث النار على مارتى لوينشتاين ـ بيل ، رصاصة واحدة على أعلى الرأس ، ثم جذبت الجثة نحوها بشبكة مسبح طويلة اليد .

وقفت القاتلة بهدوء ها هنا وأعملت السكين دون حتى أن تضطر لإخراج الجثة من المياه . كانت القطوع على وجه الضحية عشوائية وسريعة ، عشرات من التمزيقات التى تتقاطع مع بعضها البعض . كما لو أنها كانت تمحوها محواً .

وهذا يشبه ما يفعله الناس أحياناً بالصور الفوتوغرافية ، بالطريقة التى يتخلصون بها رمزياً من شخص ما بوضع علامة (×) على وجهه .

وحقيقة الأمر أن مارى سميث قد شوهت ودمرت العديد من الصور الفوتوغرافية العائلية فى المكتب بالدور الأعلى من المنزل .

تطلعت للأعلى حيث تخيلت مكان وجود المكتب ، اعتماداً على رسوم وتخطيطات ملف القضية .

كان المسار المنطقى من هنا إلى هناك يمضى عبر غرفة المعيشة ، ثم صعوداً بالدرج المبنى من الحجر الجيرى فى المدخل الرئيسى .

لقد قامت القاتلة بزيارة المنزل قبل الجريمة بيوم واحد . كيف حدث هذا بالضبط ؟ فى أى وقت ؟ ولماذا ؟ كيف كانت مارى سميث تطور قدراتها ؟

عندما عبرت خلال المنزل مرة أخرى ، كان مايكل بيل يجلس مع البنات الثلاث الصغيرات . وجميعهم يشاهدون الفيلم بلا تعبيرات على وجوههم . لم ينظروا حتى خلال مرورى بهم ، ولم أشأ أن أقاطعهم مرة أخرى إذا استطعت . ولسبب ما ، تذكرت احتضانى لجانى وداى بعد الذى جرى مع آلكس الصغير فى سياتل مباشرة .

كانت السلالم عبارة عن جسر معلق من الخشب والزجاج يقسم المنزل إلى قسمين . تبعت المسار المحتمل لـ مارى سميث حتى الأعلى ، ثم نزولاً نحو جناح مغلق يسهل العثور عليه حيث يوجد مكتب مارتى .

إنها الغرفة الوحيدة التى لها باب مغلق .

بالداخل ، كان جدار المكتب به بقع بيضاء حيث خلت أن الصورة العائلية كانت معلقة هنالك . كل شيء آخر بدا كما هو لم يمس .

تصير القاتلة أكثر شجاعة ، تقدم على المزيد من المجازفات ، لكن هاجس العائلات يظل قوياً . إن تركيز القاتلة شديد القوة .

جذب انتباهى مقعد جلدى عالى الظهر قبالة شاشة رأسية ٢١ بوصة . هذا مكان عمل الضحية ، ولعله المكان الذى جلست إليه مارى سميث لتبعث برسالتها إلى آرنولد جرينر بصحيفة لوس أنجلوس تايمز .

كان المكتب كذلك يطل على الشرفة والمسبح بالأسفل . كان بوسع مارى سميث أن تراقب جثة مارى تطفو ووجهها للأسفل بينما تكتب .

هل كان من شأن هذا أن يحفزها ؟ أم يزيدها غضباً ؟ أم أنها كانت تشعر برضا تام وهي تجلس ها هنا تنظر للأسفل على ضحيتها ؟

انتبهت لشيء ما . الصور المشوهة والممزقة هنا ، والاتصال الأخير من المقهى . وشيء ما قالته لى الأستاذة باباداكيز حول " التجنب " وشيء آخر كنت أفكر بشأنه ذلك النهار . **إن مارى سميث لا تحب ما تراه فى مواقع الجرائم ، أليس كذلك ؟**

وكلما استمر الأمر ، زاد ما يستدعيه من صور قوية من ماضيها الذى يضايقها . هناك جانب من ذاتها يصير أوضح ، ذلك الجانب الذى لا تحب أن تراه . كانت استجابتها هى أن تتحول . كم أبغض التفكير فى هذا ، لكنها غالباً بدأت تفقد السيطرة على الأمور .

ثم صححت لنفسى القول ـ القاتل بدأ يفقد السيطرة على الأمور .

الفصل ٤٦

رقدت على ظهرى مستريحاً على فراشى بالفندق تلك الليلة ، كان عقلى يجول فى اتجاهات مختلفة ، وكل منها يشغلنى بالقدر نفسه .

مارى سميث ، حالة اختلالها المرضى ، تناقضاتها ، الدوافع المحتملة لارتكابها تلك الجرائم . لا شيء واضح حتى الآن .

جميلة . لا تتورط فى التفكير بهذا الأمر أيضاً ، فلست قريباً من حل المشكلة على أى نحو .

أسرتى التى تركتها بواشنطن العاصمة . لم أتوقف عن التفكير بهم قط .

كرستين وآلكس الصغير . أكثر الأمور بعثاً على الحزن .

كنت أدرك أنه ما من جانب من جوانب حياتى قد أوليته ما يستحقه من اهتمام مؤخراً . كان كل شيء يتطلب منى الكثير من الجهد . لقد عاونت الكثير من الأشخاص على التعامل مع هذا النوع من الإحباط ، لكنى لم أستطع معاونة نفسى قط ، ويبدو لى أنه ما من أحد بارع جداً فى تحليل مكنون نفسه .

أوفت مونى دونييلى بوعدها وتلقيت منها بالفعل بعض المعلومات حول جيمس ترسكوت . ببساطة شديدة لا غبار عليه . كان شخصاً طموحاً ، يمكن اعتباره عديم الرحمة أحياناً ، لكنه كان عضواً محترماً فى مهنة الصحافة ولم يظهر أن له أية صلة بجرائم قتل مارى سميث .

نظرت نحو ساعة يدى ، تمتمت لاعناً ، ثم طلبت رقم المنزل ، على أمل أن ألحق بجانى ودايمون قبل موعد نومهما .

" مرحباً ، منزل عائلة كروس ، هذه جانى كروس تتحدث إليك " .

وجدتنى أبتسم ، قلت : " هل هذا هو متجر القبلات والأحضان السعيدة ؟ أريد طلبية من فضلك ؟ "

" مرحباً يا بابا ، لقد علمت أنك ستتصل " .

" هل يسهل توقع تصرفاتى هكذا ؟ لا بأس . إنكما مستعدان الآن للدخول فى الفراش على ما أتمنى ، اطلبى من دايمون أن يرفع سماعة الخط الآخر " .

" أنا معكما بالفعل . لقد عرفت أنه أنت يا أبى . من السهل توقعك فعلاً . وهذا أمر جميل " .

تحدثت معهما محادثة مقتضبة . حاول دايمون ملاطفتى لإقناعى بالسماح له بشراء اسطوانة مدمجة من النوع الذى لابد من الحصول على موافقة الوالدين لشرائه . لم أسمح له ، ومازال لم ينطق بكلمة حول فتاته الغامضة . كانت جانى شديدة الحماس واللهفة من أجل معرضها العلمى الأول وأرادت أن تعرف منى إذا كان بوسعى وضع أصدقائها على جهاز كشف الكذب فأجبتها قائلاً : " طبعاً ، طبعاً ، بعد أن نضعك عليه أنت ودايمون مباشرة " .

ثم أخبرتنى جانى بالأمر الذى أزعجنى كثيراً . " لقد جاء الكاتب إلى هنا من جديد . لكن الجدة طردته للخارج . وقد وبخته وألقت على مسامعه بكلمات لاذعة ، ودعته بمن يسيء لمهنته " .

بعد أن انتهيت من الحديث مع الأولاد ، تحدثت للجدة ، ثم طلبت بعض الأشياء من خدمة الغرف وبعدها اتصلت بجميلة . كنت أقوم

بالمكالمات وفقاً لترتيب الأقل ضغوطاً فالأكثر ضغوطاً ، كنت أعلم هذا ، تاركاً المكالمات الأصعب للنهاية . بطبيعة الحال ، كان هناك كذلك مسألة فروق التوقيت .

قالت جميلة : " لقد أصبح كل ما يتعلق بقضية مارى سميث مسألة قومية على جناح السرعة . يدور الكلام هنا حول أن شرطة لوس أنجلوس مازالت بعيدة للغاية عن الإمساك بها " .

قلت : " دعينا نتحدث حول أمر آخر غير العمل ، هل هذا يناسبك ؟ "

" الحق أن علىّ الذهاب يا آلكس . سأذهب للقاء صديق ... مجرد صديق . " هكذا أضافت بأسرع من اللازم : " لا تشغل بالك بهذا . " غير أنها بدت كأنها تقول : اشغل بالك بهذا .

قلت : " بالطبع ، فلتذهبى " .

قالت : " سأتحدث إليك غداً ؟ آسفة ، لابد أن أهرع . إلى اللقاء يا آلكس " .

وعدتها بالتحدث غداً ، ثم وضعت السماعة ، مجرد صديق ، فكرت ، حسناً ، مكالمتان محبطتان ، أنهينا إحداهما . الأصعب هى التالية . التقطت سماعة الهاتف من جديد وأدرت الأرقام التى أحفظها عن ظهر قلب .

" مرحباً ؟ "

" إنه أنا .آلكس " .

توقفت كرستين عن الكلام ـ رد فعل آخر من المستحيل فهمه ، قالت أخيرا : " مرحباً " .

" هل يمكننى التحدث إلى آلكس ؟ "

" بالطبع ، انتظر على الخط ، سأناديه . لقد أنهى عشاءه تواً . إنه فى حجرة اللعب " .

سمعت صفيراً ثم خفضت كرستين صوتها قائلة : " إنه بابا " هذه الكلمة تسببت لى فى إحساس غريب ـ جعلنى أشعر بشىء من الدفء والندم فى الوقت نفسه .

" مرحباً يا بابا " حمل لى صوته المنفعل مشاعر مختلطة كثيرة ولها وطأة ، لكن الأهم منها جميعاً ، أننى أفتقده بجنون . أستطيع رؤية وجهه الصغير ، وابتسامته .

" مرحباً يا صغيرى . كيف حالك ؟ "

ومثل أى طفل فى الثالثة من عمره ، لم يكن آلكس الصغير مستعداً تماماً للتواؤم مع مسألة الاتصالات الهاتفية ككل . كانت محادثة سريعة ، بكل أسف . وبعد صمت طويل ، سمعت صوت كرستين مرة أخرى فى الخلفية .

" قل إلى اللقاء " .

" إلى اللقاء " .

قلت له : " أراك قريباً ، أنا أحبك يا صغيرى " .

" وأنا أحبك يا أبى " .

وضع آلكس الصغير السماعة قبلى . بهذه القرقعة المجافية ، عدت إلى غرفتى ، وحيداً مع قضية مارى سميث ، مفتقداً لكل الأشخاص الذين أحبهم أكثر من الحياة ذاتها . كانت هذه هى الفكرة التى تسيطر علىّ ، ولكن ما معناها ؟

الجزء الثالث

خدع وحيل

الفصل ٤٧

جلست ماري سميث على مقعد مستطيل بالحديقة العامة بينما طفلتها الصغيرة المحبوبة آشلي تتقافز وتلهو هنا وهناك في الملعب . وهو ما كان أمراً طيباً . هذا التمرين سيكون كافياً لإخماد طاقتها قبل أن تضطر ماري للذهاب وأخذ بريندان وآدام من أماكن تمرينهما ، وعلى أمل أن يكون وقتاً كافياً للسماح لعقل ماري بأن يهدأ خلال يوم آخر غير محتمل .

نظرت نحو دفتر يومياتها الجديد في حجرها ، معجبة بورقه الثقيل اللطيف والغلاف البديع المصنوع من الكتان .

كانت اليوميات واحدة من أفعال التبذير الكبرى في حياتها . كانت تحاول أن تكتب القليل كل يوم . ربما فيما بعد ، سيقرأ الصغار تلك الصفحات ويعلمون أي امرأة كانت إلى جانب كونها طاهية ، وخادمة ، وسائقة سيارة . ومع ذلك ، فحتى دفتر اليوميات كان يتآمر عليها . دون أن تفكر كتبت طماطم ، جزر صغير ، عصير ، رقائق الحبوب ، حفاضات على الصفحة الأولى .

لا يصح هذا وحسب . قامت بقطع الورقة فى حرص . قد يكون هذا سخيفاً وغبياً ، لأنها تعتبر أن هذا الدفتر مكان مقدس ، ولا يجب تشويهه بوضع قائمة تسوق عليه !

انتبهت فجأة إلى أن آشلى قد اختفت ! آه يا ربى ، أين هى ؟

كانت هنا منذ لحظة مضت ، والآن فقد اختفت .

هل مرت لحظة فقط ؟ توترت . ربما لم تكن مجرد لحظة . لعلها كانت وقتاً أطول من بضع ثوان .

" آشلى ؟ حبيبتى ؟ "

راحت عيناها بسرعة تمسحان الملعب الصغير المزدحم ، كانت هناك عدة رؤوس شقراء تصعد الأراجيح أو تجرى بالأنحاء ، ولكنها ليست لـ آشلى . كان المكان كله مغلقاً بسياج حديدى . إلى أى مدى قد تكون ابتعدت ؟ اتجهت نحو البوابة .

" المعذرة ، هل رأيت فتاة صغيرة ؟ شقراء الشعر ترتدى سروال جينز وتى شيرت أحمر ؟ "

لم يرها أحد مع هذا .

آه ، يا إلهى ، كلا ، كلا .

وعندئذ وجدتها مارى . كاد قلبها أن ينخلع . كانت آشلى تتخفى وراء شجرة قريباً من ركن الملعب . ضحكت ضحكة صغيرة ، محرجة من نفسها لأنها توترت هكذا بسرعة شديدة . يا إلهى ، ما الذى حل بى ؟

مشيت إليها ." ما الذى تفعلينه هنا يا حلوتى ؟ "

قالت : " ألعب لعبة الغميضة . ألعب فقط يا مامى " .

" مع من ؟ بحق ربنا ، مع من ؟ " جاهدت لتسيطر على نبرة صوت عادية . فالناس قد بدأت تحدق بها .

" معك أنت " ابتسمت الصغيرة ابتسامة لم تستطع مارى مقاومة حلاوتها إلا بالكاد .

انحنت لأسفل وهمست بجوار خدها الناعم قائلة : " آشلى . لا يمكنك أن تجرى بعيداً هكذا . أتفهمين ؟ مادمت لا تستطيعين رؤيتى ولا أستطيع رؤيتك : اتفقنا ؟ "

" اتفقنا " .

" حسن ، والآن لم لا تذهبين وتحاولين اللعب فى ساحة الألعاب هذه ؟ "

جلست مارى على مقعد آخر بعيداً عن العاصفة المتجمعة من النظرات المتفرسة فى لوم . ابتسمت لها أم شابة كانت تقرأ صحيفة لوس أنجلوس تايمز : " مرحباً " .

قالت مارى وهى ترمقها : " لابد أنك لست من هذه المنطقة " .

كان صوت المرأة دفاعياً بدرجة طفيفة : " لماذا تقولين هذا ؟ "

أجابت مارى : " قبل أى شيء ، ما من أحد ممن يقيمون فى الأنحاء يتسم بالمودة مع الآخرين . " ابتسمت وأكملت : " ثانياً ، فإن الوافدين يعرفون بعضهم البعض ، أنا شخصياً من أبناء فيرمونت " .

بدا الارتياح على المرأة وهى تضع يداً على صدرها : " أنا من بالتيمور . لقد سمعت أن الجميع ودودون هنا فى كاليفورنيا . إنهم يوقفون سياراتهم ويسمحون لك بعبور الشارع ، صح ؟ مثل هذا لا يحدث فى بالتيمور . "

" حسناً ، هذا صحيح " .

" وبالطبع ، لا يحدث هناك مثل هذا أيضاً . " ورفعت الصفحة الأولى من صحيفة التايمز .

جرائم قتل هوليود
التحريات مستمرة

سألتها المرأة : " هل سمعت عن هذا ؟ لابد أنك قرأته " .

" من الصعب الجهل بهذا الأمر هذه الأيام " .

" هذا الأمر يحزننى كل الحزن . أعلم أنه يجب أن ينتابنى الخوف كذلك ، ولكننى أشعر بالأسف البالغ حقاً نحو تلك الأسر " .

أومأت مارى برأسها فى وقار . قالت : " أعلم ، وأنا أيضاً ، أنا أيضاً . أليس شيئاً رهيباً ؟ هؤلاء الأطفال المساكين ، المساكين ، إن الأمر يدفع المرء منا للبكاء حتى تتفطر عيناه " .

الفصل ٤٨

وفقاً للإحصاءات التى كنت أقرأها بمكتبى ، فإن حوالى ٨٩ بالمائة من القتلة الإناث المعروفين من ذوى الأسلوب الثابت استخدمن السم ، الخنق ، أو الحقن بحقنة فاتكة مع ضحاياهن . وأقل من ١٠ بالمائة من القاتلات المتنوعات لجأن إلى مسدس كسلاح قمن باختياره ، وما من حالة واحدة سُجلت أنها استخدمت سكيناً .

فهل تكون مارى سميث هى الاستثناء الذى يثبت القاعدة ؟

لم أظن ذلك . لكن بدا أننى وحدى تماماً فى ظنى هذا .

مررت بعينى على المكتب المزدحم بقصاصات الصحف ، والصور الفوتوغرافية ، والمقالات وقد تناثرت أمامى كأنها أجزاء من لعب عديدة مختلفة من تلك التى يجب فيها تجميع الصورة قطعة قطعة .

كانت آيلين ورنوز تطلق الرصاص . ما بين عامى ٨٩ و ١٩٩٠ ، قتلت سبعة رجال على الأقل فى فلوريدا . وحين قبض عليها منحتها وسائل الإعلام لقب القاتلة الأنثى الأولى فى جرائم مسلسلة . غالباً ما كانت هى الأكثر شهرة ، لكنها ليست الأولى على الإطلاق . يكاد يكون نصف هؤلاء

المسجلات أرامل سوداوات ـ قاتلات أزواج ـ أو تقتلن بدافع الانتقام كذلك ، كان لمعظمهن علاقة بضحاياهن .

بوبى سو تيريل ، ممرضة ، حقنت اثنى عشر مريضاً بجرعات قاتلة من الإنسولين .

قامت دورثيا مونتالفو بوينتى بتسميم تسعة نزلاء أقاموا بمنزلها بالأجر بحيث تمكنت من الاستيلاء على شيكات الضمان الاجتماعى الخاصة بهم .

أطلت إحدى سكرتيرات المكتب برأسها داخل المكتب ، إنها مورين .

" هل تريد أى شيء من مطعم إن آند أوت برجر ؟ "

تطلعت نحوها وأدركت أن الظلام قد حل بالفعل ، كما أدركت أننى أتضور جوعاً فى الحقيقة .

" إذا كان لديهم شطيرة دجاج مشوى ، سيكون حسناً . وعصير برتقال ، شكراً لك " .

ضحكت بمرح وقالت : " هل تريد هامبورجر أم تشيز برجر ؟ "

بما أن الفوضى قد اجتاحت مواعيد نومى وحياتى الشخصية ، فقد كنت أحاول أن أقلل من تناولى لطعام الوجبات السريعة . ولم أستطع ممارسة الرياضة منذ عدة أيام . وآخر ما أرجوه هو أن أصاب بوعكة صحية ها هنا . فقلت لمورين بأن تدع هذا جانباً ، ولسوف أتناول شيئاً ما فى نهاية الأمر .

بعد هذا بدقيقة ، كان العميل بيج يحوم حول مكتبى . سأل : " كيف تجرى الأمور ؟ أما من شيء حتى الآن ؟ "

مددت ذراعى مشيراً لمدى ضخامة حجم المعلومات على مكتبى وقلت : " لا ينطبق عليها أى من هذا " .

فقال بيج : " وهذا غالباً ما كان ينطبق على حوالى نصف النساء القاتلات اللاتى قمن بجرائم متسلسلة فى التاريخ فى زمن ارتكابهن لجرائمهن " . كان العميل الشاب يترك انطباعاً جيداً يوماً بعد الآخر عندى .

" حسناً ، وماذا بشأن أصدقائنا الطيبين فى مكتب تحقيقات لوس أنجلوس ؟ هل هناك جديد لديهم ؟ "

قال : " هناك طبعاً ، لقد ورد تقرير فحص الطلقات حول ذلك المسدس الخاص بها . وإليك ما به : إنه من طراز عتيق ـ نوع والثير بى بى كى ، وهو السلاح نفسه كل مرة . وغداً سيعقد لقاء للشرح الوافى إذا أردت أن تحضره ، وإذا لم ترد فسأغطيه أنا " .

كانت أنباء مدهشة ، وغريبة للغاية ـ من حيث عُمر سلاح الجريمة .

" ما عمر المسدس ؟ هل يعلمون هذا ؟ "

" عشرون عاماً على الأقل ، مما يزيد اللغز تعقيداً ، أليس كذلك ؟ فسوف يكون من العسير تتبع مساره " .

سألته مفكراً بصوت مسموع أكثر مما أتحدث إليه ، قائلاً : " أتعتقد أن هذا هو مقصدها ؟ القدرة على تتبع مسار السلاح ؟ " فانطلق بيج بسرعة يردد حفنة من الاحتمالات .

" إنها ليست قاتلة محترفة ، صح ؟ لعله سلاح كان لديها منذ فترة طويلة . أو ربما تكون قد قتلت منذ فترة أبعد مما نظن . لعلها عثرت عليه . ولعله مسدس أبيها " .

جميعها تخمينات راسخة تنطلق من عقل سريع البديهة .

سألته وقد انتابنى فضول مفاجئ : " ما عمرك ؟ "

نظر لى نظرة حائرة ثم قال : " أوه ، لا أعتقد أنك يفترض أن تطرح علىّ سؤالاً كهذا " .

قلت : " فلتطمئن ، ليس لهذا علاقة بالعمل . إنه مجرد تساؤل . فأنت سريع البديهة بدرجة أعلى من كثيرين من خريجى كوانتيكو ممن التقيت بهم مؤخراً " .

قال بابتسامة عريضة : " أنا فى السادسة والعشرين " .

" أنت بارع جداً يا بيج . وتحتاج لأن تظهر بمظاهر الشاب الرياضى " .

لم يتغير تعبير وجهه . قال : " لكننى أمارس نوعاً من الرياضة بالفعل ؛ ولكنى لستُ مضطراً لممارستها هنا داخل المكتب فى العمل " . ثم تحول الحديث تحولاً مضحكاً عندما واصل قائلاً : " نعم يا صاح ، أنا أعلم ما الذى تظنه بى ، بعد أن توقفت منحتى الدراسية الخاصة برياضة التجديف ، ولتعلم هذا الآن ، أحببت وقررت أن أكون هنا من كل قلبى " .

راق مزاجى لدرجة الضحك . قلت : " فى الحقيقة لا يمكننى تخيلك على متن قارب تجديف يا بيج " .

قال بيج : " كلا ، بل تخيل هذا ، يا صاح ! " .

الفصل ٤٩

حوالى الساعة الخامسة فى اليوم التالى ، كانت قاعة الاجتماعات بمكتب تحقيقات لوس أنجلوس مكتظة عن آخرها ، تعمها فوضى عارمة . استندت إلى جدار قريب من المنصة ، فى انتظار وصول المحققة جين جاليتا لكى تخفف من وطأة كل هذا الجنون .

دخلت وهى تمشى بهمة ، بصحبة فريد فان آلسبرج ، من مكتبى ، ورئيس شرطة لوس أنجلوس آلان شروسبرى ، ورجل ثالث لم أتعرف عليه . لا خلاف أن جين كانت الوحيدة فى المجموعة التى تسر النظر ، كما أنها الوحيدة تحت الخمسين عاماً .

سألت ضابطاً يقف إلى جوارى : " من هذا الشخص صاحب الحلة الزرقاء . الحلة الزرقاء الفاتحة " .

" مايكل كوربن " .

" من ؟ "

" إنه نائب العمدة . إنه مجرد منظر . لا جدوى منه مثل مظلة مثقوبة " .

كنت سعيداً إلى حد ما لاستثنائى من المتحدثين فى هذا المؤتمر الصغير - ولكنى كنت متحفظاً قليلاً كذلك . فإن الشئون السياسية لها دخل فى هذا النمط من قضايا القتل التى تثير ضجة كبيرة . كل ما كنت أتمناه هو ألا تلعب السياسة دوراً أضخم من المعتاد هنا فى لوس أنجلوس .

أومأت جاليتا نحوى بتحية صغيرة قبل أن تبدأ . " حسناً ، أيها الجمع ، لنبدأ " . ساد الصمت جميع الحاضرين فى الحال . صافح نائب العمدة يد فان آلسبرج ثم انسل خارجاً من باب جانبى . ما هذا ؟ ولم كان حضوره أصلاً ؟ لم يكن ظهوره واختفاؤه كما يجدر بضيف ، بل بشبح .

قالت المحققة جاليتا : " لنبدأ بتوضيح الموقف وتصفية الصورة من الشوائب والشائعات " .

ثم مرت مرور الكرام بجميع العناصر المعروفة للقضية - المسدس نوع والثير بى كى ، ملصقات الأطفال المكتوب عليها الحرفان (أ) و (ب) . والضحايا ممن يطلق عليهن الأمهات المثاليات ، وهى الزاوية التى كانت الصحافة تعمل عليها بالطبع . إحدى الصحف الصفراء التى تصدر خارج المدينة أسمت القضية بـ " اغتيالات الزوجات فى ستبفورد " . كما ذكرتنا جاليتا بأن الصياغة المحددة فى الرسائل الواردة من مارى إلى صحيفة لوس أنجلوس تايمز كانت معلومات سرية تماماً .

تدفقت بعض الأسئلة .

هل يعلم مكتب تحقيقات لوس أنجلوس أو يرتاب بوجود أى صلة بين مارى سميث وجرائم قتل أخرى وقعت فى الأنحاء ؟

كلا .

كيف نعرف أن الفاعل شخص واحد فقط ؟ إننا غير متأكدين ، لكن كل الدلائل تشير إلى ذلك حتى الآن .

كيف نعرف أن القاتل امرأة ؟ تم العثور على شعر امرأة ، يفترض أنها الفاعلة ، تحت إحدى الملصقات فى دار السينما بوستوود .

" قد يكون هذا هو الوقت المناسب لأن نطلب من العميل كروس أن يعطينا إطلالة لمجرى الأمور على مستوى المباحث الفيدرالية . لقد أتى د. كروس من واشنطن ، حيث حل هناك قضايا تتعلق بقتلة ارتكبوا سلسلة جرائم قتل أمثال جارى سونجى وكايل كريج " .

مئات الأعين تحولت ناظرة نحوى . لقد جئت إلى اللقاء كمستمع ، هكذا دار بخلدى ، ولكنى الآن سأكون فى مركز منصة المسرح . ليس من الحكمة تضييع الفرصة ، أو الأسوأ من هذا تضييع وقت جميع الحاضرين .

قلت : " حسناً ، دعونى أبدأ بأن أقول بأننى لست مقتنعاً اقتناعاً مطلقاً بأن مارى سميث امرأة " .

كان من شأن هذا أن يجعل الواقفين بالصفوف الخلفية ينهضون ويشبون .

الفصل ٥١

أحدث كلامى أثره ، كذلك . سرت بعض الهمهمات فى الغرفة .

لقد أثرت انتباه الجميع على أقل تقدير .

" ولا يعنى كلامى أن المجرم ذكر بلا شك ، لكننا لم نستبعد هذا الاحتمال حتى الآن . ولا أظن أنكم يجب أن تستثنوه كذلك . ومن جانب آخر فهناك عدة أمور يمكن لى قولها حول هذه القضية .

سأستخدم ضمير المؤنث مؤقتاً كإجراء تلقائى . إنها غالباً بيضاء ، وفى منتصف الثلاثينيات أو فى الأربعينيات . تقود سيارتها الخاصة ، وهو أمر لن يجذب كثيراً من الانتباه فى أحياء الطبقات الراقية ، حيث ارتكبت الجرائم . إنها فى الغالب متعلمة ، وهى فى الغالب موظفة ، لكنها غير متخصصة فى مهنة بعينها . لعلها فى موقع من نوع خدمى وهى وظيفة أقل بكثير مما هى مؤهلة له " .

استمررتُ قليلاً ، ثم تعاملت مع بعض أسئلة الفريق المتجمع . وعندما انتهيت ، أعطت جين جاليتا الفرصة من أجل عرض تقرير خبراء الأسلحة ، ثم بدأت تتحدث لكى تنهى الاجتماع .

قالت : " هناك أمر أخير ، كايلن اجلس ، رجاءً . أشكرك يا جيرى . فإننا لم ننته بعد . سأخبركم حينما ننتهى " .

انتظرت حتى يسود الهدوء ، ثم واصلت .

" لست بحاجة لأن أعلمكم بشأن التغطية الصحافية السخيفة التى تجرى . أريد من الجميع أن يفكروا ويتصرفوا كما لو أن هناك كاميرا مسلطة عليهم طوال الوقت ، لأنه غالباً ما تكون هناك واحدة . وليس هناك أى طرق لتجاوز هذا الأمر أيها الناس . وأنا جادة كما لو كنت أتحدث عن سرطان رئة فى مرحلته الأخيرة . وبالطبع عليكم الالتزام بالاجراءات المتبعة فى مثل تلك العمليات وهذا ليس محل نقاش " .

ولحظت أن عينى جاليتا قد تحولتا نحو فان آلسبرج وهى تتحدث . وهو ما قد يكون له صلة باجتماعهما المغلق مع نائب العمدة . كنت أعرف أن هناك انتخابات ستجرى هذا العام . ويحتاج العمدة لنتائج صريحة فى هذه الدورة ، بل ونتائج سريعة . وكنت متشككاً إذا ما كانت ستجرى الأمور على هذا النحو .

قالت جاليتا : " حسناً ، هذا يكفى حتى الآن " . وعادت ضجة الحياة للقاعة . نظرت نحوى وأومأت إلىّ برأسها نحو غرفة الاجتماعات بالخلف .

كان علىّ أن أندفع مزاحماً المتجمعين لأصل إلى هناك ، وأنا أتساءل عما ترغب فى الحديث بشأنه .

بعد أن أغلقت الباب وراءنا سألتها : " كيف الحال ؟ "

انطلقت تقول : " ما كان هذا الهراء ؟ "

جفلت وسألتها : " أى هراء ؟ "

" أن تخالف ما قلته أنا ، بالتحدث عن مارى سميث كرجل ، فتشوش القضية فى هذا الحين . إنى أحتاج من هؤلاء أن يركزوا ، وعليك أن تطلعنى قبل أن تصرح بأمور منتهية هكذا على الملأ " .

" أمور منتهية ؟ وعلى الملأ ؟ لقد تحدثنا بشأن هذا ، لقد أخبرتك بما أشعر به " .

" صحيح ، واستبعدناه " .

" كلا . لم نستبعده . بل فعلت أنت يا جين ، أعلم أنك تتعرضين لضغوط ـــ " .

" بالطبع أتعرض لضغوط . هذه لوس أنجلوس ، وليست واشنطن العاصمة . ليس لديك أدنى فكرة " .

" لدى جزء لا بأس به . وفى المستقبل ، إذا رغبت منى أن أحضر اجتماعاً كهذا ، وأن تتجنبى أية مفاجآت ، لابد أن تعلمينى مسبقاً . وحاولى أن تتذكرى ما صرحت به هنالك ، حول كيف استطعتُ القبض على جارى سوينجى وكايل كريج " .

حاولت أن أحافظ على هدوئى بل وعلى مساندتى ، ولكننى لم أكن مستعداً للنكوص للخلف أمام استئساد أى شخص .

جزت جين على أسنانها وحدقت فى الأرضية للحظة : " حسناً ، لا بأس ، آسفة " .

" وعلى سبيل التذكير ، لا أقول إنك بحاجة لأن تطلعينى على كل شىء . فهذه قضيتك أنت ، ولكنها من الثقل وضخامة الحجم بحيث لابد أن نحكم السيطرة عليها بكل ما لدينا من قوة " .

قالت : " أعلم ، أعلم " وتنهدت تنهيدة كبيرة ، ليست تنهيدة ارتياح . ثم ابتسمت جين وقالت : " أتعرف ؟ ما رأيك فى أن أصالحك وأعوضك ؟ هل تحب طعام السوشى ؟ لابد أن تأكل ، صحيح ؟ وأعدك بألا نتحدث بشأن العمل " .

قلت : " شكراً ، ولكنى لم أنته هذا اليوم من عملى . بكل أسف . لأبد أن أعود إلى المكتب من هنا مباشرة . لا أعتقد أن القاتل امرأة يا جين . وهكذا ، فمن يكون ؟ لنجعل الوجبة فى وقت آخر ، اتفقنا ؟ "

قالت جين جاليتا : " فى وقت آخر " ثم مشيت مبتعدة فى سرعة ، بنفس الطريقة التى دخلت بها قاعة الاجتماعات قبل قليل " .

الفصل ٥١

على مدى الساعات العديدة التالية بقيت فى حالة تركيز ؛ وهى إحدى مراحل العمل المثمرة للغاية والتى أتمنى أن أنهمك بها كلما جلست إلى أحد المكاتب .

حاولت مع عدة افتراضات من خلال نظام VICAP ، بحثاً عن أى نوع من المطابقة مع جرائم القتل فى لوس أنجلوس . أى شىء شبيه بها ولو بدرجة طفيفة .

وأخيراً جذب انتباهى شىء ما . جريمة قتل لثلاثة أشخاص وقعت منذ ما يزيد على ستة شهور .

تم ارتكابها فى مدينة نيويورك ، مع ذلك ، وليس فى لوس أنجلوس . لكن الاغتيالات جرت فى دار عرض ساتون ، فى شرق الشارع السابع والخمسين ، وتصدرت التفاصيل الصحف .

ولسببٍ ما لم يتم حل لغز الجريمة . لم يتوصل مكتب تحقيقات نيويورك إلى حل قريب أو بعيد . تماماً كما هو الأمر مع جرائم قتل لوس أنجلوس .

وما من دافع واضح لاغتيالات نيويورك هى الأخرى . وكانت تلك المعلومة الأخيرة مهمة . فقد يكون القاتل صاحب الأسلوب الخاص فى جرائمه المتسلسلة بدأ فى وقت مبكر عما نظن نحن الآن . وربما كان القاتل ينتمى إلى نيويورك أصلاً .

تناولت تقرير مفتشى مكتب تحقيقات نيويورك حول القضية ورحت أقرأه بعناية . فى تلك الفترة من بعد ظهر ذلك اليوم ، لقى أحد الزبائن مصرعه فى دار العرض ، بجانب اثنين من العاملين بدار عرض ساتون . كان افتراض المفتشين هو أن عاملى الدار دخلا إلى مسرح الجريمة بعد أن قام القاتل بقتل رجل اسمه جاكوب ريزر مباشرة ، وهو رجل من بروكلين . كان ريزر يدرس صناعة الأفلام بجامعة نيويورك ، وفى العشرين من عمره .

ولكن عندئذ جذب عينى شىء آخر - إنه سلاح الجريمة المدرج بالتقرير . فبناء على الرصاصات المأخوذة من الجثث ، فإنه قد تم استخدام مسدس من نوع والثير بى بى كى .

كان المسدس المستخدم فى جرائم قتل لوس أنجلوس من نوع والثير بى بى كى كذلك ، على الرغم أنه طراز قديم كما هو واضح .

لكن شيئاً آخر استحوذ على انتباهى : " إن اغتيالات نيويورك وقعت فى الحمام الخاص بالرجال " .

الفصل ٥٢

أنباء عظيمة - لقد كنت أجنى " نقاط " فى الفنادق كافية لكى أحصل على غرف مجانية بالفنادق طيلة العمر . لكن المشكلة تكمن فى أننى لا أرغب فى رؤية أى فندق آخر طالما حببت . لم يكن فندق ويست لوس أنجلوس يعرض الكثير على سبيل التسالى ، هو الآخر . رقدت على الفراش وأنا أتصفح ملاحظاتى مرة أخرى ، وإلى جوارى نصف شطيرة دجاج وصودا دافئة .

عندما دق الهاتف التقطته بفرح . كانت الجدة على الخط .

قلت لها : " كنت أفكر لتوى فى شرائح اللحم وخبز الذرة ، وها أنت ذا " .

سألتنى : " لماذا تحاول أن تتملقنى على الدوام يا آلكس ؟

تحاول على كل حال . وسوف تقول لى إنك لن تحضر خلال عطلة نهاية الأسبوع القادمة ؟ "

" ليس تماماً " .

" آلكس ـــــ " .

" سأعود للمنزل . وصدقينى ، ليس هناك شىء أحب إلىّ من أن أترك هذه القضية وراء ظهرى . ولكننى سأضطر أيضاً للذهاب والإياب من جديد لبعض الوقت " .

" آلكس ، إننى أريد منك أن تفكر لوقت طويل وأن تفكر ملياً بشأن كم من الوقت تحتاج لأن تقضيه هناك فى كاليفورنيا ، لقد اتضح أن هذه المهمة الجديدة أسوأ من المهمة الأخيرة " .

كما هو واضح ، فترة السماح الخاص بى بعد محاكمة الحضانة قد انقضت . عادت الجدة لعاداتها القديمة ، المبالغة فى تقدير الأمور ، ومع هذا فلم تكن على خطأ مئة فى المئة .

سألتها أخيراً : " كيف حال الأولاد ؟ هل يمكننى التحدث إليهم ؟ " وأريحى أذنى من كلامك لوهلة أيتها المرأة العجوز .

" إنهما على خير حال يا بابا . وللتذكير فقط ، أنا كذلك على خير حال " .

سألتها : " هل جرى شىء ما ؟ "

" كلا . نوبة دوار وحسب . لا شىء مطلقاً . رأيت كايلا كوليز اليوم . كل شىء تماما . لقد فحصتنى د. كوليز . وقالت إننى يمكن أن أعيش عشرة آلاف سنة أخرى " .

" ما دمت أعرفك ، كما أعرفك جيداً ، فإن هذا يعنى نوبة دوار كبيرة . هل فقدت الوعى من جديد ؟ "

أجابتنى وكأنها أسخف فكرة سمعتها فى حياتها على الإطلاق : " كلا ، لم أفقد الوعى . إننى امرأة عجوز فقط يا آلكس . لقد أخبرتك بهذا من قبل . وعلى الرغم من هذا ، ويعلم الله ، فإننى لا أبدو ولا أسلك سلوك من هم فى عمرى " .

عندما طلبت من الجدة أن تعطينى رقم هاتف كايلا كوليز رفضت رفضاً صارماً مع هذا . كان علىّ أن أنتظر ديمون حتى يلتقط الخط وأن أنتظر حتى تخرج الجدة من الخط ، ثم طلبت منه أن يذهب إلى مكتبى ويحضر لى رقم كايلا من حافظة بطاقات التعريف .

سألته : " كيف تبدو الجدة لك ؟ ينبغى أن تسهر عليها يا داى " .

" إنها تبدو بخير يا أبى . إنها لن تخبرنا بما جرى . لكنها ذهبت لتشترى البقالة وأعدت العشاء الليلة . لا أستطيع أن أعرف إذا كان هناك ما يسوء أم لا . أنت تعرف الجدة . إنها تزيل الغبار بالمكنسة الآن " .

" إنها تحاول استعراض قدراتها الخارقة . اذهب وقم بهذا بدلاً منها . اذهب الآن . ساعد جدتك " .

" لا أعرف كيف أستخدم المكنسة الكهربائية " .

" إذن فقد آن الأوان لتتعلم " .

أنهيت اتصالى بالأولاد ثم اتصلت بـ كايلا كوليز ، ولكن لم يجبنى إلا ماكينة الرد الآلى . حاولت الاتصال بـ سامبسون بعدها وطلبت منه أن يمر بالمنزل لتفقد حال الجدة ، التى كانت قد ربته هو الآخر جزئياً .

قال لى : " ما من مشكلة . سأظهر أمامها جائعاً فى وقت تناول وجبة الإفطار صباح غد ، ما رأيك ؟ "

" رأيى أنك حريص على مصلحة جميع الأطراف . كما أنه عذر وجيه جداً لزيارتك لها " .

" ستكتشف حقيقة الأمر " .

" بالطبع ستكتشفه . على الرغم من أنك شخص ليس من السهل تكذيب جوعه الدائم " .

سألنى عندئذ : " كيف تجرى أمورك ؟ يبدو صوتك وكأنك فى حالة الخمسين بالمائة من الرضا " .

" لا بأس بى . وأنا أقرب إلى حالة الخمسة وسبعين بالمائة . هناك فقط وضع فوضوى ها هنا . إنها قضية ضخمة وعشوائية يا جون . وصارت قضية عامة إلى درجة تتجاوز الحدود . ومازلت أرى ذلك الوغد الكاتب ترسكوت ، هو الآخر . على الرغم من أنى سمعت أنه عائد إلى الشرق مرة أخرى الآن " .

" هل أنت بحاجة إلى بعض المساندة ؟ يمكننى أن أقفز إلى لوس أنجلوس فوراً . لدى إجازة لبضعة أيام " .

" صحيح ، هذا ما أحتاجه فعلاً ، أن أبعدك عن زوجتك . شكراً . مع هذا . سأتذكر عرضك ـ إذا ما اقتربنا ذات مرة من تلك المدعوة مارى سميث " .

الكثير من أفضل أعمالى ومهامى كانت بصحبة سامبسون . وكانت صحبته من بين الأشياء التى أتوق إليها كثيراً فى مكتب الشرطة . لم تكن حاجتى به قد انتهت عند هذا الحد رغم ذلك . كانت لدىّ فكرة أخرى سيهتم بها . وعندما يكون الوقت مناسباً سأعرب عنها .

الفصل ٥٣

قضيت اليوم التالى فى مكتب التحقيقات الفيدرالية ، وأنا أعمل من السابعة حتى السابعة ، ولكن ربما كان هناك ضوء عند نهاية ذلك النفق المعتم والطويل جداً والمثير للضيق . جميلة ستأتى إلى لوس أنجلوس ورحت أتطلع لزيارتها طوال اليوم .

أصرت جميلة على ألا أزعج نفسى بالذهاب لاصطحابها من المطار ، وخططنا للالتقاء بمطعم بليس فى لاسينيجا . حين دخلت إلى المطعم ، كانت تجلس إلى المنضدة وعند قدميها حقيبة السفر الصغيرة . كانت ترتدى سروالاً من الجينز ، وسترة سوداء عالية الياقة ، وحذاء طويلاً أسود مدبب الرأس وله كعبان معدنيان . تسللت من خلفها وقبلت عنقها . لم أستطع مقاومة هذا .

قلت لها : " مرحباً ، إن رائحتك عطرة ، ومظهرك رائع " ، وهو ما تتسم به جميلة بالفعل .

فاستدارت لتواجهنى وقالت : " أهلاً يا آلكس ، لقد استطعت المجئ " .

قلت لها : " وهل كان عندك شك فى ذلك ؟ "

قالت : " حسناً ، أم م م ، بلى . أتذكر المرة الأخيرة التى كنت فيها بلوس أنجلوس ؟ "

كان كلانا جائعاً ، فاتخذنا مجلسنا إلى إحدى الموائد وطلبنا المشهيات فى الحال ـ محار بصدفته وسلطة الطماطم الصغيرة ، لنا نحن الاثنين . راحت جميلة تأكل مثل بطلة أولبية على طاولة التدريبات ، وكم راقنى هذا .

وبعد أن أتينا على المحار والسلطة ، سألتنى : " ما الجديد فى قضية الاغتيالات ؟ هل صحيح أنها كانت تبعث بالرسائل الإليكترونية منذ الجريمة الأولى ؟ "

رحت أرمش ناظراً نحوها بدهشة ، كانت صحيفة لوس أنجلوس تايمز حريصة على التعتيم على موضوع الرسائل الإليكترونية . قلت : " أين سمعت هذا ؟ وما الذى سمعته ؟ "

" الكلام يتناثر يا آلكس . إنه أحد تلك الأمور الهامشية من حيث الأمان والتى لا يعلمها الجمهور بالضرورة ، لكن كل الآخرين يعلمون بها . لقد وصلت حتى سان فرانسيسكو " .

قلت : " ما الذى سمعته غير هذا ؟ الأمور الهامشية " .

" سمعت أن تلك القائدة ، المحققة جين جاليتا امرأة رائعة ، أقصد رائعة فى عملها طبعاً " .

" إنها لم تصل إلى مستواك ، لكن نعم إنها رائعة فى عملها " .

هزت جميلة كتفيها غير مبالية بالإطراء . فقد كانت تفهمنى . بدت جذابة فى ضوء الشموع ، على الأقل فى عينى . والآن فقد كانت هذه فكرة طيبة : تناول العشاء بصحبة جميلة فى مطعم فاخر ، وهاتفى الخلوى مغلق .

اخترنا أن نتناول بعض الصويا ، وهى المشروب المفضل لديها ، قلت لها : " لقد أخذت الأمور تتعقد فى الفترة الأخيرة يا جميلة . إننى أقدر وجودك بالقرب منى هناك ، وبالقرب منى هنا كذلك " .

أخذت جميلة رشفة من مشروبها ، ثم وضعت يداً على معصمى ، قالت : " آلكس ، هناك شىء أود أن أقوله . إنه مهم نوعاً ما . اسمعنى فحسب . اتفقنا ؟ "

رحت أحدق فى عينيها عبر المائدة ولم أكن واثقاً إذا ما كان راقنى ما رأيته فى عينيها أم لا . بدأت أمعائى تضطرب . قلت " بالطبع " .

أشاحت بعينيها بعيداً عن عينى ، قالت : " دعنى أسألك هذا السؤال . فى اعتقادك . ما مقدار إخلاصنا لبعضنا البعض ؟ "

يا للهول . كان هذا إذن .

" حسناً ، لم أرتبط بأية إنسانة منذ أن بدأت ألتقى بك . هذا عنى فقط مع هذا يا جميلة . هل تلتقين بشخص ما ؟ أخمن هذا " .

تنفست وأومأت . هكذا هى طبيعتها ، مستقيمة وصريحة . وكم أقدر هذا لديها . أغلب الوقت .

سألتها : " هل تواعدينه ؟ " . بدأ جسدى يتوتر فى كل أجزائه . فى مستهل علاقتنا توقعت أمراً كهذا ، ولكن ليس حالياً . لعلنى أصبحت راضياً بالواقع ومكتفياً به وحسب . أو لعلنى كنت مانحاً ثقتى أكثر من اللازم . كانت هذه مشكلة دائمة لدىّ .

تقلص وجه جميلة قليلاً ، وهى تفكر فى إجابتها : " أحسب أننى أواعد يا آلكس " .

سألت : " كيف التقيت به ؟ " ثم حملت نفسى على التوقف .

" مهلاً يا جميلة ، لست مضطرة إلى الإجابة " .

بدا أنها ترغب فى ذلك مع هذا وقالت : " جونى يعمل بالقانون ، وكيل نيابة بالطبع . التقيت به فى إحدى قضاياى . لقد رأيته مرتين فقط يا آلكس . وفى إطار اجتماعى ، هذا كل ما هناك " .

منعت نفسى من طرح المزيد من الأسئلة ، على الرغم من أننى أردت ذلك بشدة . لم يكن يحق لى هذا ، أليس كذلك ؟ فعلى كل حال ، لقد جلبت هذا لنفسى . لماذا قمت بهذا ، مع هذا ؟ لماذا لا أكون قادراً على الالتزام ؟ بسبب ما حدث لـ ماريا ؟ أم بسبب كرستين ؟ أو ربما بسبب ما

حدث لوالدى ، اللذين انفصلا وهما فى سن العشرينيات ولم يـر أحـدهما الآخر بعد ذلك أبداً ؟

انحنت جميلة إلى المائدة وتحدثت بصوت رقيق ، حرصاً على هذه الحميمية بيننا نحن الاثنين وحسب . " أنا آسفة . أعرف أننى جرحتك ، ولم أرغب فى القيام بهذا . يمكننا أن ننهى عشاءنا ونتحدث بهذا الشأن إذا أردت . أو يمكنك أن تذهب . أو أذهب أنا . كما تشاء يا آلكس " .

وحين لم أحر جواباً على الفور ، سألتني : " هل أنت ناقم علىّ ؟ "

" كلا " هكذا أجبت بسرعة زائدة قليلاً عن الحد : " أنا مندهش على ما أحسب . وربما خائب الأمل ، أيضاً . لست واثقاً مما أشعر به بالضبط . لنصوغ الأمر بشكل مباشر ـ هل تخبرينني أنك ترغبين فى رؤية أشخاص آخرين ، أم أن نيتك كانت إنهاء علاقتنا الليلة نفسها ؟ "

أخذت جميلة رشفة أخرى من مشروبها وقالت : " أردت أن أسألك عن مشاعرك حيال هذا " .

" فى هذه اللحظة ؟ وبصراحة يا جميلة ؟ لا أعتقد أن بمقدورنا الاستمرار كما كنا . لست متأكداً حتى من أسبابى فى ذلك . كانت لدى دائماً علاقة بشخص واحد فى كل حين ـ وهذا كان يكفى وزيادة . أنت تعرفينني " .

قالت : " لم نتعهد بأى شىء أبداً لبعضنا البعض . كل ما هنالك أننى أحاول أن أكون صادقة معك " .

" إننى أعرفك جيداً . وأقدر هذا فيك ، أقدره حقاً . اسمعى يا جميلة ، أعتقد أن علىّ الذهاب " . طبعت قبلة على وجنتها ، ثم غادرت المكان . أردت أن أكون أميناً وصادقا ، مع جميلة ومع نفسى .

الفصل ٥٤

ألقيت بكل شىء وراء ظهرى ، كل شىء ، ثم حلقت طائراً إلى سياتل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع .

بينما كنت أقود السيارة من المطار نحو حىّ والنجفورد حيث تعيش كرستين وآلكس ، رحت أدير فى عقلى فكرة رؤيتى لها الآن . أى خيار بديل أمامى ؟

لم أحضر أى هدايا ، أى رشاوى ، بالضبط كما كانت هى تفعل عندما كان آلكس يعيش معى فى واشنطن . كانت كرستين تسمح لى برؤية آلكس ، وما من سبيل لمقاومة هذا الإغراء . أردت أن أكون بصحبته لبرهة ـ كم أحتاج هذا .

كان المنزل يقع فى سانى سايد آفينو نورث ، وكنت أعلم الطريق حالياً . كانت كرستين وآلى يجلسان على المدخل المرتفع ذى السلالم عندما وصلت هناك . جرى مثل إعصار صغير على المشى ليقابلنى ، ورفعته عالياً . كان يساورنى على الدوام خوف من أن أجد صبياً مختلفاً عن الذى رأيته آخر مرة . تلاشى جميع هذا الخوف لحظة معانقتى له .

" لقد أصبحت ثقيلاً يا رجل ، أصبحت كبيراً جداً يا آلى " .

قال لى مبتسماً : " لدى كتاب جديد ، عن دودة جائعة تأكل أى شيء ، تطل برأسها ثم تأكل أى شيء ! "

" يمكنك أن تأتى بكتابك معك اليوم . ولسوف نقرأه " . منحته عناقاً آخر ورأيت كرستين تنظر على مبعدة ، بذراعين معقودين . ابتسمت أخيراً ولوحت بإحدى يديها . نادت قائلة : " هل تريد بعض القهوة ؟ ستحتاج لقدحٍ منها قبل أن تنطلقا ؟ "

نظرت نحوها من طرف عينى ، وحلق تساؤل صامت فى الهواء الساكن عذب الرائحة . قالت : " لا بأس فى هذا بالنسبة لى . ادخل . لن أعضك " . كانت نبرتها منشرحة . لعلها كذلك من أجل خاطرى ومن أجل آلى .

نزل من بين ذراعى ، وتناول يدى : " هيا يا بابا . سأريك الطريق " وهكذا تبعتهما إلى الداخل . أكانت هذه فكرة طيبة ؟ لم أدخل إلى هنا فعلياً قبل ذلك أبداً . كان المنزل مؤثثاً بذوق . امتلأ المكان بالقطع الفنية والمشغولات اليدوية العديدة غير المنفصلة عن طراز المبنى والتى اكتظت بالكتب وبعض من المجموعة الفنية الخاصة بـ كرستين . كان له مظهر أكثر ألفة وراحة من منزلها هناك فى واشنطن . صُدمت للتلقائية التى يتحركان بها فى هذا المكان . الغريب عنى للغاية . **إننى لا أنتمى إلى هنا** .

كان المطبخ مفتوحاً ، ومضاءً جداً ، ويعبق برائحة عشبة إكليل الجبل .

حيث ترعرعت فى أصص تحت النافذة حديقة أعشاب مصغرة .

وضعت كرستين آلكس على مقعده وأحضرت له قدحاً من الحليب والشوكولاتة ، ثم وضعت قدحى قهوة ينبعث منهما الدخان على المائدة بيننا .

قالت : " أفضل مشروب فى سياتل . أشرب منها الكثير جداً . واضطر لشربها بلا كافيين مع حلول الظهيرة أو نحو ذلك " .

أضافت ضاحكة : " بل وربما خلال النهار " .

" إنها طيبة ، **أقصد القهوة** . كما أن المنزل يبدو رائعاً كذلك " .

بدأت الدردشة تتطرق إلى موضوعات سطحية ، وتكاد تكون غير مريحة مثل محادثة حقيقية قد تدور الآن . أقسمت ألا أسأل كرستين عن حالة الطقس ، كم كان هذا غريباً علينا نحن الاثنين .

تسلل آلكس الصغير نازلاً من مقعده ثم عاد ومعه كتابه الجديد . صعد إلى حجرى .

" اقرأ . اتفقنا ؟ ولكن احذر ، فالدودة يمكن أن تلتهمك ! "

كان هذا تشويشاً جيداً وحول الانتباه نحوه ، كما يفترض أن يكون عليه الأمر . فتحت الغلاف وبدأت .

" فى ضوء القمر رقدت على ورقة شجر بيضة صغيرة لفراشة " .

وضع آلكس رأسه على صدرى ، وإذ شعرت بصوتى يتردد داخل بدنه ، اعتصر ذلك قلبى قليلاً . راحت كرستين تتابع بينما أقرأ . ابتسمت ، ممسكة قدحها بكلتا يديها . أياً كان معنى هذا .

بعد هذا بدقيقتين ، أراد آلكس أن يذهب إلى الحمام ، وطلب منى أصحبه قائلاً : " أرجوك يا بابا " .

اقتربت كرستين وهمست لى : " لديه مشكلة فى تصويب بوله داخل القاعدة . وهو محرج قليلاً لهذا " .

قلت : " هل لديك حلقات بلاستيكية ؟ "

لحسن الحظ ، كان لدى كرستين صندوق منها ، أخذته إلى الحمام فى صحبة آلكس .

رميت اثنتين فى القاعدة . قلت : " إليك هذه اللعبة الظريفة . عليك أن تصوب البول فى منتصف الحلقة تماماً " .

حاول ، وأبلى بلاء حسناً ـ تبول فى القاعدة نفسها على أية حال .

حين خرجنا أخبرت كرستين بالحيلة ، ابتسمت وهزت رأسها .

" حلقات بلاستيكية . إنها شأن من شئون الرجال ، صح ؟ "

الفصل ٥٥

ما تبقى من يومى فى سياتل كان أقل ضغطاً ويحوى الكثير من المتعة . صحبت آلكس الصغير إلى متحف الأحياء المائية ، ولم يكن شاقاً علىَّ أن ألقى بنفسى فى خضم الوقت الذى أقضيه معه ، بل كان ممتعاً . راح يحدق فى السمك الاستوائى ، ولطخ ملابسه بقطع الدجاج والكاتشب . كل ما انشغلت به ، هو أننا قد نضطر لقضاء اليوم فى غرفة الانتظار بمحطة أتوبيس .

كم أحببت أن أراه وهو يتصرف على سجيته ، وأن يكبر . فى كل عام يصير أفضل . آلى ، مثل " على " الملاكم العظيم .

لم يتعرض عقلى لضغوط شديدة الوطأة حتى عدنا إلى المنزل فى ذلك المساء . تحدثت مع كرستين لبرهة فى المدخل الأمامى . لم أرغب فى الدخول ، كما لم أرغب فى الذهاب كذلك . وإذا لم أكن أتخيل ، كانت عيناها محمرتين قليلاً . منذ أن تعرفت بها ، كان مزاجها دائم التقلب ، لكن هذا التقلب كان يزداد سوءاً مع الوقت .

قلت : " أظن أنه قد حان دورى لأسألك إذا ما كنت على ما يرام . هل أنت بخير ؟ "

" أنا بخير يا آلكس . فقط الحال المعتاد . صدقنى ، لست مضطراً لأن تنصت إلى همومى " .

" حسناً ، إذا قصدت هموماً غرامية ، فأنت على حق إذن . أما الهموم الأخرى فإلىّ بها " .

ضحكت : " غرامية ؟ كلا ، أنا كثيرة المشاغل ، والتزامات هذه الأيام وحسب . إننى أجلب هذا على نفسى ، كما أفعل على الدوام . إننى أشق طريقى بأصعب الوسائل " .

كنت أعلم أنها المديرة الجديدة لإحدى المدارس الخاصة التى تقع على مقربة . وباستثناء ذلك ، لم يكن لدى أدنى فكرة حول نمط معيشة كرستين ـ وبالطبع لم يكن لدى أدنى فكرة عن السبب الذى يدفعها إلى البكاء قبل أن أرجع إلى المنزل مع آلكس .

قالت : " علاوة على هذا . لقد اتفقنا آخر مرة أننى سأسأل بشأنك . كيف تجرى أمورك ؟ أعرف أن الأمر صعب ، وأنا آسفة لذلك ، لكل ما حدث " .

أخبرتها بأكثر العبارات اختصاراً بشأن قضية مارى سميث ، وعن نوبة دوار الجدة مؤخراً ، وأن جينى ودايمون على ما يرام . وضعت جميلة خارج المحادثة ، وهى لم تسأل بشأن هذا .

قال كرستين : " كنت أقرأ حول تلك الجرائم البشعة فى الصحيفة . أتمنى أن تأخذ حذرك . كم يدهشنى أن تكون امرأة هى من ترتكب كل هذه الجرائم " .

قلت لها : " إننى دائم الحذر " . يا للسخرية والمفارقات التى تدور بيننا الآن . كما هو واضح ، فإن وظيفتى حالت بينى وبين كرستين كثيراً ، ولم ينته هذا على خير مطلقاً .

قالت فجأة : " كل هذا غريب للغاية ، أليس كذلك ؟ ألم يكن أصعب مما توقعت ، المجىء إلى هنا اليوم ؟ "

أخبرتها أن رؤية آلكس تستحق بذل أى شىء مهما كان ، ولكن للأمانة كانت رؤيتها هى أمراً صعباً كذلك .

سألت : " لا شك أننا أمضينا أوقاتاً أيسر وأهدأ من هذه ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، ولكن ليس كأبوين " .

نظرت نحوى ، وبدت عيناها السوداوان فى غاية الذكاء ، كما هما على الدوام : " هذا محزن للغاية يا آلكس ، أن تصوغ الأمر هكذا " .

هززت كتفى ، دون أن يكون لدى ما أقوله لها .

وضعت يدها بتردد على زندى وقالت : " أنا آسفة يا آلكس . حقاً . أتمنى ألا أكون معدومة الإحساس . لا أعلم بطبيعة شعورك ، لكننى أعتقد أننى أتفهم وضعك الحالى ، إننى فقط ـــ " ثم أخذت تزن فكرتها التالية فقالت : " إننى فقط أتساءل فى بعض الأحيان أى نوع من الآباء كنا سنكون معاً " .

" هذا هو الأمر . كرستين ، إما أنك تحاولين أن تكونى معدومة الإحساس أو أنك تحاولين إخبارى بشىء ما " .

تنهدت بعمق وقالت : " إننى أفسد الأمور كلها . كما هى العادة . لم أكن أنوى قول أى شىء اليوم ، ولكن الآن أنا مضطرة ، وهكذا ، حسناً ، ها هو الأمر . أريد أن يحظى آلكس بالقرب من والديه . أريد له أن يعرفك ، وصدق أو لا تصدق ، أريد لك أن تعرفه . هذا لمصلحة الجميع ، حتى مصلحتى أنا " .

خطوت للوراء خطوة ، فسقطت يدها فى رخاوة وقلت لها : " لا أدرى ما الذى أقوله حيال هذا يا كرستين . أظن أنه من الواضح أننى أردت الشىء نفسه . ولكنك كنت الطرف الذى قرر الانتقال إلى هنا فى سياتل " .

قالت : " أعلم ، هذا ما أريد التحدث عنه حقاً معك . إننى أفكر فى العودة إلى فرجينيا . إننى أكاد أكون متأكدة من أننى سأقدم على هذا " .

أخيراً ، كان عقلى يوشك على الانفجار تماماً .

الفصل ٥٦

كانت فانكوفر إحدى المدن المفضلة لدى راوى الحكاية ـ جنباً إلى جنب لندن ، وبرلين ، وكوبنهاجن . ارتحل عبر طيران آلاسكا ووصل فى الوقت المحدد تماماً لينتظر فى صف طويل يتكون من خمسمائة " زائر " من كوريا والصين . كانت فانكوفر تعج بالصينيين والكوريين ، لكن هذا كان الأمر الوحيد الذى لا يروق له بشأن المدينة الكندية الجميلة ذات المرفأ الضخم ، وهو ما بدا له منغصاً هامشياً .

كان لديه بعض الأعمال المتعلقة بالسينما بالمدينة شغلت معظم نهاره كما جلبت له مزاجاً عكراً . وفى الخامسة أو نحوها فى ذلك المساء كان فى حالة مزاجية سيئة ، واحتاج أن ينفس عن كربه هذا بطريقة ما .

أتعرف ما الذى أحتاجه ؟ أن أخبر أحدهم بما يحدث ، أن أشاركه . لعله لن يخبره بكل شىء ، بل ببعض الأمور ـ على الأقل بفكرة كم كان الأمر كله غير معقول ، تلك الفترة بالغة الغرابة فى حياته ، هذه الوحشية ، أو كما يحب أن يسميها ، هذه الحكاية .

كانت بالمدينة تلك المنتجة ذات الشعر الأحمر التى يعرفها ، وكانت تصور فيلماً تليفزيونياً فى فانكوفر . ربما ينبغى له أن يتصل بها . كانت لـ تريسى ويليت فترتها الوحشية فى هوليود ، بدأت حينما كانت فى الثامنة عشر من عمرها واستمرت حتى أواخر مرحلة العشرينيات من عمرها . كان لديها طفل منذ ذلك الحين وكان من الواضح أن جذوة شهرتها انطفأت قليلاً .

لكنها كانت لا تزال على اتصال به ، ولابد أن هذا كان له معنى ما . كان دائماً قادراً على التحدث إلى تريسى ، حول أى شىء تقريباً .

وهكذا اتصل بها ، وبكل تأكيد ، قالت إنها تحب أن تتناول معه العشاء وتتحدث معه قليلاً . بعد ذلك بساعة ، اتصلت به تريسى من موقع التصوير . سيتأخر وقت التصوير عن الموعد المحدد . ليس خطأها هذا ، كما كان يعلم . لعله خطأ مخرج ما يعمل كما تقول الكتب . مخرج فنى يتباهى بذاته وغير منسق العمل ، يتيه بالمجد ولم يمض على تخرجه فى مدرسة السينما إلا عامان أو ثلاثة .

لذا لم ير تريسى قبل أن تتجاوز الساعة الحادية عشرة مساء ، عندما جاءت إلى غرفته بفندق الماريوت . عانقته عناقاً كبيراً وقبلته قبلة متهورة ، وبدت جميلة للغاية بما يكفى بالنسبة لامرأة ظلت تعمل طوال اليوم . قالت : " اشتقت إليك يا عزيزى . اشتقت إليك كثيراً . أين كنت ؟ تبدو رائعاً بالمناسبة . رشيق القوم ، رشيق جداً وجميل مع هذا . مظهر ممشوق ورشيق ، صح ؟ هذا المظهر يناسبك ؟ "

لم يكن يعلم ما إذا كانت تريسى ما زالت تشرب الكحوليات أم تفضل المخدرات ، أو أياً كان ، لذا احتفظ بالقليل من كل شىء فى متناوله ، وهكذا كان الأمر ـ من بين كل ما قاما به .

كانا بالخارج فى شرفته يطلان على المدينة ، وقد وضعت تريسى يدها على كتفه . أمر فى غاية الشاعرية واللطف ، لكنه محبط نوعاً ما ، مثل مواعدة ميج رايان ، أو ربما داريل هانا .

قال أخيراً : " أود أن أحدثك قليلاً بشأن ما أنا موشك عليه " .

فحتى ذلك الحين ، كان كل الحديث يدور بشأنها هى فقالت : " أريد أن أسمع كل شىء بهذا الشأن يا حبيبى . ولكننى لا أستطيع أن أترك الطفل حتى وقت متأخر جداً هناك بالفندق . فالمربية تهدد بالاستقالة " .

والآن تذكر هو هذا ، كانت تريسى أنانية معظم الوقت .

سألها : " هل هناك أى شخص يعلم بلقائنا الليلة ؟ "

" كلا . حسناً ، ما الذى أنت موشك عليه ؟ أمر ضخم ، بالطبع . أنت جدير بهذا " .

" نعم إنه أمر غامض وضخم . ومختلف جداً مع هذا . فلم أفعل شيئاً مثله من قبل . وأنا أكتب القصة بنفسى . قصة القصص " .

" أوه ، هذا رائع ، تكتبها بنفسك ؟ "

" نعم . هل سمعت عن تلك الجرائم التى حدثت فى لوس أنجلوس جرائم مارى سميث ؟ "

كانت تعلم القليل عن هذا الأمر ، حيث إنها كانت مقيمة فى فانكوفر منذ عدة أسابيع ، لذا قام بإطلاعها على كل التفاصيل فى عجالة .

هل اشتريت حقوق الكتابة عنها ؟ أوه هذا رائع ، وماذا ؟ هل تريدنى أن أنتج لك هذا العمل ؟ "

هز رأسه فى عدم اقتناع .

وقال : " ممن يا تريسى ؟ ممن أشترى الحقوق ؟ "

قالت : " أوه ، حسناً ، ما الأمر إذن ؟ "

قال : " إذن يمكننى أن أتحدث معك ؟ أتحدث معك جديًّا ؟ "

" بالطبع يمكنك التحدث معى عن هذا الأمر ، أطلعنى على فكرتك العظيمة ، قصتك ، أنا أحب القصص المشوقة " .

حسناً لقد حان الوقت ، أحكى لها أم لا ؟ كيف سيكون رد فعلها ؟

" لقد خططت لتلك الجرائم يا تريسى ، أنا مارى " . " يا إلهى ! " أخيراً نطقتها بمنتهى السهولة . " أنا مارى اللعنة " !

نظرت إليه بطريقة غريبة جداً ، وفجأة أدرك أن ما فعله كان خطأ كبيراً ، فتريسى لم تكن هى المجنونة ـ بل هو . وقد كشف نفسه للتو ، ومن أجل ماذا ؟ من أجل التنفيس عن مكنون صدره مع صديقة قديمة ؟ من أجل الاعتراف ؟

كانت تحدق فيه كما لو كان له رأسان ، أو على الأقل هذا العدد ثم قالت : " ماذا ؟ ماذا تقول ؟ "

حاول أن يصطنع الضحك قدر ما استطاع .

قال : " إنها مزحة يا تريسى ، أنا قمت بتأليفها ، مجرد مزحة . دعينى أوصلك للفندق حيث ولدك والمربية ، لقد سمعت أنك أم صالحة ، صحيح ؟ "

الفصل ٥٧

لم يتحدثا كثيراً فى السيارة ، وهكذا أدرك حجم الخطأ الذى اقترفه ، والآن راح يتساءل إذا ما كان قد اقترف أية أخطاء أخرى إلى جانب ذلك . لعلها أخطاء مهمة قد تؤدى إلى الإمساك به . مثل ما حدث فى مدينة نيويورك . وإطلاق الرصاص بإحدى دور العرض .

تحدث أخيراً : " لقد وقعت تحت وطأة ضغط كبير مؤخراً ، كما تعلمين " .

غمغمت : " بالطبع . أنا أسمعك " .

يا إلهى ، إنها تكاد تصيبه بالجنون ، فى حقيقة الأمر . لقد كانا صديقين لفترة طويلة ، مع هذا . " وكم عمر الطفل الآن ؟ "

" إم م م ، أربعة ونصف . إنه رائع . ستيفان " .

كانت تخيفه حقاً . والآن ماذا ؟ ماذا عليه أن يفعل ؟ ليس هذا أحد مشاهد قصة مارى سميث . لم تكن تريسى حتى جزءاً من حكايته . هذا نبأ سيئ .

فجأة توقف بسيارته الفولفو المستأجرة إلى جانب الطريق . والآن ماذا ؟

سألت : " ماذا هنالك ؟ ماذا ؟ "

" من المستحسن أن تغادرى السيارة هنا يا تريسى . ولا أمزح معك . اخرجى ! فلتمشى بقية الطريق ! " .

" أمشى ؟ هل جُننت ؟ عم تتحدث ؟ "

" اخرجى من السيارة ! الآن فوراً . اخرجى قبل أن ألقى بك منها ! "

جعلها هذا تتحرك . فتحت الباب المجاور لمقعدها وخرجت ، وهى تلعنه وكأنه سائق شاحنة . كان الجو بارداً بالخارج ، فأحاطت نفسها بذراعيها . ثم جعلت تبكى : " أنت مجنون . أتعرف هذا ؟ كنت أظن أننا صديقان " .

بدأت تجرى فى ظلام الجانب الأهول من الشارع فى موضع ما بين الماريوت وفندقها .

خرج راوى الحكاية من السيارة ووجد نفسه يتبعها عن كثب .

" تريسى ، انتظرى ! مهلاً . تريسى " .

لحق بها بسهولة : " مهلاً ، مهلاً . أنا آسف . لإفزاعك يا طفلتى . أنا آسف فعلاً . مهلاً ، أأنت بخير ؟ " وعندئذ أطلق النار عليها فى الرقبة ، وما إن ارتمت على الرصيف ، أطلق النار عليها فى رأسها مرة أخرى .

لم تكن هذه المرة جيدة ، لم يشعر بالراحة مطلقاً .

هذه المرة أشعرته بسوء الحال ، فامتلأ خوفاً ورعباً .

لأن الحكاية كانت تمسك بزمام القيادة ، كانت تكتب نفسها بنفسها ، ولا يبدو أن الحكاية تلقى بالاً بمن قد يتأذى ، أياً كان .

الفصل ٥٨

بينما كنت أحلق عائداً من سياتل إلى لوس أنجلوس فى اليوم التالى ، أدهشنى مرة أخرى كم كانت قضية مارى سميث هى الخلفية الملائمة تماماً لمشهد حياتى برمته ، ملائمة بدرجة تبعث على الغم . كما كنت بدأت أشعر وكأنى واحد من مسجلى الأرقام القياسية ولكن فى العلاقات الفاشلة والمعقدة . الوضعية الوحيدة التى توصلت لها مع كرستين أننا سنتحدث أكثر فى وقت قريب . تحمستُ لفكرة أن يكون آلكس الصغير - آلى - أكثر قرباً منى ، لكنى لم أكن بدأت أستوعب الفكرة . فقد أثبتت كرستين أنها أكثر تقلباً وتحولاً من الحد المقبول فيما مضى بالنسبة لى ، بحيث لا يسعنى أن أثق بأن أى شىء تقوله سيحدث على التأكيد .

كما اتضح الأمر ، فلقد استوعبتنى جرائم القضية بداخلها حتى قبل أن أخرج من مبنى الركاب الخاص بمطار لوس أنجلوس .

جذبت أذنى نشرة الأنباء التليفزيونية ، توقفت لأشاهد ما كشف عن تطور الأحداث .

لم أستطع تحويل ناظرى بينما كانت المذيعة تقدم تقريرها : " عُقد مؤتمر صحافى هذا الصباح ، حيث قامت المفتشة الرئيسية بقضية قناص هوليود ، جين جاليتا بنفى ما تردد حول وجود قائمة اغتيالات مزعومة " .

كان قناص هوليود هو الاسم الإعلامى الذى بزغ مؤخراً لقضية مارى سميث . أما بالنسبة لـ " قائمة الاغتيالات " فلم يكن لدى أدنى فكرة عم كانت تتحدث المذيعة بشأنه .

" يدعو مكتب تحقيقات لوس أنجلوس أهالى المنطقة لالتزام جانب الهدوء وأن يواصلوا أعمالهم . وعلى الرغم من ذلك ، فالعديد من الأشخاص لم يستجيبوا لذلك " .

" إحدى مجموعات المواطنين ظهرت فى منطقة تجارية محلية ، وطالبت بالكشف عن " قائمة الاغتيالات " ، التى تدعى الشرطة عدم وجودها . وأياً كان ما تختارون تصديقه ، فإن أمر واحد لا لبس فيه : " لقد أثار القناص جنون هذا المجتمع " ـ توقفت لبرهة على طريقة المذيعين ـ " كانت معكم لورين سولى ، فى بث مباشر من بيفرلى هيلز " .

قائمة اغتيالات ؟ ما معنى هذا الهراء ؟ هل توصل مكتب تحقيقات لوس أنجلوس إلى شيء ما ولم يطلعونى عليه ؟ لن تكون هذه هى المرة الوحيدة لحدوث هذا .

الشخص الأول الذى تمكنت من الوصول إليه بمكتب التحقيقات الفيدرالية كان الضابط دافيد فوجيشيترو ، وهو عميل خاص آخر كلف بالعمل فى هذه القضية .

قال لى : " إن هذا الأمر ليس له أى أساس من الصحة . هناك هذه القائمة المزعومة وبها ٢١ اسماً ، تبدأ بباتريس بينيت ، آنتونيا شيفمان ، ومارتى لوينشتاين بيل . الفكرة أن هذا هو جدول عمل مارى سميث " .

سألته : " وكل شخص حى فى لوس أنجلوس يرغب فى أن يعرف إن كان اسمه مكتوباً بها أم لا ؟ إذا كان واحداً من الواحد والعشرين **هؤلاء** ؟ "

" بالضبط . بل ولقد ساء الأمر عن هذا . فالشائعة تقول إن أى شخص موجود على القائمة يمكنه أن يشترى حياته إذا ما أرسل مائة ألف دولار إلى أحد صناديق البريد فى مقاطعة أورانج ، وهو صندوق بريدى غير موجود كما يبدو . لقد بحثنا بشأنه ، لكن لا أحد يصدقنا . بل إن الناس فى الحقيقة يهددون برفع دعاوى قانونية ضد مكتب تحقيقات لوس أنجلوس " .

" لكن لا شيء حقيقياً فى هذه الشائعة يا دافيد ؟ أنت واثق ؟ "

" لا شيء حقيقياً فيما نما إلى علمنا . ولكن مهلاً ، ما الذى نما إلى علمنا بالفعل ؟ ما نحن إلا مكتب تحقيقات فيدرالية " .

قلت : " صار لهذه القضية حياتها الاجتماعية الخاصة ، هل تحدث أى شخص إلى المفتشة جاليتا حول مسألة القائمة ؟ "

" لا أعلم ، ولكن ــ ماذا ؟ " كانت هنالك وقفة على الخط . " انتظر يا آلكس " .

" دافيد ، ماذا يجرى ؟ "

كان بوسعى سماع أصوات فى الخلفية ، لكن ما من شيء يمكن تمييزه . عاد العميل فوجيشيرو إلى الخط وأخبرنى أن أنتظر لحظة أخرى . أضاف : " هناك أمر ما " .

صحت به : " مهلاً ! " ، لكن لم يكن لهذا فائدة . ذهب مرة أخرى .

انبعثت المزيد من الأصوات ، ثم ضجة عامة ، ترتفع بالتدريج . ماذا يجرى ، بحق السماء ؟

ثم سمعت فوجيسترو يقول : " نعم ، إنه معى على الهاتف الآن " .

" آلكس ؟ فريد فان آلسبرج بحاجة للتحدث معك الآن . ابق على الخط " .

لم أكن أبداً سعيداً بسماع صوت فان آلسبرج ، لكن صوته كان مفعماً بالتوتر .

قلت : " ما الذى يجرى ؟ "

قال : " هذا ما نحاول اكتشافه الآن . كل ما نعرفه فى هذه اللحظة أن آرنولد جرينر بصحيفة التايمز تلقى لتوه رسالة إلكترونية أخرى . هل يمكنك الذهاب إلى صحيفة لوس أنجلوس تايمز الآن فوراً ؟ "

" ليس إذا كان هناك مسرح جريمة جديدة ، لا يمكننى " .

" لن أناقش هذا يا آلكس . حسناً سوف نخطرك بمجرد أن نعرف ماذا هنالك . وأثناء هذا ـــ " .

لم أستطع منع نفسى ـ أغلقت الخط .

" سيدى ؟ آلو ؟ هل تسمعنى ؟ "

أغلقت وسط صياح فان آلسبرج بأنه يستطيع سماعى جيداً .

ثم اتصلت بالعميل بيج وأخبرته بأن يجعلنى على الخط إلى أن يستعلم إذا كانت هناك ضحية جديدة لمارى سميث .

الفصل ٥٩

لم تكن سوزى كارتوليس تولى كبير اهتمام للعالم الواقعى بينما هى تخرج من ممشى السيارات عكسياً ذلك الصباح . كانت أفكارها تحوم حول كوخ المسبح فى الباحة الخلفية من منزل باسيفيك باليساديس ، وذلك المقاول الذى لا يستحق أى مديح والذى لا يرد على أى مكالمة منها ، لم يستجب أبداً لاتصالاتها ، ولكن يستجيب فقط لاتصالات زوجها . فليمض يومان آخران على هذا المنوال وسوف تطرد هذا الشخص المغفل ، بعد أن تشعل فيه النيران مباشرة .

سيارة أخرى ، تتلكأ عند سياج المنزل المجاور المصنوع من خشب الأرز ، ظهرت فى اللحظة الأخيرة . شدت سوزى المكابح بشدة لتتجنب الاصطدام بالأحمق الذى وقف بسيارته هناك . دق قلبها بشدة . فليست هذه قطعاً الطريقة المبشرة التى تبدأ بها يومها ، كان الاصطدام الوشيك على مسافة عشرة أقدام عن مدخل السيارات الخاص بمنزلها .

لوحت بسرعة خلال المرآة العاكسة .

" آسفة ! " أيها السيئ .

ثم أدارت سيارتها المرسيدس واجون الفضية نزولاً على طول الشارع المغلق فى أحد طرفيه باتجاه سان ست . ودارت السيارة الأخرى كذلك وبدأت تتبعها ، لكن سوزى كارتوليس لم تلحظ هذا .

بدلاً من ذلك تحول تركيزها إلى الصبى ذى التسعة أعوام فى المقعد الخلفى . " هل أنت بخير يا زاك ؟ لم أقصد أن أتوقف فجأة هكذا " .

" أنا بخير ، أنا بخير ، أنا بخير " .

" حسناً . أنا أطمئن وحسب يا حبيبى . ما رأيك فى القليل من الموسيقى ؟ ماذا تود أن تسمع ؟ "

حاولت ألا تكون مسيطرة ، لكن هذا يكون صعباً أحياناً . كان زاك صبياً مرهف الإحساس ، وهو لا يحب أن يتم تجاهله كذلك . ربما لو كان لديه أخ صغير أو أخت صغيرة ، لكن هذا لن يحدث فى أى وقت قريب . ليس الآن وسوزى قد أصبحت تقدم أخبار الساعة العاشرة . لقد نجحت أخيراً فى اقتحام محراب الوجوه الشهيرة بـ لوس أنجلوس ـ وهو ليس عملاً ضئيل الشأن بالنسبة لمقدمة النشرة الجوية السابقة من تكسون ، شكراً لله على هذا ـ وهى لن تسمح بحمل آخر يبطئ من تقدمها . وخصوصاً بعد أن أصبحت نيويورك شديدة الاهتمام بها أيضاً ، كما هو واضح .

وكما لو كان بالإيحاء ، دق جرس هاتفها .

أظهرت هوية المتصل رقم هاتف زوجها الخلوى ، ورفعت السماعة الصغيرة لأذنها .

تحدثت وهى مقطبة الجبين ، سعيدة لأن زوجها ليس هنا ليراها : " هاى . أين أنت يا حبيبى ؟ "

" فى ميامى . أعتقد أننا غطينا كل النواحى . لابد أن أنطلق إلى بالم بيتش بعد دقيقة . بالطبع ، هناك إعصار آخر يلوح فى الأفق ، لذا أريد أن أخرج من هنا على جناح السرعة . كل ما نحتاجه هو بضعة توقيعات ، ولكن يبدو أن العقد سيُبرم " .

" رائع " هكذا قالت بلا حماس حقيقى . يفترض بها أن تعرف أى مشروع من المشاريع كان يتحدث عنه ، لكنها جميعاً سواء بسواء . شىء يتعلق بمركز تسوق ضخم فى جنوب فلوريدا . أليس كذلك ؟ أهو فيرو بيتش فى شمال فلوريدا ؟ أم أنه فى تريجر كوست ؟ هذه هى لعبتهم ؛ أن يتحدث عن عمله كما لو أنها حقاً مهتمة بذلك ، وهى تتظاهر بأنها مهتمة .

" وهكذا ينبغى أن أكون بالمنزل الليلة بدلاً من الاثنين ، وهو ما سيكون لطيفاً . ربما نلعب قليلاً من الجولف هذا الأسبوع ؟ فقد دعانى ويات أخيراً إلى الريفيرا " .

" إم م م " .

" كيف حال رجلنا الصغير ؟ "

" إنه هنا ، انتظر لحظة " .

وجهت سوزى الهاتف إلى المقعد الخلفى وقالت : " إنه بابا ، كن لطيفاً " . كانت بالفعل قد راحت تعيد تنظيم جدول التزاماتها لليوم فى رأسها . إرسال أحدهم لتغطية المؤتمر الصحفى الخاص بالعمدة حول جرائم القتل الجارية . جعل مديرة المنزل تذهب لأخذ زاك بعد تمرين التنس . الاتصال بـ براين ، والتأكد من قدرته على الهرب من مكتبه ؛ ثم الاتصال بفندق رامادا من أجل حجز مبكر . من الممكن أن يحظيا ببعض الوقت الحميم مرة أخرى قبل وصول زوجها دائم العمل طوال الوقت إلى المدينة .

لنجعله يوماً لا ينسى .

الفصل ٦٠

إلى : agriner@latimes.com

من : مارى سميث

إلى : سوزى كارتوليس

يشاهدك الناس فى لوس أنجلوس على شاشات التلفاز يومياً ، تقدمين الأخبار ، وتتصرفين كما لو أنك حقاً تعرفين ماذا يحدث . هذا ما تحسنين القيام به . التمثيل ، التظاهر ، الغش ببراعة . لكن اليوم سيكون الأمر مختلفاً بشكل طفيف ، يا سوزى . اليوم ستكونين أنت من تحكى عنها الأخبار .

سيقولون إنه تم العثور على كل من سوزى كرتوليس وعشيقها الوسيم البطل السابق لكرة يد الشاطئ ، ذبيحين فى غرفة فندق . هكذا تتحدثون أنتم أيها القوم ، أليس كذلك ؟ ذبيحين ؟ ولكن بصرف النظر عما سيقولونه فى نشرات الأخبار ، فلن يعرف أحد مطلقاً كيف كنت تنظرين بالضبط نحوى عندما قتلتك . الخوف الجنونى ، الارتباك ، وأيضاً ما أعتبره احتراماً .

كان الأمر مختلفاً هذا الصباح قبالة منزلك الخيالى فى باسيفيك باليساديس . اندفعت من أمامى تقريباً بسيارتك المرسيدس واجون الفضية اللامعة ، ونظرت وكأننى غير موجودة . لقد فعلت هذا ، يا سوزى . ثقى بى فى هذا . فأنا أتذكر هذا الضرب من الأمور .

وعندئذ ، ومثل الآخرين تماماً ، واصلت يومك كما لو أننى هباء منثور . انتابنى شعور أن اليوم قد يكون آخر أيامك . ثم تأكدت من هذا الشعور .

أولاً شاهدتك تودعين ابنك الصغير الحبيب للمرة الأخيرة .

لعله لا يستطيع تقدير كل ما تقومين به لأجله . كل التضحيات . لكنه سيفكر بشأن هذا فيما بعد ، عندما يضطر شخص آخر لاصطحابه إلى المدرسة أو إلى التمرين القادم . أنت على حق فى أمر واحد ، رغم هذا ، كان لابد أن تمنحى زاك المزيد من الوقت فى حياتك .

لابد ، لابد .

ثم تتبعتك حتى الفندق بغرب هوليود . لم أعرف فى البداية لم ذهبت إلى هناك ، لكننى اكتشفت بما يكفى من السرعة أنك لن تموتى وحدك . التقيت هناك برجل أشقر شهى الطلعة . يليق كل منكما بالآخر تماماً . وتعملان بنفس المجال ، الكاميرا والأضواء .

يمكننى أن أدرك بمجرد النظر إليه أنه من نفس نوعك . ألست على حق ؟ لقد وصل إلى الأوليمبياد ، على كل حال . إنه مطابق تماماً لشبكة علاقاتك فى العمل . نجم آخر سريع الصعود . والآن أنتما مشتركان فى أمر آخر . كلاكما مقتولان . على يد إنسانة لا تستطيعن رؤيتها حتى عندما تنظرين نحوها مباشرة .

منحتكما بعض الوقت المتميز قبل أن أصل إليكما . ما يكفى من الوقت لتشعرا بالأمان فى عش الخيانة الصغير الخاص بكما . وربما حتى ما يكفى لتقوما بما رتبتما له فى رأسيكما لهذا الموعد الغرامى الصغير .

وعندئذ ، حين دخلت ، رأيته هو أولاً . كان هذا نوعاً من حسن الحظ . أتدرين لماذا ؟ أردتك أن تريه يموت . لقد كسا هذا وجهك بخشية الله قبل

أن أطلق النار عليك . ثم كان علىّ أن أمزق قناع الخوف والخشية هذا تمزيقاً ، مزقة بعد الأخرى ، حتى لم تعودى خائفة بعد ذلك .

أصبحت لا شىء ، يا سوزى كارتوليس .

تماماً مثلى .

الفصل ٦١

كنت لا أزال على الطريق حين ترامت الأنباء عن آخر أفعال مارى سميث ـ جريمة قتل ثلاثية هذه المرة ، أكثر المرات عدداً حتى هذا الحين ، على الأقل فى حدود ما نعرف على وجه اليقين . كنت مازلت أواصل البحث وراء الأدلة الخاصة بجريمة القتل الثلاثية الخاصة بنيويورك ، لكن التقدم كان بطيئاً ، وفجأة وجدت نفسى فى مسرح جريمة أخرى . سوزان كارتوليس ، مذيعة أخبار جوية حازت على جائزة ، وجدت قتيلة مع عشيقها ، فى غرفة بفندق رامادا بلازا سويتس فى ويست هوليود .

كان الرجل القتيل هو براين كونفر ، منتج برامج رياضية فى نفس الشبكة التى تعمل بها السيدة كارتوليس . وامرأة أخرى ، هى ماريا آلكسندر ، طالبة جامعية تنتمى لجامعة كال الجنوبية ، قتلت هى الأخرى . ما شأن هذا كله ؟

طلبت من العميل بيج أن يقرأ علىّ آخر الرسائل التى أرسلتها مارى سميث على الهاتف بينما أقود السيارة . أوضح النص أن المذيعة كانت هى

الهدف الأساسى . فلم يذكر السيد كونفر بالاسم مطلقاً ، وما من إشارة من أى نوع إلى ماريا آلكسندر .

سألت بيج : " ما الذى نعرفه بشأن سوزان كارتوليس ؟ هل هى توافق نوعية الضحايا ؟ "

قال : " بشكل مبدئى ، نعم . إنها تنسجم مع قطع اللغز الأخرى تماماً . متزوجة ولديها ابن واحد ، امرأة جذابة ، معروفة جداً فى المدينة . إنها تقدم نشرة أنباء الساعة العاشرة لإحدى المحطات المحلية . كما حازت مقعد الشرف فى حملة جمع الأموال الخاصة بقسم الحروق بمستشفى سيدار سيانى للأطفال . ابنها فى التاسعة من عمره . أم مثالية أخرى " .

" ولها عشيق فى الخفاء " .

" حسناً ، أظن أنه لا يوجد إنسان كامل . هل هذا ما تحاول مارى إثباته لنا ؟ "

قلت : " ربما " .

سوف تلتهم وسائل الإعلام هذه الجريمة التهاماً ، كما لو أنها ليست متخمة من هذه القضية بالفعل . ومما جعلنى أكثر أسفاً لحالة زوج سوزان كارتوليس وابنها الصغير أنه سيتم الكشف عن مقتلها وخيانتها للجمهور بكل التفاصيل .

سأل بيج : " هل تعتقد أن لهذا أية صلة بالأمر ؟ أى الأمهات المثالية ممن هن غير مثاليات تماماً فى الحقيقة . النفاق الاجتماعى فى الواجهة ؟ أمر بهذه البساطة ؟ "

" إذا كانت هذه نقطة ارتكاز مارى سميث ، فهى لم تكن واضحة كل الوضوح بشأنها . خاصة بالنسبة لشخص حريص للغاية على الإفصاح عن رأيه فى الرسائل . علاوة على أننا فى حدود علمنا ، فإن أغلب النساء القتيلات فى الحقيقة يعتمدن فى عيشهن على سمعتهن الطيبة " .

قال بيج : " فى حدود علمنا ، لم نتأكد تماماً من هذا الأمر ، صح ؟ "

" حسناً ، لماذا لا تقوم بقليل من النبش حول النساء الأخريات . لنرى ما إذا كان بوسعك أن تعثر على أسرار صغيرة قذرة فاتتنا . حاول مع آرنولد جرينر . أراهن على أن لديه خيطاً خفياً أو خيطين . فهذا هو عمله ، أليس كذلك ؟ "

قال بيج ضاحكاً : " الأدلة الشرعية للنميمة ، أليس كذلك ؟ سأرى ماذا يمكننى القيام به . إذا تمكنت من جعل جرينر يتحدث حول أى شىء آخر غير نفسه " .

" من كانت الضحية الأخرى ؟ ماريا آلكسندر " .

" نعم ، هذا مثير للاشمئزاز حقاً . إنها خادمة بالفندق . طالبة جامعية صغيرة السن . نظن أن مارى دخلت إلى الغرفة بمفتاح الخدمة الخاص بها " .

قلت : " أمر آخر وحيد . إذا سألك أى شخص ، فأنا لم أتصل بك وأنت لا تعلم بمكانى " .

صمت بيج عن الكلام برهة ثم قال : " لن أكذب إذا سألنى أحدهم ، ولكنى لن أتطوع بالكلام . على أى حال ، أنا فى طريقى للخروج من المبنى " .

" هذا أحسن . بالمناسبة إنك تقوم بعمل رائع " .

" صحيح ؟ بالنسبة لفتى التجديف ؟ "

" بالضبط يا صاح " .

الفصل ٦٢

تبعت توجيهات كارل بيج بالذهاب إلى فندق رامادا بويست هوليود وعن عمد تركت هاتفى فى السيارة حين وصلت إلى هناك . لم أرغب فى أن يتمكن أى شخص من المكتب من الاتصال بى ، ولا حتى من مكتب المدير بيرنز .

كان بهو الفندق ذى الديكور الفنى شديد التميز هادئاً ومحبطاً . وقد تناثرت به بعض أشجار النخيل المجففة والمثبتة فوق صفوف من الآرائك المربعة بلون الشوكولاتة البنية ، وكانت كلها خالية . ولدى مكتب الاستقبال كانت هناك امرأتان عجوزتان هما النزيلتان الوحيدتان اللتان يمكن رؤيتهما هناك .

أياً كان الشخص المسك بزمام الأمور هنا - وأتمنى أن تكون جين جاليتا - لابد أنه قام بتغطية جيدة لمسرح الجريمة . الإشارة الوحيدة أن هناك تحقيقات مهمة تجرى كانت هى وجود اثنين من الضباط لدى المصعد . صعدت السلالم إلى مسرح الجريمة بسرعة شديدة .

كان ممر الدور الثانى مزدحماً بالعاملين فى مكتب تحقيقات لوس أنجلوس ، بأحذية طويلة بيضاء ، وقمصان كتب عليها " وحدة معاينات مواقع الجرائم " . وقد ارتسمت علامات الإحباط والضيق على الوجوه كافة .

رمانى ضابط بزى رسمى بنظرة استطلاع ، سألنى : " من أنت ؟ " . كانت شارته مكتوباً عليها " ساندهاوزن " . أظهرت له شارتى دون تعليق وتجاوزته . " مهلاً ! " هكذا صاح بى .

صحت فيه : " مهلك أنت " . وواصلت سيرى .

حين بلغت الغرفة ٢٢٣ ، كان الباب مفتوحاً على اتساع .

وكان مثبتاً عليه من الخارج صف من الملصقات الكارتونية ، إنها بطاقة التعارف الخاصة بـ مارى سميث : اثنتان من الحوريات وحصان وحيد القرن آخر ، والذى كان ملصوقاً فوق ثقب الباب مباشرة .

كانت الملصقات تمثل ثلاثة حروف ، اثنان منها حرف (أ) ، والثالث حرف (ب) . وقد توقفت إحدى عربات التنظيف الخاصة بإحدى الخادمات خارج الغرفة ووقفت جانباً .

سألت ضابطة شابة أخرى فيما تندفع داخل الردهة : " هل جين جاليتا هنا ؟ " . كان العدد الكامل للأشخاص الذين يروحون ويجيئون ها هنا غير محتمل .

رمتنى الضابطة الشابة بنظرة انزعاج وقالت : " أظن أنها بالمكتب بالدور السفلى ، لا أعلم " .

قلت ، وقد نفد صبرى فجأة : " تأكدى من الأمر ، وأعلميها أن آلكس كروس يبحث عنها . سأكون ها هنا " .

قبل أن أخطو داخل غرفة الفندق هيأت نفسى للتعامل مع ما أنا بصدده . فى أى مسرح جريمة هناك انفصال ضرورى ، وأشعر بهذا الانفصال مثل جلد ثان أرتديه فوق بدنى . ولكن هناك توازناً ضرورياً كذلك فقد كان علىّ ألا أنسى أننى أتعامل مع بشر وليس مجرد جثث ، ليس مجرد ضحايا . وإذا أصبت بحصانة ذات يوم ضد هذه المشاعر ،

سأعرف أنه قد آن الأوان للبحث عن مهنة أخرى . قد يكون آن الأوان على كل حال .

كان ما رأيته مشهداً يبلغ حداً من القسوة يتناسب تماماً مع ما يمكن توقعه من مارى سميث .

إضافة إلى مفاجأتين بغيضتين لم أكن مستعداً لهما .

الفصل ٦٣

كان حال غرفة الاستحمام رهيباً .

استلقت ماريا آلكسندر ، خادمة الفندق ذات التسعة عشر عاماً ، فى حوض الاستحمام ورأسها للأسفل ، كان رأسها فى زاوية مستحيلة تقريباً مع جذعها . كان حلقها ممزقاً حيث قضت إحدى الطلقات على أى احتمال للصراخ من جانبها . كان شعرها الأسود الطويل المموج مخضباً بالدم . بدا كما لو أن شريان الفتاة على جانب عنقها قد انفتح ، ما يفسر انبجاس الدم الذى يتمدد على طول الجدار .

وكانت ملقاة على بلاط الأرضية مجموعة ثقيلة من المفاتيح قريباً من القدم المتدلية للفتاة الميتة . كان تخمينى الأول أن مارى سميث جذبت مسدسها وصوبته نحو الشابة ، لترغمها على فتح غرفة الفندق ، ثم دفعتها من الخلف نحو الحمام وأطلقت عليها الرصاص ـ كل ذلك فى تتابع سريع جداً .

عند هذا الحد ، غالباً ما كان كل من سوزان كارتوليس والسيد كونفر فى غرفة النوم ، على مبعدة من الردهة . أحدهما ـ ولعله كونفر ـ جاء ليرى ما الذى يجرى .

وإذا كان للطخات الدم على السجادة أية دلالة ، فإن مارى سميث قد تكون اعترضت سبيل كونفر فى منتصف الطريق ما بين غرفة النوم وغرفة الاستحمام .

ومع ذلك فقد كانت جثته الآن موضوعة على الفراش بجوار سوزان كارتوليس . كان الحبيبان يرقدان جنباً إلى جنب ، فوق الأغطية .

كان كلاهما عارياً ، وهى المرة الأولى لمارى سميث ـ ومع ذلك فمن المحتمل أنهما كانا عاريين حين وصلت إلى هناك .

كانت عورة كل من الضحيتين مغطاة بأكياس الوسائد وكذلك صدر كارتوليس ، وهى لفتة غريبة من الاحتشام .

يا للعجب ، كان هذا قاتلاً محيراً وغير معقول . إن التناقضات العجيبة تحير العقل ، عقلى على أية حال .

بل إن الأمر أكثر غرابة من هذا . كان الفراش كبير الحجم مهندماً على خير حال . كان محتملاً أن كارتوليس وكونفر لم يستخدما الفراش خلال علاقتهما الحميمة ، لكن كانت هناك مشروبات خفيفة تركت على المائدة الليلية تشير لعكس هذا .

هل حقاً قامت مارى سميث بتسوية الفراش بعد أن قتلت ثلاثة أشخاص ؟ وإذا كان كذلك ، فإنها ماهرة فى القيام بهذا . فمنذ زمن طويل قد وضحت لى الجدة الفارق ما بين زوايا الفراش المعدة جيداً والمعدة بكسل ودون اعتناء . ومارى سميث تعى الفارق هى الأخرى .

كانت الأغطية المرتبة مشبعة بالدماء ، وخصوصاً فيما حول السيدة كارتوليس . أصيب كل من الضحيتين بجروح الطلق النارى المصوب للرأس ، لكن وجه كارتوليس كان مشوهاً بشفرة ـ كما هو الحال المعتاد لدى مارى سميث ، وكما وعدت فى الرسائل الالكترونية . كان لا يزال بوسعى تبين التعبير الأخير من الرعب على وجه كونفر ، لكن وجه

كارتوليس كان به العديد من الجروح لدرجة أنه كان أشبه بجرح واحد مفتوح .

ذكرنى الأمر بجريمة قتل آنتونيا شيفمان بمنزلها ـ النظام والتشوش فى الحين نفسه .

قاتل واحد ، ودافعان مختلفان كل الاختلاف .

ما الذى كانت تفكر به ؟ ما الذى تريده من وراء هذا ؟

أكثر الأمور إزعاجاً من بين المفاجآت الجديدة جاءت بعد هذا ببضع دقائق . كانت هناك حافظة جلدية صفراء ملقاة مفتوحة على مقعد بالقرب من الفراش ، وبها رخصة القيادة الخاصة بسوزان كارتوليس وبطاقات ائتمانها كذلك .

وعندما تفحصت الحافظة ، رأيت أنها كانت ممتلئة ببعض الأشياء التى وضعت فيها بنظام ، لكن كانت هناك عدة جيوب بلاستيكية خالية . جعلت هذه الجيوب الخالية التوتر يسرى أعلى وأسفل عمودى الفقرى . صحت قائلاً " اللعنة . الصور الفوتوغرافية " .

اقترب منى أحد العاملين بوحدة مسرح الجرائم وقال : " ماذا هناك ؟ هل عثرت على شىء ما ؟ "

سألته : " هل نعلم بمكان زوج سوزان كارتوليس الآن ؟ "

" من المفترض أنه على متن طائرة ، راجعاً لمنزله من فلوريدا ، لم ؟ "

" أريد أن أعرف إذا كانت هذه المرأة حملت صورة عائلية بمحفظتها .

كان سؤالى محض إجراء رسمى ، فكنت تقريباً على يقين من معرفتى لإجابته . ستكون هذه هى المرة الثانية خلال الحوادث العديدة التى تبدى فيها مارى سميث اهتماماً بالصور العائلية . وقد انتقلت من مرحلة ترك الأطفال بمفردهم تماماً فى الصور إلى شىء من اثنين ، فإما تخريب صورهم الفوتوغرافية أو سرقتها . فى هذه الأثناء ، كان أسلوبها غير منتظم أو غير متوقع بصورة مطردة ، أصبحت رسائلها أكثر ثقة من أى وقت سابق .

كيف سيتطور الأمر من موضعنا هذا ؟ وإلى أين سيأخذنا ؟

لا أظن أننى يمكننى التسامح مع نفسى إذا ما شرعت مارى سميث تتحول إلى الأطفال قبل أن نتوصل لها ، ولكن قد يكون الأمر التالى هو بالضبط ما أخشاه .

الفصل ٦٤

" اسمح لى بدقيقة معك يا د . كروس ؟ نحن بحاجة لأن نتحدث " .

تطلعت لأرى المفتشة جين جاليتا تقف بالباب . كان تعبير وجهها ينم عن الإرهاق والقلق ، وفكرت أنها تبدو أكبر سناً عن آخر مرة رأيتها فيها ، وأنحف قواماً ، كما لو أنها خسرت عشرة أرطال لم تكن بحاجة لخسارتها .

خرجنا إلى الردهة . " ماذا هنالك ؟ لا تخبرينى أن شيئاً آخر قد وقع " .

قالت بصوت خفيض ومرهق : " لا أريد أن ينتشر هذا الأمر منذ الآن ، ولكن هناك امرأة رأت شاحنة زرقاء " سابربان " تغادر ساحة انتظار السيارات الخاصة بالفندق بسرعة شديدة حوالى الساعة الثانية ولكنها لم تلحظ أى شىء آخر . وأتساءل إذا كان بوسعك أن تستجوب هذه المرأة ، ثم يمكننا أن نقارن الملاحظات . قبل أن أقوم بأى شىء حيال هذا " .

كانت هذه حركة بارعة من جانبها . أنا على ثقة أنها كانت تفكر بالأمر نفسه الذى فكرت به : قضية قناص واشنطن العاصمة فى عام ٢٠٠٢ التى ضمت عملية بحث عمومية ضخمة ، لما اتضح فيما بعد أن السيارة غير صحيحة . كان كابوساً على مستوى التحريات والعلاقات العامة ، وهو تماماً نوع الأخطاء الذى يجب أن يتجنبه مكتب تحقيقات لوس انجلوس حالياً .

أضافت : " وهل يمكنك القيام بهذا الآن ؟ سيكون هذا تعاوناً منك . أقدره لك . لابد أن أنتهى من هذا ، لا أريد الانتظار " .

كرهت أن أترك مسرح الجريمة ، فقد كان هناك الكثير من العمل لابد من إنجازه . وإذا لم تكن جين تبدى ما تتحمله من ضغوط بهذا الوضوح ، ربما رفضت مطلبها .

قلت لها : " أمهلينى خمس دقائق لأنهى ما علىّ هنا . وسأكون بالأسفل على الفور " .

أثناء هذا ، سألت جين أن تصنع بى معروفاً وأن تستعلم من جيوفانى كارتوليس بشأن الصور المفقودة فى حافظة زوجته . لسوء الحظ لم يكن هناك إلا أقل القليل مما يمكن عمله بشأن الحصول على معلومات منه ، ولكن كان من المهم معرفة إذا كانت مارى سميث قد سرقت صوراً عائلية . وكذلك لابد من استبعاد جيوفانى كارتوليس كمشتبه به ، كما هو الحال مع جميع الأزواج السابقين . كانت جين وفريقها يضطلعون بهذا ، ولكنى كنت راضياً عن التقارير . إن مكتب تحقيقات لوس أنجلوس يقوم بعمله على خير وجه .

سألتنى جين وهى تقف ساكنة تماماً فى الردهة وتحدق بى : " بم تفكر ؟ أخبرنى . يمكننى الاضطلاع بالأمر . أظن هذا " .

فقالت لها : " تنفسى بعمق . لا تستسلمى لهذه الحالة الفظيعة . إنك تديرين القضية على خير ما يرام ، ولكنك تبدين فى حالة مزرية الآن " .

عقدت حاجبيها وقالت : " إم م .. شكراً ؟ "

" تبدين بحال جيدة ، ولكن ليس بنفس الدرجة المعتادة وحسب . فأنت شاحبة يا جين . إنها الضغوط . لا أحد يفهم هذا إلا إذا مر به بنفسه " .

ابتسمت جين أخيراً وقالت : " أبدو مثل الراكون فلدىّ حول عينى لطخات سوداء شبيهة بما لديه " .

" أنا آسف " .

" لا بأس . لابد أن أذهب " .

تذكرت دعوتها السابقة لى لتناول العشاء ورفضى القاسى لها . إذا كنا وقفنا هنا وقتاً أطول بثوان معدودة ، ربما كنت قد جددت الدعوة لوقت آخر ، لكن اللحظة قد مضت بالفعل ، كما مضت جين .

وكان أمامى مقابلة علىّ إنجازها .

شاحنة زرقاء ، أليس كذلك ؟

الفصل ٦٥

لم يكن ما جعلنى أتشكك فيما أخبرتنى به بيتينا رودجيرز هو وشم الثعابين على كلا ذراعيها ، أو الحلقات المعدنية المتناثرة على وجهها . ففى حقيقة الأمر كانت بيتينا أفضل ما يكون كشاهدة . كان الأمر يتجاوز الحقيقة القائلة بأن شهادة العيان تعد كما هو معروف تقريبية ولا يمكن الاعتماد عليها . إن تحريات المباحث الفيدرالية أكدت أن دقتها ترجح بخمسين فى المائة ، حتى ولو بعد دقائق معدودة من الحادثة ـ وكانت هذه الشهادة بعد ساعتين على الأقل .

ومع هذا ، فإن ثقة بيتينا بما كانت تدلى به لم تكن تتذبذب .

قالت لى للمرة الثالثة : " كنت فى ساحة انتظار السيارات ، أدير سيارتى واندفعت الشاحنة من خلفى ، نحو هذا الطريق ، باتجاه شارع سانتامونيكا . التفت نحوها لأنظر لأنها كانت تنطلق بسرعة شديدة .

أنا واثقة أنها كانت زرقاء داكنة ، وأعرف أنها شاحنة ساباربان لأن أمى كان لديها سيارة من هذا النوع . وقد ركبت بها ملايين المرات .

أتذكر هذا وأعتقد أنه أمر مضحك ، لأن أمى كانت تقود السيارة بنفس هذه السرعة الجنونية " .

توقفت لبرهة ثم قالت : " خرجت السيارة بحدة من جهة اليسار من ساحة الانتظار . هذا كل ما أعرفه . هل أستطيع أن أذهب الآن ؟ "

كان هذا نفس ما استخلصته من جين جاليتا . ولكننى واصلت الضغط مع بضعة أسئلة أخرى من عندى .

سألتها : " هل هناك أى علامات على السيارة ، ملصقات على الرفرف ، نقرات صغيرة ، أى شىء على الإطلاق ؟ "

هزت كتفيها . لقد رأيتها من الجانب وحسب ، وكما قلت ، قد اندفعت بسرعة رهيبة بالنسبة لسيارة من هذا الطراز . لم أر لوحة الأرقام ولا أى شىء " .

" ماذا عن السائق ؟ ألاحظت أى شى ؟ هل كان معه شخص آخر فى السيارة ؟ أكثر من شخص واحد ؟ "

جعلت تحرك إحدى الحلقات الفضية السميكة فى حاجبها بينما تفكر بالأمر . كان ماكياجها ثقيلاً ومائلاً للسواد ما عدا الأبيض الشاحب الذى اكتسى به وجهها بفعل البودرة . لم أكن أعلم الكثير بشأن بيتينا ، لكنها ذكرتى بثقافة مصاصى الدماء التى تحريت عنها قبل بضع سنوات فى إحدى القضايا . أمر واحد علمته آنذاك وهو مدى ذكاء بعض هؤلاء الأشخاص ، على الرغم من النمط المعروف الذى يتبعونه من تكاسل وإهمال المظهر .

أخيراً ، هزت بيتينا رأسها وقالت : " أريد أن أقول إن السائق كان امرأة ، لأن هذا سيكون له معنى ما ، صح ؟ أقصد أننا ، سُحقاً ، نتحدث حول قناص هوليود ها هنا ، أليس كذلك ؟ لست مضطراً لأن تكذب ، أعلم أنها هى . فقد أخبرنى الشرطيان الآخران من قبل " .

لم أجبها حتى أعطيها فرصة للمزيد من التفكير إلى أن هزت كتفيها مجدداً . " انطلقت الشاحنة الزرقاء وكأنها وطواط خارج من الجحيم ،

استدارت نحو اليسار ، هذا هو كل ما أنا واثقة منه ، وهذا جوابى النهائى " .

إن حقيقة أنها لم تنزلق إلى إثراء روايتها بتفاصيل مختلفة رفع من ثقتى بها . الأمر غير المعقول هو عدد الأشخاص الذين يقومون بالعكس ، ولمجرد إسعاد المحقق فى بعض الأحيان . بعد دقائق ، شكرت بيتينا لوقتها وتعاونها ، وسمحت لها بالذهاب .

ثم وجدت جين جاليتا لأطلعها على أفكارى . التقينا فى إحدى غرف الضيوف غير المستخدمة بالطابق الثانى . أخبرتنى جين أن نزيلاً آخر بالفندق قد دعم القصة نفسها .

" حوالى الساعة الثانية تماماً شاهد شاحنة ساباربان زرقاء داكنة ، وكبيرة تخرج مندفعة من ساحة انتظار السيارات ، شاهد ذلك من غرفته بالطابق الثالث . لم يستطع أن يرى الكثير ، لكنه قال إنها قد تكون امرأة من قادت السيارة " .

قلت : " لا يعنى هذا أنها كانت مارى سميث ، ولكن إذا كانت هى سيكون هذا مهمة ضخمة أمامنا . فقد رأى شخصان على الأقل العربة وهى تغادر مسرعة " .

أومأت جينى صامتة ، وهى تزن الفكرة " . وهكذا يتبقى سؤال الجائزة الكبرى : إلى أين يأخذنا هذا الخيط ؟ "

كانت هناك مجازفات رغم ذلك ، ولقد عددتها لها بصوت عال ، مجازفات بالنسبة لها جزئياً وبالنسبة لى جزئياً .

" الوقت ليس فى صالحنا . ومارى سميث لا تبدى أى علامات على أنها ستتوقف عن ارتكاب تلك الجرائم . بل على العكس فى حقيقة الأمر . يبدو أنها تتطور وتتقدم . وهذه فرصة لاستغلال الإعلام لفائدتنا وتسريع البحث ـ إذا كان هذا ما تريدين " .

" ومن ناحية أخرى ، فإن الناس مفزوعون بالفعل ، ولسوف يبدون رد فعل أمام كل سيارة من هذا الطراز ، بوجه عام ، وإذا انفجر هذا فى وجوهنا ، فسوف يعطى الرأى العام سبباً إضافياً لعدم الثقة فى مجرى

التحقيقات . وإذا انتهى الأمر بالتوصل لمارى سميث سيكون كل شىء على ما يرام وستصبحين بطلة " .

قالت بجفاف : " رهان خطر " .

قلت : " هكذا هى اللعبة " .

" بالمناسبة أنا لا أريد أن أكون بطلة " .

" على الأقل فى النطاق المحلى " .

ابتسمت أخيراً : " شيرلوك هولمز أمريكا ، ألم أقرأ هذا عنك فى مكان ما ؟ "

" لا تصدقى كل ما تقرئينه " .

كنت أكاد أسمع دقات الساعة تنبعث من رأس جين ، ولكنه ربما كان قلبها الذى يخفق بشدة هكذا .

قالت : " حسنا ، " ونظرت نحو ساعة يدها : " لنقم بهذا . سأعمل على إنجاز هذا مع المكتب ، ولكن إذا تحركت الآن ، سيمكن لنا عقد مؤتمر صحفى قبل موعد نشرات الأنباء المبكرة " .

توقفت لدى الباب : " يا إلهى ، كم أتمنى ألا يكون خطأ أرتكبه " .

قلت : " امضى وحسب " .

" هلا أتيت معى يا آلكس ، اتفقنا ؟ "

قلت : " اتفقنا ، على الرغم مما قلته حول شيرلوك هولمز " .

الفصل ٦٦

كان الحدث كبيراً ، لا شك فى هذا على أية حال . حتى جيمس ترسكوت كان حاضراً . قام المؤتمر الأخبارى بتغطية أمر الشاحنة السابارابان الزرقاء من خلال الجميع ، وتأكدنا من أن هذا الخيط متوفر فى كل تقرير إلى أن يظهر شىء أكثر أهمية فى قضية اغتيالات لوس أنجلوس . وآملين أن يتم العثور على السيارة ، ثم مارى سميث ، ذكراً كانت أم انثى .

لم أظهر فى المجموعة الصغيرة أمام الكاميرا مع المفتشة جين جاليتا ، لكنى التقيت بها بعدها بدقائق . كان يبدو وكأنها فى كل مكان ، لكنها شقت طريقها لتأتى لرؤيتى .

قالت : " شكراً على المساعدة . والنصيحة الحكيمة . والآن هل مازلت أبدو مثل حيوان الراكون أمام شاشات التلفاز الوطنى ؟ " . " كلا ، لا تبدين مثله . حسناً ، بلى ، تبدين مثله " ثم ابتسمت . " أتذكر أنكِ قلتِ ذات مرة ينبغى علىّ أن آكل شيئاً ، أليس كذلك ؟ هل مازلت مهتمة بهذا ؟ "

عادة نظرة القلق إلى جين فجأة : " أو . هيا آلكس ، ليس الليلة " . ثم طرفت بعينيها وابتسمت : " بلى ، حسناً ، يمكننا أن نأكل ، أحسب هذا . ما الذى يروق لك تناوله ؟ الحق أنى أتضور جوعاً الآن . ما رأيك فى الطعام الإيطالى ؟ " .

" إنه مناسب على الدوام بالنسبة لى " .

كانت شقة جين فى الطريق إلى المطعم ، وأصرت أن نتوقف عندها . شرحت قائلة : " أنا بحاجة لتفقد حال وجهى فى مرآتى الخاصة ، وبإضاءة أثق بها وأعرفها . لن يقتضى هذا أكثر من خمس دقائق ، وربما سبع دقائق بحد أقصى . هيا معى . فلن أهاجمك وأتحرش بك . أعدك بهذا " .

ضحكت وتبعتها إلى داخل مبنى من القرميد الأحمر بموضع ما خارج سانتامونيكا .

" أو ربما سوف أتحرش بك حقاً " ، هكذا قالت ونحن نصعد السلم إلى شقتها .

وهو ما حدث بالضبط ما إن أغلقت الباب وراءنا . التفتت بسرعة ، وجذبتنى وطبعت قبلة على وجنتى ، ثم تركتنى .

" إم م م . كان هذا لطيفاً نوعاً . لكنى تورطت معك وحسب يا دكتور . عشر دقائق تماما كما وعدتك " .

" سبع " .

ثم ذهبت جين عبر الردهة إلى غرفة نومها وإلى الإضاءة التى يمكنها أن تثق بها . لم يسبق لى أن رأيتها هكذا على طبيعتها للغاية ومفعمة بالحيوية ، يكاد يكون الأمر كما لو أنها صارت شخصاً مختلفاً تماماً عن العمل .

اقتضى منها الأمر أكثر قليلاً من سبع دقائق لكن الأمر كان يستحق الانتظار ، كان التحول مدهشاً نوعاً ما ، فى حقيقة الأمر . كانت دائماً تدهشنى كامرأة جذابة ، لكنها كانت تبدو صلبة قليلاً فى العمل ، ومنهمكة فى العمل دائماً . والآن ترتدى قميصاً حريرياً وسروالاً من الجينز

وصندل ، كان شعرها لا يزال مبتلاً إثر حمام سريع ، وهكذا تبدت المحققة جين جاليتا أكثر رقة ، وقد ظهر جانب آخر من شخصيتها .

قالت : " أعلم ، أعلم ، أبدو فى حالة مزرية " ، وكلانا فقط يعرف أن ثمة اختلافاً .

صاحت فجأة : " نسيت أن أقدم لك شراباً ، آه يا ربى ، ما الذى جرى لى ؟ "

قلت : " ليس أمامنا إلا خمس دقائق " .

" صحيح . نقطة صائبة ، أنت هكذا دائماً ، فى أغلب الأوقات ، تنطق بالأمر الصائب بالضبط . لا بأس إذن ، لنذهب . السهرة بانتظارنا " .

وكان الأمر على هذا النحو ، مازلت أحس بانطباع جسد جين يقترب منى ، وبشفتيها . كما أننى كنت غير مرتبط حالياً ، أليس كذلك ؟ أم أننى مرتبط ؟ لأكون صريحاً ، لقد بدأت أتحير قليلاً بشأن نفسى . لكن جين كانت تقودنى خارج الباب إلى الردهة ـ ثم التفت حولى مرة أخرى . كنت متأهباً لها هذه المرة وأخذتها بين ذراعىّ . تبادلنا قبلة ، كانت أطول من المرة الأولى . كانت رائحتها رائعة ، وكانت عيناها البنيتان تبدوان أجمل مع هذا القرب الشديد .

تناولت جين يدى ، وبدأت تجرنى عائدة بى إلى شقتها .

أوقفتها : " لقد ارتديت ملابسك تواً لنخرج " .

هزت رأسها : " كلا ، بل ارتديت من أجلك " .

ولكنى عندئذ استجمعت نفسى ، وتحكمت بحواسى ، وقلت لها : " لنخرج لنأكل يا جين " .

ابتسمت وقالت : " حسناً ، لنأكل يا آلكس " .

الفصل ٦٧

فى الرابعة صباحاً ، توجهت ممثلة عمرها اثنان وعشرون عاماً تسمى آليسيا بيت من لاس فيجاس إلى لوس أنجلوس . سيبدأ استعداد المرشحات للأدوار عند التاسعة صباحاً ، ولم تكن تريد أن تكون الفتاة الشقراء رقم ٣٠٥ فى الصف ، سيكون الدور قد ذهب لواحدة غيرها قبل أن تتمكن حتى من قراءته .

كانت تقود شاحنة والديها من نوع ساباربان ، والتى كان يطلق عليها والداها بخيالهما المشتعل لقب الزرقاء الكبرى ، وكانت تستهلك الكثير جداً من الوقود ، وعلى كل كانت توصيلة مجانية . ما إن تتوصل آليسيا إلى نوع من العمل الحقيقى ، يمكنها عندئذ أن تتحمل كلفة العيش فى لوس أنجلوس . وفى الوقت الحالى مازالت تخطو خطوات التقدم والتراجع التى لا تنتهى من أجل اختبارات الأداء والترشيحات للأدوار .

راحت آليسيا تراجع دورها وهى تقود غرباً على ١٠ ـ ١ ، وتحاول ألا تختلس النظر كثيراً نحو السيناريو الذى ثنيت أطرافه على المقعد المجاور

لها . تواصلت العلامات المألوفة على طول الطريق إلى لوس أنجلوس تقريباً .

" لا تحدثنى عن الكبرياء . لقد سمعت منك كل ما أحتاج لسماعه . يمكنك فقط ــ " .

مهلاً ، ليس هكذا . نظرت إلى السيناريو ، ثم تطلعت مرة أخرى نحو الطريق والسيارات المارة .

" لا تحدثنى عن الكبرياء . لقد سمعت منك هذا حتى اكتفيت . لا شىء يمكنك أن تقوله الآن فأصدقه . يمكنك فقط ـ أوه ، سحقاً ! ما الذى تفعلينه يا آليسيا ؟ يا غليظة الرأس ! "

بطريقة ما ، انحرفت بسيارتها عن الطريق السريع إلى مخرج جانبى قادها إلى إشارة مرور ضوئية عند تقاطع طرق غير مألوفة لها .

كانت فى لوس أنجلوس ، لكن هذا قطعاً لم يكن طريق ويلشاير .

لم يكن أى مكان مما تعرفه هى ، من مجرد النظر إليه . مبان مهجورة فى أغلبها ، وسيارة محترقة تربض بساحة انتظار بعيدة . عربة أجرة ، فى الغالب .

ثم رأت الرجال أو الصبيان ، أو أياً كانوا . ثلاثة منهم ، يقفون عند الركن ويحدقون فيها .

فكرت قائلة : **حسناً ، حسناً . لا تتصرفى بغباء يا آليسيا . كل ما هنالك أن تستديرى وتعودى إلى الطريق السريع . هذا الصواب بعينه ، كل شىء على ما يرام .**

أرادت أن يتغير الضوء الأحمر أمامها بينما أحنت رقبتها ، لتنظر إلى المنعطف الذى يؤدى إلى الطريق السريع .

سار أحد الشباب خارج التقاطع الآن ، واستدار رأسه من أجل رؤية أفضل عبر واجهة سيارتها الزجاجية . كان يرتدى سروالاً واسعاً وسترة زرقاء سماوية ، لا يمكن أن يكون عمره أكثر من السادسة عشرة ، أو السابعة عشرة .

ثم اقترب الاثنان الآخران وراءه فى بطء . فى الوقت الذى فكرت فيه آليسيا أن تتجاوز الإشارة الحمراء ، كان الشباب يقفون قبالة غطاء سيارتها ، ويسدون عليها الطريق . آه ، رائع ، وماذا الآن ؟

الفصل ٦٨

أغلقت عينيها واعتصرتهما لنصف ثانية فقط . ما الذى يفترض بك أن تفعليه فى موقف كهذا ؟ ولماذا لم تشترى هاتفاً خلوياً ؟ إم ، ربما لأنكِ مفلسة تماماً .

عندما فتحت عينيها مرة أخرى ، كان الشخص الذى يرتدى سترة زرقاء إلى جانب نافذتها ، وعلى وجهه نظرة تهديد ، وعلى رقبته وشم تنين أحمر .

صرخت على الرغم منها ـ مجرد صيحة صغيرة ، لكنها كانت كافية له لأن يدرك مدى خوفها .

ثم تصاعد مستوى ذعرها بدرجة أعلى . اقتضى منها الأمر دقيقة لتدرك أن الصبى صاحب السترة الزرقاء كان يقول شيئاً ما . كانت يداه مرفوعتين ومنبسطتين فى إشارة دالة على أن تطمئن وتهدأ .

أنزلت زجاج النافذة . قالت : " م ـ ماذا ؟ " ، دون أن تستطيع السيطرة على ارتعاش صوتها .

سألها : " قلت لك هل ضللت طريقك ؟ تبدين هكذا ، تائهة " .

انفجرت آليسيا بالدموع : " نعم ، أنا آسفة " . كانت هذه عادة سيئة ؛ تقدم اعتذاراً عن كل شىء . " إننى فقط أبحث عن ـ " .

قال : " لأننى أعرف أنك لا تقيمين بهذا الجوار " . تحول تعبير وجهه ، وتصلب مرة أخرى . ضحك الآخرون لما قاله : " هل هذه سيارتك ؟ "

دفعها الخوف والتشوش لأن تكون مطاوعة أكثر من اللازم ، وهو ما كرهته . كل ما فكرت فى القيام به هو أن تجيب سؤاله : " إنها سيارة والدى " .

راح الصبى ذو السترة الزرقاء يفرك ذقنه كما لو أنه يفكر فى إجابتها . قال : " كثير من الناس يبحثون عن سيارة كهذه تماماً . ألا تقرئين الصحف ؟ ألا تشاهدين التلفاز ؟ " .

" أنا فقط أحاول الذهاب إلى ويستوود . من أجل اختبار أداء لفيلم تلفزيونى . خرجت من على الطريق السريع قبل أن ..... " .

انفجر ضاحكاً ، متحولاً من السيارة إلى مجموعة رفاقه ، ثم عاد مرة ثانية . كانت حركاته تلقائية وبطيئة . " إنها تحاول الذهاب إلى ويستوود لتشترك فى فيلم . فيلم يا جماعة ، اللعنة ! هذا ما توقعته تماماً . لأننى أعرف أنك غير مهتمة بأى شىء أو بأى شخص فى الجوار هنا " .

قال أحد الأولاد الآخرين : " كلا يا رجل . إنها تقوم بعمليات القتل فى أحياء الأثرياء " .

قال آخر : " لا أرى مشكلة فى هذا ، تقتل الأثرياء أو تأكلهم ، لا يهم " .

" ماذا تقولون ؟ " راحت تنظر إلى كل منهم الآن ، وهى تنشد يائسة أى نوع من الوضوح ، علامة تدلها على ما ينبغى أن تقول أو تفعل لتخرج من هذا كله . سقطت عيناها المحدقتان على اتساعهما على مرآة السيارة العاكسة . هل يمكننى أن أرجع للخلف وأخرج من هنا ؟ بسرعة جداً جداً ؟ أى أن أضغط على البنزين للحد الأقصى ؟

رفع الصبى المجاور لنافذتها سترته كاشفاً عن مسدس موضوع وراء حافة سرواله الجينز وقال : " لابد أن نقتلها الآن قبل أن تقتل ضحية جديدة " .

فكرة أن يتم قتلها قبل أن تتناول قهوتها الصباحية صدمت آليسيا كحكم بشع عليها . راحت تردد متلعثمة : " أرجوك ، أنا فقط ... أرجوك لا تؤذنى " .

كان بوسعها سماع العجز فى نبرة صوتها . بدا الأمر كما أنها تستمع إلى شخص آخر ، شخص لا حول له ولا قوة . رباه ، كان من المفترض أن تكون ممثلة .

أومأ الشخص ذو السترة الزرقاء فى بطء ، بطريقة لم يتسن لها أن تفسرها . ثم خطا مبتعداً عن السيارة ورفع يده ليسمح لها بالمرور .

قال : " الطريق السريع فى هذا الاتجاه " . تحرك الاثنان الآخران إلى الجانب كذلك .

شعرت آليسيا أنها ستصاب بالإغماء من فرط الفرحة . ابتسمت للرجل ابتسامة شاحبة . قالت من جديد : " شكراً لك . أنا آسفة " .

كانت يداها ترتجفان على عجلة القيادة ، لكنها كانت فى أمان على الأقل .

لم تكد سيارتها تتقدم بضع بوصات حتى فوجئت بصوت فرقعة مفزعة ، لقد تهشمت الواجهة الأمامية للسيارة لتصير مثل شبكة عنكبوت مكونة من مليون قطعة زجاج .

بعد هذا مباشرة ، حطمت أنبوبة معدنية ثقيلة النافذة المجاورة لمقعد السائق .

استولى الشلل على آليسيا . لم تستجب لها ذراعاها وقدماها . لم تتمكن حتى من الصراخ .

وصلت فكرة الضغط على دواسة البنزين لعقلها متأخراً جداً ـ فبعد ثانية تقريباً انفتح باب السيارة وجذبتها أيد ضخمة وقوية لتجرها جراً إلى

الشارع . هبطت آليسيا على ظهرها ، خرج الهواء مندفعاً من رئتيها فى شهقة .

سمعت شخصاً يقول : " أى نوع من الأغبياء أنت ؟ " ـ ثم شعرت عندئذ بصدمة من الألم على جانب رأسها . ثم رأت أنبوباً معدنياً يرتفع عالياً وينزل بسرعة شديدة ، وتوجه شكل غير واضح إلى منتصف جبهتها تماماً .

الفصل ٦٩

فجاة وعلى غير الانتظار تبدل كل شىء فى قضية مارى سميث . خرجت جين جاليتا من اللعبة ؛ تم استبعادها من القضية تماماً وسوف يعاد النظر فى منصبها ومسئولياتها .

حاولت أن أعضد موقفها ، ولكن فى غضون ساعات من مقتل آليسيا أصبحت جين لا علاقة لها بقضية مارى سميث . أعلن رئيس شرطة شريوسبرى ذلك المساء أنه سيشرف شخصياً على قضية قناص هوليود ، وأن المفتشة جاليتا قيد الوقف المؤقت لحين انتظار ما تسفر عنه التحقيقات فى الجريمة المؤسفة لمقتل شابة لاس فيجاس التى كانت تقود سيارة ساباربان زرقاء .

كانت جين فى حالة لا عزاء لها ، لكنها قد حصلت من هذه القضية على تجارب كاملة التنوع ، بما فى ذلك أن تكون كبش فداء . اشتكت لى .

التقينا أنا وهى لتناول الشراب حوالى الثامنة من مساء تلك الليلة . اختارت هى المكان ، قالت إنها أرادت التأكد من أن كل ما أحتاجه منها

متوفر لدىّ بشأن **التحقيقات** فى القضية . وبالطبع أرادت أيضاً أن تجد متنفساً لمشاعرها .

" أعرف أن مقتل آليسيا بيت هو خطئى أنا ، ولكن ... " .

" توقفى عن قول هذا يا جين ، لست مسئولة عما حدث لتلك المرأة . قد يكون نتيجة لقرار كان عليك اتخاذه ، لكن هذا ليس الأمر نفسه . لقد فعلت أفضل ما استطعت القيام به . وبقية الأمر له صلة بالسياسة . ما كان يجب استبعادك عن هذه القضية أصلاً " .

لم تتحدث لثوان عديدة . قالت أخيراً : " لا أدرى . أنا السبب فى مقتل تلك الفتاة المسكينة " .

سألتها : " هل لديك أية إجازات ؟ ربما عليك الاستفادة منها " .

قالت : " نعم ، سوف أغادر البلدة الآن ، قد أكون خارج القضية ، ولكن ..." .

لم تكمل جملتها ، لكنها لم تكن مضطرة لذلك . لقد كنت فى نفس مكانها قبل ذلك . الأفضل ألا يصرح المرء بأنه سيعمل على خرق القواعد . عليه فقط أن يمضى قدماً ويخرقها .

قالت : " سوف أحتاج لقدر من الحرية والخصوصية يا آلكس ، ولهذا أردت أن ألتقى بك هنا " .

قلت لها : " أتفهمك تماماً . تعلمين أين يمكنك أن تجدينى " .

انفتح ثغر جين عن نصف ابتسامة أخيراً . قالت : " إنك حقاً رجل صالح ، بالنسبة لعميل بالمباحث الفيدرالية " .

" وأنت لا بأس بك ، بالنسبة لشرطية فى مباحث لوس أنجلوس " .

ثم مدت يدها عبر الطاولة ووضعتها على يدى . ولكنها سرعان ما تراجعت عما فعلته .

قالت وابتسمت من جديد : " آسفة ، إننى أتصرف كالغبية " .

" بل أنت تتصرفين كإنسانة يا جين . وهذا مختلف ، صحيح ؟ لا يجب الاعتذار عن هذا " .

" حسناً . لن أعتذر بعد هذا . يجب أن أذهب ، قبل أن أبكى أو أقوم بأمر محرج بشكل غير مقبول كهذا ، تعرف أين تجدنى ، إذا احتجت لذلك " .

ثم نهضت جين عن المائدة . التفتت قبل أن تصل إلى الباب لتقول : " أنا لست خارج هذه القضية . سأكون على مقربة " .

الفصل ٧٠

أمر غريب .

حين عدت إلى غرفتى تلك الليلة ، وجدت بانتظارى مظروفاً بمكتب الاستقبال .

كان من جيمس ترسكوت .

فتحته فى طريقى للغرفة ، ولم أستطع التوقف عن قراءة محتوياته طول الطريق لهناك .

الموضوع : نساء ينتظرن حكم الإعدام فى كاليفورنيا

كانت هناك خمس عشرة امرأة فى هذه اللحظة ، وقد أورد ترسكوت معلومات وجيزة عن كل منهن .

المرأة الأولى كانت هى سينثيا كوفمان . فى عام ١٩٨٦ ، قامت هى وصديقها بسرقة وخنق أربعة نساء . وحكم عليها بالإعدام عام ١٩٨٩

ومازالـت بالانتظـار . والآن سـينثيا كوفمـان فـى الثانيـة والأربعـين مـن عمرها .

وفى نهاية التقرير الطويل ، قال ترسكوت إنه قد خطط لزيـارة بعـض من هؤلاء النسوة بالسجن . أنـا كنـت مـدعواً مـن جانبـه لأن أصـحبه إذا ارتأيت أن هذا قد يكون مفيداً .

بعد أن أنهيت قراءة فقرات التقرير ، رحت أتصفحه مرة أخرى .

ما خطب جيمس ترسكوت ؟ لماذا يرغب فـى أن يكـون كاتـب سـيرتى الذاتية ؟ أتمنى لو تركنى لحالى وحسب ، لكن ذلك لـن يحـدث ، ألـيس كذلك ؟

الجزء الرابع

الشاحنة الزرقاء

الفصل ٧١

أيقظنى هاتف غرفتى بالفندق فى الثانية والنصف صباحاً تماماً . راودنى حلم عن آلكس الصغير وكرستين ، لكننى نسيت أغلبه ما إن سمعت الرنين الأول .

أول فكرة منطقية خطرت لى : إنه جيمس ترسكوت .

لكنه لم يكن هو .

فى حدود الثالثة صباحاً كنت أقود السيارة عبر أحد أحياء هوليود الغربية بحثاً عن مجمع هيلسايد السكنى . وربما كنت قد عثرت عليه مع طلوع النهار ، إذا لم يكن عقلى يسابق الزمن إليه .

لقد تغيرت لعبة مارى سميث مرة أخرى ، وكنت أصارع لأفهمها . لماذا هذه الجريمة ؟ ولماذا الآن ؟ ولماذا هاتين الضحيتين ؟

عندما عثرت على المجمع السكنى بدا وكأنه قد تم بناؤه فى حقبة السبعينات . كانت الوحدات السكينة مبنية بخشب الأرز الداكن من ثلاثة طوابق مسطحة الأسقف ، بأعمدة سميكة بالأسفل ومرآب مفتوح بأسفله .

كما كان هناك أيضاً مكان لانتظار السيارات فى الشارع كما لاحظت ، مما يوفر خصوصية لأى مقتحم أو دخيل .

سمعت من ينادى عبر ساحة انتظار السيارات : " عميل كروس ! آلكس ! " .

تعرفت على صوت كارل بيج من موضع ما فى الظلام . كان الوقت بساعة يدى يشير إلى الثالثة وخمس دقائق .

لمحنى من خلال ضوء الشارع . قال : " هنا ، من هذا الاتجاه " .

سألته : " كيف علمت بالأمر ؟ " كان بيج هو من اتصل بى بغرفتى فى الفندق .

" كنت لا أزال فى المكتب " .

" سحقاً ومتى تنام إذن ؟ "

" سأنام عندما ينتهى هذا الأمر كله " .

تبعت العميل الشاب عبر سلسلة من المنعطفات يميناً ويساراً إلى مربع من البنايات قبالة حديقة عامة ومسبح . تجمع حول أحد الأبواب الأمامية عدة أشخاص من السكان ، أغلبهم كانوا فى ملابس النوم . كانوا يحنون أعناقهم ويتهامسون مع بعضهم البعض .

أشار بيج إلى وحدة سكنية بالطابق الثالث حيث أضيئت الأنوار خلف الستائر المسدلة . قال : " هناك بالأعلى . حيث توجد الجثتان " .

شققنا سبيلنا عبر الضباط المناوبين وارتقينا الدرج ـ أحد الطرق المؤدية لداخل المبنى .

قال بيج : " انظر " موجزاً جوابه على الملصقات الموضوعة على باب الشقة بينما ندخل منه . كان عليها حرفان (أ) وحرف (ب) . كانت هذه مارى سميث بالطبع . ذكرتنى تلك الملصقات على الدوام بدمية المهرج فى Poltergeist ـ بصفته وديعاً وهادئاً من الخارج لكنه منذر بالشر داخل الأحداث . دمية أطفال ولكن بوجهين .

انفتح الباب عن غرفة معيشة بحجم كبير . مكتظة بصناديق كرتونية لنقل الأغراض ، وقطع أثاث مرتبة كيفما اتفق .

فى منتصف الغرفة ، **يرقد رجل ميتاً** ، وجهه للأسفل فوق كومة من الكراتين الساقطة . وعدة عشرات من الكتب انتثرت فوق السجادة رملية اللون ، وقد تلطخ أغلبها بالدماء . ونسخ من كتب The Hours و Running With Scissors ملقاة بجانب الجثة .

أخبرنى بيج : " فيليب واشنطن . فى الخامسة والثلاثين ؛ مستثمر مصرفى فى ميريل لينش . قارئ نهم ، كما هو واضح " .

" وأنت كذلك ، على ما أظن " .

لم يكن هناك أى ترتيب لوضع الجسد هذه المرة ، ما من لوحة فنية ـ لابد أن القاتل كان فى عجلة من أمره ، مع كل هؤلاء الجيران . بهذا القرب منه ، وافتقار التغطية الفعالة .

ولم يكن فيليب واشنطن هو الهدف الوحيد . فبالقرب منه ، تمدد جسد آخر مطروحاً ووجهه لأعلى .

تلك الجريمة كانت هى الوحيدة التى لن أسامح نفسى على وقوعها ، وسيظل شبحها يطاردنى .

الجانب الأيسر للجبهة أظهر جرحاً بشعاً حيث استقرت الرصاصة ، وقد تم تمزيق الوجه بشكل متكرر فى توقيع لنمط مارى سميث . كان اللحم المحيط بالجبهة والعينين ممزقاً بعلامات السكين ، وكانت الوجنتان مزمومتين فى صرخة ، ومثقوبتين كليهما .

حدقت بالجثة ، وقد شرعت تواً فى تجميع أجزاء ما حدث ، والأحداث التى أدت إلى ذلك . اشتعل سؤالان فى رأسى : **هل كان لى يد فى التسبب بتلك الجريمة ؟ أكان ينبغى لى أن أراها تقع ؟**

لعل الضحية التى كنت أحدق بها تعرف الجواب ـ لكن آرنولد جرينر الصحافى بلوس آنجليس تايمز لن يكون قادراً على مساعدتنا مرة أخرى فى قضية مارى سميث . فهو الآن واحد من الضحايا .

الفصل ٧٢

ما إن بدأت أمشى فى مسرح الجريمة حتى التقيت بمادوكس فيلدنج ، نائب رئيس مكتب تحقيقات لوس أنجلوس المسئول عن التحريات ، كما أنه حل محل جين جاليتا فى القضية . وكان بشعره الرمادى الفضى ونفس عينى جين البنية العميقة ، بدا وكأنه يمكن أن يكون والد جين .

بدا لى كمحترف وكان تركيزه قوياً منذ البداية . كما بدا لى وكأنه شخص بغيض .

قال وهو يصافحنى : " العميل كروس . لقد سمعت الكثير حول عملك فى واشنطن العاصمة " . شىء ما فى طريقة قوله لذلك لا يبدو مثل مجاملة على وجه التحديد .

قلت : " وهذا العميل الخاص بيج . وهو يساعدنى خلال وجودى فى لوس أنجلوس " .

لم يحر فيلدنج جواباً ، فرحت أكمل كلامى .

سألته : " ماذا تستخلص من كل هذا ؟ أعلم أنك بدأت تواً مع القضية ، لكنى أفترض أنك سوف تسرع من إيقاعك لتلم بما سبق " .

لم أكن أقصد بالجزء الأخير إبداء ملاحظة مزعجة ، لكنه ظل معلقاً فى الهواء كما لو أنه كان كذلك . لوى فيلدنج جانبى فمه ونظر إلىّ من فوق نظارته ذات العدسات المزدوجة ثقيلة الإطار وقال : " ليست هذه هى قضيتى الأولى فى جرائم القتل المتسلسلة . وأنا ضليع فى هذا الأمر " .

أخذ نفساً عميقاً يوحى بأهمية الذات وأردف قائلاً : " والآن ، وبالنسبة لسؤالك ، أنا مستعد لأن أعتقد أن هذا من عمل مارى سميث وليس مجرد محاكاة . وإنى لأتساءل إذا ما كانت ترغب فى قتل آرنولد جرينر منذ اليوم الأول . أظنها رغبت فى ذلك . والأسئلة ، بالطبع ، ستكون لماذا وكيف ارتبط هذا الدافع بالأحداث السابقة " .

كان هناك منطق فى كل شىء قاله ، وخاصة أن جرينر كان هدفاً منذ البداية . التفت نحو بيج وقلت : " وماذا عنك ؟ "

كنت قد بدأت أتساءل ماذا فكر به ، إذا ما كان قد تعرف أو لم يتعرف على علامة الثقة المتنامية به .

قال بيج وهو يقلب صفحات دفتره الصغير : " لقد غير كل من جرينر وواشنطن منزلهما للتو . قبل ثلاثة أيام فى الحقيقة . وعلمت أن جرينر قد غير جميع بياناته وطرق الاتصال به واحتفظ بسريتها جميعاً ، وهكذا لابد أن مارى قد لقيت بعض المشقة على الأقل للتوصل إليه . وهذا يتفق مع وجهة نظر القنص ، أليس كذلك ؟ وحتى لو لم يكن جرينر يتلاءم مع ملامح الضحايا النموذجيين ، فقد كان جزءاً من أفق مارى سميث على طول الأحداث . لقد بدأ الأمر به ، والآن ، لا أدرى ، لعله ينتهى به . قد تمثل هذه الجريمة نوعاً من الختام بالنسبة لمارى . لعل حكايتها قد انتهت " .

قال فيلدنج دون أن ينظر حتى إلى بيج : " أشك فى هذا " .

" كل هذا الغضب الذى عُبر عنه ها هنا . إن جنون الغضب أكثر من اللازم فى قتل جرينر . أرأيت مدى الحنق ؟ لا يهم . انس ما قلته " .

سألته : " ماذا عن الشاحنة السابربان الزرقاء ؟ هل جرى أى تقدم ؟

" منذ تلك الظهيرة ، لم يصل مكتب تحقيقات لوس أنجلوس إلى أى

شيء ، وهو ما كان أمراً يبعث على الدهشة مع حالة الطوارئ التي تم اتخاذها " .

سحب فيلدنج منديلاً ، ونزع نظارته ، وبدأ ينظفها قبل أن يتحدث . قال أخيراً : " لا شيء بعد ، ولكن بما أنك قد أثرت الموضوع ، دعني أوضح أمراً ما . أنا لست المفتشة جاليتا . بل إنني رئيسها ، ولن أعمل على إطلاعك على سير الأمور لدى كل منعطف . مادام للمكتب سلطة التصرف قضائياً في هذه القضية ، فإن بوسعه الاضطلاع بها . ولكن حتى ذلك ، قم بعملك وحسب وحاول ألا تفسد تحرياتي بعد ذلك كما فعلت مع المفتشة جاليتا . أتمنى أن يكون الأمر واضحاً " .

كانت صراحة فجة من شرطي لشرطي . دون أن يطرح سؤالاً واحداً قرر أنني أضعت القضية على جين . لقد رأيت أموراً كهذه من قبل ، بل وأفهم ذلك قليلاً . لكنني لم أستطع الحرص على الهدوء الآن .

قلت له : " قدم برهاناً ولو ضئيلاً على هذا . لابد أن تعرف ما الذى تتحدث عنه قبل أن تشرع في إلقاء الاتهامات على من حولك . إنك بهذا سوف تجعل مهمتك أكثر صعوبة " .

قال باقتضاب : " لا أرى كيف سيكون هذا ممكناً عند هذه النقطة ، والآن أعتقد أننا غطينا كل شيء . تعرف كيف تجدني إذا كانت لديك أية أسئلة ، أو سحقاً . حتى لو كان لديك أى شيء يمكن له أن يعاوننا " .

" قطعاً " .

كان بوسعي أن ألكمه على قفاه بينما استدار مبتعداً . لعله سيكون الشيء الوحيد الذى يجعل لقاءنا الأول يهبط لأدنى مستوى من اللياقة والأدب .

قال بيج : " رجل عظيم ، شخصية متميزة ، ومهارات اجتماعية ، جميع أدوات العمل " .

" نعم ، لقد ملأ جوانحى بالدفء المدغدغ " .

بدلاً من أن نتمادى في هذا ، عدت للعمل . إذا كانت خطوط الاتصال مع مكتب تحقيقات لوس أنجلوس سوف تكون عسيرة فيما بعد ، فسوف

نكون بحاجة إلى تحليلاتنا الخاصة أكثر من ذى قبل . لم يطلب بيج مني أن يصحبني خلال عملي ، لكنني صحبته معي . عملنا في حركة لولبية انطلاقاً من موضع الجثث ، كما سيفعل أى شخص آخر ، ولكن أكثر بطئاً .

قمنا بتغطية المجمع السكني أولاً ، بوصة بعد بوصة ، ثم عملنا بالخارج بالردهة ، والدرج الأمامي والخلفي ، ثم الأرضية فيما حول المبنى .

كان لديّ فضول حول مدى صبر بيج ، أو إذا ما كان شخص في عمره سيكون أكثر تعجلاً فلا ينجز العمل كما يجب . لكن بيج أبلى بلاء حسناً . كان منهمكاً حقاً في القضية .

كنا بالخارج حين تلقينا كلمة من وحدة المراقبة الإلكترونية لمكتب التحريات . عند الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، ظهرت رسالة إليكترونية أخرى في العنوان البريدى لـ آرنولد جرينر بصحيفة لوس أنجلوس تايمز .

رسالة من مارى سميث وصلت ـ كتبتها للرجل الذى قتلته تواً .

الفصل ٧٣

إلى : agrinetr@latime.com

من : مارى سميث

إلى : آرنولد جرينر

خمن ماذا حدث ؟ لقد تبعتك تعود لمنزلك بشقتك الجديدة ، بعد أن تناولت العشاء مع أصدقائك فى ذلك المكان المسمى آجيا دى كوبا فى سان سيت .

ركنت السيارة أسفل المبنى وصعدت السلالم الخلفية . أتلهث من دور واحد ؟ أستطيع أن أرى أنك بعيد عن اللياقة البدنية يا آرنولد . وبعيد عن الحياة ، كما أخشى .

انتظرت بالخارج إلى أن أضيئت أنوار شقتك ، ثم تبعتك . لم أعد أشعر بالخوف ، ليس بالدرجة التى اعتدتها . كان المسدس يبدو غريباً وصعب التحكم فى يدى . والآن لا أكاد أشعر بوجوده .

لم تثبت مزلاجاً قوياً فى بابك الخلفى . ربما تكون انتويت القيام بهذا لكنك كنت أكثر انشغالاً بالانتقال ؛ أو لعلك شعرت بأنك أكثر طمأنينة

قليلاً ، فى مكانك الجديد بحيث لا ترى ذلك مهماً . إنك على صواب بشأن الجزء الأخير . الأمر لا يهم. لم يعد كذلك .

عندما دخلت المطبخ كان مظلماً ، لكن كانت الأنوار مضاءة والتلفاز مدار بغرفة المعيشة . كان هناك كذلك سكين تقطيع كبيرة على النضد بجوار الحوض ، لكنى تركته حيث هو .

كان لدىّ السكين الخاصة بى ، وهو أمر غالباً ما تعرفه من قبل بشأنى . إذا كنت قد قرأت رسائلى الأخرى .

انتظرت أطول وقت أمكننى انتظاره بالمطبخ ، أستمع إليك وإلى رفيقك فى المسكن . لم أستطع أن أسمع بالضبط ما تقولانه لبعضكما البعض . ولكن راق لى صوتكما ، بل حتى راقت لى حقيقة أننى كنت آخر شخص يسمعكما .

ثم بدأ التوتر يعود إلىّ . كان ضعيفاً وحسب عند البداية ، ولكنى كنت أعرف أنه سيزداد سوءاً إذا انتظرت وقتاً أطول .

كان بوسعى أن أغادر المجمع السكنى فى التو والحال إذا شئت ، ولن تعرف أبداً أننى كنت هناك .

وهذا هو السبيل الذى تتشابه فيه مع الآخرين . لا يبدو أن أحدكم سيعرف أننى هناك حتى يحين وقتكم . المرأة الخفية ، هذه هى أنا . هناك الكثيرات منا ، فى حقيقة الأمر .

عندما دخلت لغرفة المعيشة ، قفز كلاكما واقفاً فى الوقت نفسه . تأكدت من رؤيتكما للمسدس ، وظللتما ثابتين بلا حراك بعد ذلك . أردت أن أسألكما إذا كنتما تعلمان سبب وجودى ، ولماذا تستحقان الموت ، ولكننى كنت أخشى أننى لن أنهى الأمر إذا ما لم أقم به على الفور .

جذبت الزناد ، فسقطت مسطحاً على ظهرك . صاح رفيقك فى المسكن ؛ ثم حاول أن يركض . لم أستطع أن أتصور إلى أين يفكر فى الهرب .

أطلقت الرصاص عليه ، وأظن أنه مات على الفور . بدا أن كلاً منكما قد قضى نحبه . لم تصارع كثيراً لتحيا ، خصوصاً مع الوضع فى الاعتبار كيف كنت رجلاً كريهاً وحاد الطباع .

إلى اللقاء يا آرنولد . لقد رحلت . أو تعرف ماذا أيضاً ؟ لقد أصبحت بالفعل نسياً منسياً .

الفصل ٧٤

كان على راوى الحكاية أن يوقف تيار الجرائم الآن . كان يعلم هذا ؛ فقد كان جزءاً من الخطة ، وكانت الخطة محكمة . ومع ذلك ، فيا للأسف والخزى . لقد بدأ لتوه يبرع فى الأمر ، وهو لم يبرع فى أى شىء لفترة طويلة .

وعلى أية حال ، فالأمر يستحق التهانى . فلا يتوقف الحديث عنه على كل محطات التلفاز ، والصحف ، بالطبع . خصوصاً صحفية لوس أنجلوس تايمز ، والتى جعلت من الوغد آرنولد جرينر قديساً وشهيداً . لقد تعرف جميع الناس على العمل الفنى الأصيل لراوى الحكاية ـ لكنها فقط كانت أفضل كثيراً مما يعلمون .

وأراد حقاً أن يحتفل ، ولكن مازال لا يوجد شخص بمقدوره إطلاعه على الأمر . لقد حاول القيام بهذا فى فانكوفر وانظروا ماذا حدث . لقد قتل صديقته ، حسناً ، بل مجرد واحدة من معارفه ، إحدى علاقاته القديمة غير ذات المعنى .

فكيف سيحتفل إذن ؟ لقد مات آرنولد جرينر ، وكان هذا يجعله يضحك أحياناً بصخب . تراكمت المفارقات الآن ، بما فى ذلك المفارقات الدقيقة ، كأن يتلقى جرينر رسائله ، ثم يكون رسوله إلى الشرطة ، ثم يقتل هو نفسه . على عكس ما كتبه فى الرسالة الأخيرة ، ففى الحياة الحقيقية توسل إليه الرعديد الصغير من أجل حياته عندما رأى من كان هو ، عندما فهم الأمر أخيراً هو ورفيقه . لقد استغرق الأمر ما يقرب من ساعة ، ولكم أحب كل دقيقة فى هذه الميلودراما .

ماذا سيفعل الآن إذن ؟

لقد أراد أن يحتفل ، لكن لم يكن هناك حقاً أى شخص يمكنه أن يتحدث إليه حول الأمر . يا للحسرة ، ليس لديه أى شخص .

ثم أدرك بالضبط ما أراد القيام به ، وكان بسيطاً للغاية . كان فى وستوود على أية حال ، وهكذا فقد ركن سيارته وسار نحو دار عرض تاكى برون الرائعة ، حيث كان يعرض فيلم Collateral . لتوم كروز .

أراد أن يذهب لدور السينما .

أراد أن يجلس بين أهله ويشاهد توم كروز ، وهو يتظاهر بأنه قاتل سيئ كبير لا يملك ذرة ضمير أو ندم .

أووه ، كم تخيفنى يا توم .

الفصل ٧٥

"**السيد ترسكوت اتصل** بك . قال إنه يود عمل مقابلة . قال إن الأمر مهم . وأنه سيأتى إلى المنزل إذا شئت . ويتساءل إذا ما كنت تلقيت ملاحظاته بشأن نساء ينتظرن حكم الإعدام " .

قطبت جبينى وهززت رأسى : " دع عنك ترسكوت . أحدث أى شىء آخر فى غيابى ؟ "

سألتنى الجدة بهدوء : " هل أخبرك دايمون أنه انفصل عن صديقته ؟ هل كنت تعلم أصلاً أن له صديقة ؟ "

كنا جالسين فى المطبخ فى تلك الظهيرة من يوم الأحد خلال أول أيام عودتى . تطلعت نحو غرفة المعيشة لأتأكد أننا مازلنا وحدنا .

سألت " هل هى الفتاة التى يتحدث إليها كثيراً على الهاتف ؟ "

قالت : " حسناً ، كان هذا فيما قبل . وعلى كل حال فإنه مازال أصغر من أن يخوض غمار شىء كهذا " . غمغمت قائلة : " يا ربى ، من شابه أباه فما ظلم " ثم حولت انتباهها لقدر الفلفل الحار على الموقد .

مضت أفكارى إلى الفلفل الحار نفسه ، وحقيقة أنها اضطرت لاستخدام لحم الديك الرومى بدلاً من لحم البقر كما اعتادت . لعل الطبيبة كايلا كولز قامت بحيلة سحرية من نوع ما لتجعل الجدة تقوم بشىء جديد للاهتمام بصحتها . أحسنت كايلا .

لم أستطع أن أنحى الموضوع تماماً فسألتها : " متى أخبرك دايمون أن له صديقة ؟ " . كنت أكثر فضولاً بشأن هذا بحيث ترددت فى إظهار كم صرت بعيداً عن ابنى الأكبر .

قالت الجدة : " إنه لم يخبرنى ؛ لقد ظهر الأمر من تلقاء نفسه . ليس هذا شيئاً يتحدث عنه المراهقون حديثاً مباشراً . أتت كورنيليا إلى المنزل مرتين للقيام بالفروض المنزلية . إنها لطيفة جداً . والدها ووالدتها يعملان بالمحاماة ، لكنى لم أحسب هذا ضدها " . ضحكت لمزحتها الصغيرة : " حسناً ، ربما تحاملت قليلاً ضدها لهذا " .

كرونيليا ؟ الجدة هى من تعرف ، والأب خارج الموضوع . كل نواياى الحسنة والوعود التى قطعتها على نفسى لأن أقوم بالأمور بصورة مختلفة ابتلعتها الأحداث الدائمة ـ دائماً هى نفسها ، يبدو أن الأمر يعود دائماً للعمل .

لقد فوتت أول انفصال فى علاقة عاطفية لدايمون ـ لا يمكن استعادة هذا الأمر أو تعويضه ـ كورنيليا ، لم نتعرف عليك تقريباً .

كان من الخير العودة للديار على أية حال . سرعان ما عبق المطبخ بروائح طبخ الجدة ، أسرع فأسرع ، بما أنه تم استقبال عودتى بحفل للأصدقاء والأسرة . فإلى جانب الفلفل الحار ، هناك خبز الذرة الشهير الذى تصنعه الجدة ، وصنفان من اللحوم بالثوم والخضراوات ، وعدة أطباق من البودنج وخبز الكارميل وهو بمثابة مكافأة نادرة للجدة وكاستعراض لمهارتها فى فن الطهى . واضح أن د. كولز لم تتدخل بشكل كامل فى هذا الجزء المتساهل .

حاولت أن أقدم يد العون دون أن أعيق سير العمل ، فى حين كانت الجدة تتفقد ساعة يدها وتتنقل فى المطبخ من هنا إلى هناك إلا إذا شعرت أننى أستحق احتفالاً . فالأمر لا يقتصر على كونى خارج المنافسة فى سباق الأب المثالى ، بل إن تذكرة عودتى إلى لوس أنجلوس قد حجزت بالفعل .

الفصل ٧٦

" **انظروا من هنا** مع الأسرة ! انظر إلى هذا . أين الكاميرا ؟ "

حضر سامبسون وبيلى مبكراً مع طفلتهما جاكاتا ذات الثلاثة شهور ، والتى لم أرها منذ كانت مولودة . قام جون ، بنظرة مشرقة ، برفع الطفلة من على صدر بيلى ووضعها بين ذراعى . ياله من مشهد ـ سامبسون مع طفلته الوليدة . الأب الدب ، هكذا فكرت . والأم الدبة والطفلة الدبة .

قلت : " ياله من جمال نادر " ـ وكانت هكذا فعلاً ـ ببشرتها بلون من الكاكاو وخصلات شعرها الناعمة الصغيرة السوداء التى تغطى رأسها .

" لقد أخذت أفضل ما لدى كل منكما . يالها من دمية " .

اقتربت جانى وتسللت ما بيننا لتحظى بنظرة جيدة إلى جاكاتا . كانت فى العمر الذى تفكر فيه أنه قد يكون لديها أطفال ذات يوم ، وكانت قد بدأت تتبنى وجهة النظر .

قالت وقد تلون صوتها بالإعجاب : " إنها صغيرة جداً جداً " .

قال سامبسون : " ليس أصغر من اللازم . إنها مكتملة بنسبة مائة فى المائة وزناً وطولاً . تمضى على خطى والدها . سنكون فى نفس حجم أمها الآن عندما تبلغ الخامسة " .

انحنت الجدة وقالت : " لنتمنى ألا يكون لها يداك وقدماك هذه المسكينة " ثم غمزت بيلى ، التى كانت تعتبرها بالفعل جزءاً من أسرتنا .

استولى علىّ شعور قوى بألفة المنزل فى هذه اللحظة تماماً . كانت إحدى اللحظات فائقة الروعة التى تقدم للمرء بعض الدهشة وتذكره فجأة بالأمور الطيبة . مهما جرى ، فثمة هذه الألفة ، هنا حيث أحتاج لأن أكون ـ وحيث أنتمى .

فلنلتقط صورة ذهنية لهذا ـ لنتذكر هذا الشعور حين أحتاجه فى المرة التالية .

الشعور بالحميمية لا يدوم طويلاً ، مع هذا . فسرعان ما بدأ المنزل يمتلىء بضيوف آخرين . بعض زملائى القدامى من مكتب شرطة واشنطن العاصمة . كانوا هم من ظهروا بعد ذلك ، جيروه وكلوديت ثورمان جاءا مع راكيم باويل وصديقته الجديدة التى لم أحفظ سمها . قال لى سامبسون خلسة : " أمهل نفسك أسبوعاً ، إذا استمر فى العلاقة ، ابدأ فى الاعتناء بالأمر " .

كان أول من جاء من العائلة العمة تيا وابن عمى كارتر ثم تبعهما عدد من الوجوه العائلية الودودة ، بعض هذه الوجوه كانت تحمل تشابهاً غامضاً مع وجهى .

آخر من وصلت كانت د . كايلا كولز ، والتى ذهبت بنفسى لتحيتها عند الباب .

" أعتقد أنك أنت آن سوليفان ؟ "

" عذراً ؟ ، عرفتها ، إنها صانعة المعجزات " .

" المعجزة هى أن تقنعى الجدة باستخدام لحم الديك الرومى فى طبق الفلفل الحار . أظن أن هذا من عملك . أحسنت " .

قالت : " فى خدمتك " وانحنت خفيفاً كأميرة فى دعابة ، بثوبها التركواز الذى بدا مريحاً جداً رغم التصاقه بجسدها . لم تعتد كايلا كثيراً أن تستعرض نفسها ، ولم أستطع منع نفسى من ملاحظة الأمر . لقد بدت مختلفة تماماً عما تبدو عليه فى ملابس عملها المعتادة .

وبدلاً من حقيبتها الطبية ، كانت تحمل قدراً فخارياً كبيراً ومغطى .

قلت : " والآن قد تكون هذه حيلتك الأكبر حتى الآن . إحضار طعام طبخه آخرون إلى مطبخ الجدة ؟ أود أن أرى هذا " .

" لم أحضر الطعام فحسب ؛ والوصفة كذلك " .

أدارت القدر لتظهر بطاقة ورق مقوى بيضاء ملصقة على الجانب .

" بقول مخبوزة على طريقة صحية للقلب لامرأة ماهرة جداً باستخدام الدهون الحيوانية " .

قلت بإيماءة : " حسناً ، تفضلى . وتحملى المخاطرة " .

كانت أصوات برانفورد مارسيليا كوارتيتر وموسيقى روما بيردن ريفيلد تقودنا فى أنحاء المنزل ، حيث بدأ الحفل يصخب ويكبر وبدا الجميع مسرورين لرؤية د. كايلا ، فقد صادف أن تكون قديسة الحى بالنسبة لهم . لم أستطع منع نفسى من الشعور بقليل من الدوار . ففى نهاية الأسبوع سأكون على متن طائرة أخرى ، ولكن فى هذه اللحظة ، كانت الأمور على أفضل ما يكون .

الفصل ٧٧

عثرت على سامبسون وبيلى بينما كان على وشك تناول مشروبه المثلج بالمطبخ ، فأخذته من بين يديه . فقد كان هناك شىء أردت التحدث بشأنه مع الرجل الضخم قبل أن يبدأ الاحتفال .

قلت له : " اتبعنى . إننى بحاجة للتحدث إليك ـ قبل أن يبدأ الانتقال " .

قالت بيلى : " أوه ، يا للغموض " وضحكت من كلينا ، كما تفعل عادة . تعمل بيلى ممرضة بغرفة الطوارئ ، وقد شهدت جميع أحداثنا المأساوية .

قلت لـ جون : " هيا للدور العلوى " .

قال جون : " لقد تناولت شراباً بالفعل . هذا رقم اثنين " .

" هيا تعال على أية حال . سنعود خلال دقيقة يا بيلى " .

من مكتبى بالعلية ، كان بوسعى سماع الموسيقى خلال السقف . تعرفت على صوت ضحك د. كايلا يذوب فى طنين أصوات الحفلة الذى لا يكاد يسمع .

استند **سامبسون إلى الحائط قائلاً** : " لقد طلبت رؤيتى فى مكتبك يا سيدى ؟ تحت أمرك ! " .

كان يرتدى قميصاً رياضياً خاصاً بفريق كرة السلة الخاص بالرجال بسانت آنتوتى . كتب عليه " **إذ لم تتحرك فلن تتأذى** " .

قلت : " لم أكن راغباً بإفساد الحفلة بشئون العمل " .

ابتسم سامبسون : " ولكنك لم تستطع منع نفسك من القيام بذلك ، أليس كذلك ؟ "

" لن أمكث طويلاً بالمنزل . لابد أن أعود إلى لوس أنجلوس ، ولا أرغب فى الانتظار أكثر من ذلك حول هذا الأمر " .

قال : " حسناً ، هذه بداية مشوقة . ما الخطب ؟ لنستمع إليه " .

" بصورة أساسية ؟ يرغب المدير بيرنز وأنا أن تفكر تفكيراً جاداً فى المجىء لعمل بالمكتب . نرغب فى أن تنتقل يا جون . هل كنت تتوقع هذا ؟ "

ضحك : " بالطبع ، بشكل أو بآخر . لقد لمحت لى بما يكفى . هل يتطلع بيرنز لملء المكتب بذوى البشرة السمراء يا صديقى ؟ " .

" كلا . وأنا " .

كان ما يريده بيرنز للمكتب هو المزيد من العملاء الذين يعرفون قيمة مجال العمل ، وأشخاص موثوق بهم فى فريق عمله . وإذا كان بوسعى ترشيح شخص واحد لأخبرته أن جون سامبسون سيكون خيارى الأول . كان هذا جيداً بما يكفى لـ بيرنز .

قلت : " لقد حصلت بالفعل على تصريح بالتحرك من مدير المكتب ، ويرغب رون بيرنز فى الأمور نفسها التى أرغبها . أو ربما أرغب أنا فيما يرغب هو فيه " .

سأل سامبسون : " تقصد أنه يرغب بى ؟ "

" حسناً ، لم يمكننا تعيين جيروم أو راكيم ، أو حارس المرور عند مدرسة سوجورنر تروث . ولكن أجل ، سوف يستقر قراره عليك " .

ضحك سامبسون عالياً ، أحد أحب الأصوات إلى قلبى . قال : " كم اشتقت إليك أنا أيضاً . وصدق أو لا تصدق . فإن لدىّ جواباً . إننى أريدك أن تعود إلى مكتب شرطة واشنطن . ما رأيك فى هذا كتحول لمسار الأمور ؟ أنت على حق فى أمر واحد - لابد أن نعود معاً . بطريقة أو بأخرى . وأحسب أننى سأعطى صوتى للطريقة الأخرى " .

لم أستطع كبح جماح ضحكى المرتفع ، أنا الآخر ، ثم رحت أنا وجون نتصافح بطريقتنا الخاصة التى اعتدناها طوال عمرنا ، متفقين على أننا بحاجة للعمل معاً من جديد ، بطريقة أو بأخرى .

أخبرت سامبسون أننى سأفكر بعرضه المفاجئ ، وأخبرنى أنه سيفكر بعرضى كذلك . ثم فتح سامبسون باب المكتب فغمرتنا الموسيقى من الدور السفلى .

الفصل ٧٨

" **هل مسموح لنا** بتناول شراب الآن ؟ " قال سامبسون ذلك وأكمل : " إنها حفلة يا صاحبي .. أتتذكر الحفلات ؟ "

قلت : " ليس تماماً " .

بعد هذا بدقيقتين ، كنت أمسك شرابى المثلج بيد وبالأخرى أمسك ضلعاً مغموساً بصلصة الباربكيو منزلية الصنع . وجدت جانى ودايمون بغرفة الطعام يلعبان الورق مع ابنة عمهم ميشيل وكايلا كولز . ولأكون أميناً فقد كانت كايلا كولز هى من قادتنى إلى هناك .

سألت الصغيرين : " أتتجاهلان ضيوفنا ؟ "

قالت جانى بلا تعبير محدد وهى تومئ نحو كايلا وميشيل : " لم نتجاهل هذين الاثنين " .

قالت كايلا : " كلا ، إنهما يصران على هزيمتى هزيمة ساحقة بحيث لا يمكنهما تجاهل أمرى " ، مما جعل جينى ودايمون يضحكان ضحكات تآمرية . هذا يحدث من جديد . امرأة مع صغارى ، يسودهم الوفاق . ما شأن هذا ؟ ما الذى فاتنى ؟

نظرت نحو د. كايلا نظرة طويلة وهى ترتب أوراق لعبها ثم تلعب . كانت رابطة الجأش بصورة لا تصدق ، وبهية الطلعة دون أن تتعمد ذلك . ولهذا الأمر أعجبت بها . لقد كنت معجباً بكايلا منذ زمن بعيد جداً جداً ، حتى منذ أن كنا صغاراً نكبر معاً فى ساوث إيست . وبناءً عليه ؟

قاطعت كايلا أحلام يقظتى العذبة ، أو ما يفترض أن تكون على أية حال ، وسألت : " هل تنظر إلى أوراقى ؟ "

تدخلت جانى قائلة : " ليس إلى أوراقك ، بل ينظر إليك يا دكتورة كايلا . إنه مخادع هكذا " .

قلت : " لا بأس ، يكفى هذا المزاح ها هنا . سأخرج تماماً . لابد أن أذهب لمساعدة الجدة " . أبعدت عينى من أجل كايلا ، ثم ابتعدت مسرعاً .

قالت كايلا : " لا تذهب " . لكننى كنت عبرت الردهة بالفعل .

وفيما أتوجه للمطبخ ، كان هناك أمر واحد يدور فى عقلى ، على الرغم من ذلك . كيف يمكننى أن أنفرد بكايلا فى الحفلة ؟ وأين سآخذها فى أول موعد بيننا ؟

الفصل ٧٩

اصطحبت كايلا إلى مطعم كنكيد عن عمد . كان واحداً من الأماكن المفضلة لدىّ أنا وكرستين ، ولكن قبل ذلك ، كان أفضل الأماكن لدىّ وحدى ، وكنت أستعيد ذلك الآن . جاءت كايلا بعد وصولى بأقل من خمس دقائق ، وأعجبنى ذلك . كانت منضبطة فى موعدها ، دون ألاعيب . ارتدت سترة من الكشمير الأسود وسروالاً أسود ، كانت رائعة مرة أخرى . على طريقتها الخاصة .

قالت وهى تقترب منى على النضد : " آسفة يا آلكس . لقد أتيت فى الموعد تماماً . أعرف أنه شىء ممل جداً وينزع كل الغموض عن الأمور ، لكننى لم أستطع منع نفسى وحسب . المرة القادمة ، وستكون هناك مرة قادمة ، سأجبر نفسى أن أجىء متأخرة كما هى الموضة . على الأقل عشر دقائق ، وربما خمس عشرة " .

قلت : " عفونا عنك " ، وفجأة سادنى استرخاء لا يصدق . " لقد أذبت الجليد لتوك ، أليس كذلك ؟ "

غمزت كايلا بعينها : " بلى ، أذبته ، أليس كذلك ؟ . بمنتهى البساطة . يا إلهى ، أنا بارعة أليس كذلك ؟ مخادعة ، مثلك تماماً " .

قلت : " تعرفين المبدأ الشائع بأن الرجال لا يميلون للنساء اللائى يهددهن لأنهن أذكى من اللازم . أنت ذكية بصورة مخيفة " .

" لكنك الاستثناء الذى يثبت القاعدة ، أليس كذلك ؟ أنت تميل للنساء الذكيات كأفضل ما يرام . وعلى أية حال ، لستَ بهذا الذكاء . سأخبرك السبب ، إنها نظريتى الخاصة على كل حال " .

" أخبرينى مباشرة " ثم طلبت شراباً من عامل المطعم .

واصلت كايلا : " إننى أرى كل هؤلاء الأشخاص فى المستشفى ممن يفترض أنهم فائقو الذكاء ـ أطباء وباحثين ـ حياتهم الشخصية ما هى إلا كوارث . وعلى هذا فكيف لهم أن يكونوا أذكياء حقاً ؟ ماذا ، هل هم أذكياء لأنهم يحفظون عن ظهر قلب الحقائق وأفكار الأشخاص الآخرين ؟ هل لأنهم يعرفون كل أغنية روك آند رول تم تسجيلها ؟ أو كل جملة حوار من كل حلقة من حلقات مسلسل Bewitched ؟ " .

أدرت عينى متعجباً : " أتعرفين جمل حوار من مسلسل Bewitched؟ أتعرفين أشخاصاً يعرفون جمل الحوار فى Bewitched ؟ " .

" رباه ، كلا . ربما من مسلسل ER و Scrubs " .

قلت لها :" أعرف كثيراً من أغنيات الروك آند رول . وليس لى حياة عظيمة الشأن كذلك " .

ضحكت كايلا : " أختلف معك . لقد التقيت بأبنائك يا آلكس " .

" هل التقيت بـ كرستين جونسون ؟ " .

" توقف عن هذا . وعلى أى حال فقد التقيت بها . إنها امرأة تثير الإعجاب . تماماً ولكنها مشوشة قليلاً حالياً " .

" لا بأس ، لن أجادلك . رغم أنى يمكننى مقاضاة نفسى بلا صعوبة " .

تحدثنا على هذا المنوال ، ضحكنا كثيراً ، تناولنا بعض الشراب وطعاماً جيداً . ومما يثير الاهتمام ، أننا بقينا بعيداً عن التحدث حول

الجدة والصغار ، ربما لأن ذلك لن يكون بهذا القدر من البساطة . وكالمعتاد استمتعت بروح الدعابة عند كايلا ، وأكثر من كل شىء آخر بثقتها بذاتها . كانت على طبيعتها ، وليست محفزة . راق لى الخروج فى موعد معها .

أنهينا شراب ما بعد العشاء حين قالت : " كان هذا لطيفاً يا آلكس . لطيفاً جداً " .

قلت لها : " هل أنت مندهشة لذلك ؟ " .

أجابت : " كلا ، ليس تماماً . حسناً ، ربما قليلاً جداً ، وربما مندهشة كثيراً " .

" أتودين إخبارى عن السبب ؟ " .

" هممم . أظن لأننى كنت أعرف أنك لا تعلم أى شىء بخصوصى ، على الرغم من أنك تظن أنك تعلم " .

قلت : " عندما أراك فأنت غالباً تعملين . تكونين دكتورة كايلا من مركز الخدمات الصحية بالحى " .

قالت ضاحكة : " خذ قرصين آسبرين ، ولا تحاول الاتصال بى من المنزل . أحسب أن الصعب فى الأمر أن كثيرين من الناس يضعون ثقتهم فىَّ ، ولكن فى أغلب الأوقات ، لا يمكن لى أن أضع ثقتى فى أحد منهم بالمقابل " .

ابتسمت : " هل هناك أى شىء تودين إخبارى به ؟ " .

هزت كايلا رأسها : " أظن أننى أخبرتك به من قبل . كان هذا جيداً . لقد استمتعت بالليلة أكثر مما فكرت أننى سأستمتع " .

" حسناً . وستكون هناك مرة ثانية . هذا ما قلته " .

غمزت لى أكثر الغمزات لطفاً وقالت : " ألم أكن على حق ؟ " .

" لقد كنت على حق . إذا رأيتنى مرة أخرى " .

" آه ، سأراك يا آلكس ، بالطبع سأراك . أريد أن أرى كيف سيتطور الأمر " .

الفصل ٨٠

ما بعد ظهر اليوم التالى ، وحين عدت إلى الساحل الغربى ، كان مكتب تحقيقات لوس أنجلوس يطن بآخر تطورات قضية مارى سميث ، وكذلك يتحدثون بشأنى ، وهى لم تكن أنباء جيدة ، إذا لطفنا الأمر .

كما هو واضح ، دارت شائعة حول أننى ومادوكس فيلدنج لم نتوافق معاً بعد أن حل محل جين جاليتا . كانت العلاقات بمكتب لوس أنجلوس دائماً هشة ، وأكثر فعالية فى بعض القضايا من الأخرى ، وكانت هذه فى المنحنى الهابط بلا شك .

ومما استجمعته ، كانت النميمة والمجادلة العامة بشأن ما إذا كان العميل كروس من واشنطن العاصمة سيخوض الأمر دون أن يخسر شيئاً ، ومن ثم يقوم بإفساد الأمور بالنسبة لمكتب لوس أنجلوس دون أن يهمه أى شىء .

لم أدع الأمر يضايقنى لأكثر من خمس دقائق ؛ ثم واصلت التحرك .

مارى سميث ، والمعروفة أيضاً بقناص هوليود ، والمعروفة أيضاً بمارى القذرة ، كانت تتحول إلى واحدة من أسرع القضايا تحركاً وتطوراً

وانشغالاً ، من بين كل قضايا القتل التى يمكن تذكرها . حتى أن المحققين القدامى كانوا يتحدثون بشأنها . وخصوصاً الآن بعد أن صار هناك خلاف صغير امتزج بلحظات الفوضى العارمة .

فى الصباح الذى وصلت فيه إلى البلدة كانت قد وصلت رسالة إلكترونية ، لم أرها بعد ، لكن يقال إنها كانت مختلفة عن سابقاتها ، وكان مكتب لوس أنجلوس يحاول الرد عليها . لقد أرسلت مارى سميث تحذيراً هذه المرة ، وقد أخذت رسالتها بجدية بالغة . اجتمعنا بقاعة الاجتماعات بالطابق الرابع عشر ، والتى أطلق عليها منذ عدة أسابيع المركز العصبى لمكتب مارى سميث . كانت الجدران مغطاة بالصور الفوتوغرافية ، وقصاصات الصحف ، وتقارير المعمل . وضعت مجموعة من الهواتف المؤقتة على طول إحدى جوانب مائدة حمراء ضخمة تهيمن على الغرفة طولاً وعرضاً .

كان سيدير الاجتماع فريد فان آلسبرج ، لكنه جاء بعد وصول بقيتنا إلى هناك بعشر دقائق . ولسبب ما جعلنى وصوله المتأخر أفكر فى كايلا كولز وكم تحب الحرص على مواعيدها على الدوام . إنها تؤمن أن الأشخاص الذين يعتادون التأخر لا يحترمون الآخرين ـ أو على الأقل لا يحترمون الوقت .

كان لفريد فان آلسبرج اسم شهرة قديم ـ إشارة التوقف . ويعود تاريخ هذا اللقب إلى عملية إغلاق ممر تهريب الهيروين ما بين الولايات المتحدة وأمريكا الوسطى فى أواخر الثمانينات . حسب علمى ، كان قد قام بقليل من العمل منذ ذلك الحين فيما عدا تسلق السلم البيروقراطى للوظيفة . وأنا أعمل معه الآن ، فأنا ليس لدىّ له احترام أكثر مما تطلبه المهمة ، تبعاً لدرجته وأهميته .

أظن أنه يعلم هذا ، لذا أخذنى الأمر على حين غرة عندما بدأ الاجتماع بالطريقة التى بدأه بها .

بدأ قائلاً : " أريد فقط أن أقول عدة أمور قبل أن نشرع فى هذا . كما تعلمون جميعكم الآن ، نكاد نعكف على ما ينشغل به مكتب تحقيقات

لوس أنجلوس . يبدو أن مادوكس فيلدنج ينوى المضى فى الأمر وحده إن استطاع ، وهو يتباهى بأنه صداع كبير فى الرأس . أليس هذا صحيحاً يا آلكس ؟ "

دارت بالقاعة ضحكات متوقعة . والتفتت نحوى الرؤوس .

قلت : " أوه ، لا تعليق " ، لتنطلق المزيد من الضحكات .

رفع فان آلسبرنج صوته ليهدأ الجميع : " بقدر ما يخصنى لابد أن نحافظ على خطوط الاتصال مفتوحة بيننا ، وهذا يعنى إفصاحاً كاملاً وأولاً بأول لمكتب لوس أنجلوس لأى شىء نعلمه . وإذا سمعت عن أشخاص يقومون بأى إخفاء أو حجب هين فإنهم سيجدون أنفسهم فى قضيتهم التالية عائدين إلى جمع بصمات الأصابع . يستطيع فيلدنج إدارة أموره كما يرى . لكننى لن أسمح لهذا أن يقلل من مستوى إتقاننا لعملنا . فهل هذا واضح للجميع ؟ "

انتابتنى دهشة سارة لاستجابة فان آلسبرج للموقف . من الواضح أن له حلفاءه الخاصين به ، حتى لو أن معنى هذا دعم موقفى .

تحولنا عندئذ لرسالة مارى سميث الجديدة . استخدم نظام العرض الخاص بغرفة الاجتماعات ليضع الرسالة على الشاشة الكبيرة بحيث يمكن لنا جميعاً رؤيتها .

وبينما كنت أقرأها ، صُدمت ولكن ليس مما كتبته ، ولكن مما بدا أنها تقوله لنا . كان الشىء نفسه الذى لاحظته من قبل ، فى رسائلها الأولى ، ولكنه الآن أوضح كثيراً ، مثل دقات طبل ثابتة يعلو صوتها مع الوقت .

تعالوا وأمسكوا بى ، هكذا كانت تقول لنا .

ها أنذا . هيا تعالوا وأمسكوا بى . ما الذى يؤخركم هكذا ؟ ولقد أرسلت الرسالة إلى آرنولد جرينر الراحل ، مسئول الرسائل المتوفى ، لنكون أكثر دقة .

الفصل ٨١

إلى : agriner@Latimes.com

من : مارى سميث

إلى : من ستكون التالية :

لقد التقينا من قبل ، أنا وأنت ، فما رأيك ؟

هل تتذكرين ؟ أنا أتذكر .

لقد وقعت لى الأتوجراف ذلك اليوم ، وكنت ممتلئة للغاية بحماستك وإشراقك ، وأساليبك الساحرة . كنت تبدين متواضعة جداً ، وقريبة من الواقع جداً . لا أريد أن أقول أين التقينا ، لكنك لن تتذكرى على أية حال . قلت لك كم تعجبنى أفلامك ، وأنت ابتسمت كما لو أننى لم أقل أى شىء على الإطلاق . مما يذكرنى إلى أى مدى لا وجود لى بالنسبة لكم .

لم تكن تلك المرة الأولى التى تنظرين فيها إلى وكأننى هباء . لم ترينى فى روضة الأطفال بالأمس ، أو فى صالة الألعاب اليوم . كما أننى لم أتوقع منك حقاً أن تفعلى هذا .

يبدو الأمر وكأننى النقيض لك من كل وجه . هل هذا خيط للحل الذى أشم رائحته ؟

يعرف الجميع من أنت ، ولا أحد يعرف من أنا . لست مشهورة أو نجمة سينمائية جميلة أو أى شىء يدانيك . ليس لدى بشرة لا تشوبها شائبة أو ابتسامة ترويجية معروفة . وفقاً لكل التقارير ، فإنك أم أفضل من باتسى بينيت ، وممثلة أفضل من آنتونيا شيفمان ، وزوجة أفضل من مارتى لوينشتاين ، وبالطبع أكثر شهرة من سوزى كارتوليس الصاعدة الواعدة .

أنت بالضبط من يقصدونها عندما يقولون " لديها كل شىء " . لديك كل شىء وأراهن على أنك تدركين هذا ، حتى ولو كنت تنسينه من وقت إلى آخر .

هناك شىء واحد فقط لدىّ وليس لديك . إننى أعرف شيئاً ما . أعرف أنه بحلول منتصف النهار . وبعد يومين من الآن ، ستكونين فى عداد الموتى . سوف تخترق رصاصة مخك وسيكون وجهك لا يمكن لأحد التعرف عليه ، ولا حتى أطفالك الرائعين ، ولا حتى الجماهير العاشقة التى تحتشد أمام أفلامك .

لكننى لم أخبرك شيئاً من هذا حينما التقينا .

ابتسمت وحسب ، كدت أنحنى احتراماً ، وشكرتك لأنك موجودة . سرت مبتعدة وأنا أعرف أن المرة التالية التى ستنظرين فيها إلىّ ، سيكون ذلك بصورة مختلفة .

فى المرة التالية ، لن أكون غير مرئية . أعدك بهذا كثيراً .

وأنا أفى بوعودى ، ولتسألى فقط آرنولد جرينر .

الفصل ٨٢

سأل فان آلسبرج الحضور بالقاعة : " ماذا نعتقد بشأن هذا ؟ "

ثم حدق فىّ مباشرة : " لقد كان لديك المزيد من القضايا مثل هذه ، أكثر من أى شخص آخر هنا . ماذا يجرى ؟ ما الذى ستفعله الآن ؟ "

تحركت للأمام وقلت : " إنها تريدنا أن نمسك بها " .

شعرت أنه علىّ النهوض لأوجه كلامى للحاضرين : " فى أغلب الأحوال ، هذا الشخص يشعر بعزلة تامة . رد الفعل على التخلص من الأشخاص هو التركيز على المفارقات . هى ، أو هو ، أو أياً كان ، يدمر ما لا يستطيع امتلاكه . ومع الوقت يزداد شعورها سوءاً . فهناك جزء من مارى قد يعرف هذا ، ولا يريد القيام بمزيد من هذا الأمر بعد ذلك ، لكنها تفتقر إلى ضبط الذات لإيقاف نفسها بنفسها " .

تساءل فريد : " ورسالتها الأخيرة ؟ "

" علامة أخرى على أن القاتلة فى حالة صراع . ربما يصدق عقلها الواعى أنه إغاظة واستفزاز للسلطات ، فيما يرسم عقلها الباطن خريطة لنا

لنتتبعها . هذا هو الشيء الوحيد الذى يمكننى التوصل إليه ويفسر ما جرى ، ولست متأكداً حتى إذا ما كان يفسر أى شيء " .

تساءل دافيد فوجيشيرو : " وماذا عن الاحتمال المقابل ؟ أنها تحاول تضليلنا عمداً ، وأن تلقى بنا فى هذه الخرافة " .

قلت : " أنت على حق . إنه احتمال حقيقى . وهو ما يتركنا مع كل نتيجة متوقعة عدا ما جاء فى الرسالة . أعتقد أن لدينا التزاماً بأن نتعامل مع الرسالة التى أمامنا أولاً ، وأن نتدبر البدائل ثانياً . لكن دافيد قد أقر تواً الاحتمال المنطقى الآخر . بالطبع ، إننا لا نعلم إذا ما كان تفكيرها منطقياً " .

كان هناك عدة عملاء ، بمن فيهم رفيقى بيج ، يسجلون ملاحظات بينما أتحدث . كنت مدركاً لوضعى هنا ، ولو لم أكن مستريحاً معه كل الراحة .

تساءل أحد العملاء من الخلف : " هل نعلم ماذا يقوم به مكتب لوس أنجلوس مع هذا ؟ أتحدث بشأن التهديد الأخير " . كان أحد الوجوه العديدة التى لم أرها أبداً من قبل . تطلعت نحو فان آلسبرج للإجابة .

" إن أمامهم مهمة داخلية كبيرة جداً وقد بدأوها بالفعل ، هذا كل ما نعلمه على التأكيد . إنهم يعملون على قاعدة بيانات للأهداف المحتملة . ولكن مع الأخذ بالاعتبار كل اسم ممثلة لامعة فى هذه البلدة ، حتى ولو كانت ذات أسرة ، فسيكون هناك قائمة طويلة بين أيدينا .

علاوة على أن مكتب لوس أنجلوس سيكون خجلاً قليلاً بشأن عامل الذعر . فبعيداً عن التفتيشات المتزايدة فإن عامل الإدراك يرتفع ، فليس هناك الكثير الذى يمكن لهم عمله من أجل هاتيك النسوة وأسرهن ـ عدا مواصلة السعى وراء مارى سميث . لابد من أن يمسك بها شخص ما . هل تعلمونه ؟ أرغب فى أن يكون نحن من يقوم بهذا ، وليس مكتب لوس أنجلوس " .

الفصل ٨٣

كانت ديزنى لاند مكاناً مكتظاً بالمفارقات بالنسبة لأى أم صالحة ، إنها " أسعد مكان على وجه الأرض " ، كما تقول الدعاية ، وقد تكون كذلك ، ولكن وسط هذا الزحام الكبير الكهربى يمكن لها أن تكون كذلك أسهل مكان يُفقد فيه طفل .

حاولت مارى ألا تتمادى فى قلقها . **فالقلق يزيد الأمور سوءاً فحسب . ومدمنو القلق هم أتعس أناس فى العالم . لابد أن أعلم هذا .**

علاوة على أن هذا اليوم يفترض أن يكون أسرياً ومرحاً . كان كل من بريندان وآشلى يتطلعان إليه ـ منذ الأبد تقريباً . حتى آدم الصغير كان يتواثب للأعلى والأسفل فى عربته ، يصيح بحماس بلا كلام .

راحت مارى تراقب عن كثب ابنيها الكبيرين بينما انطلقا على طول طريق ماين ستريت يو . إس . إيه ، بمتاجره الملونة بألوان الحلوى ومغرياته الأخرى . كان كل منهما يمسك بخريطة المدينة من أحد الجانبين . كان هذا أمراً محبباً ، حتى ولو لم يكن أى منهما يعرف عما كانا يبحثان . فمنذ مولد آدم ، يحبان أن يلعبا دور الأكبر سناً .

سألتهما : " ماذا تريدان أن تفعلا أولاً ، يا حبيبيَّ الصغيرين ؟ ها نحن هنا . أخيراً فى ديزنى لاند ـ كما وعدتكما " .

قالت آشلى لاهثة : " كل شىء " . أشار بريندان نحو صبى صغير فى مثل عمره تقريباً يرتدى أذنى ميكى ماوس منقوش على حافتها اسم ماثيو .

سأل بلهفة : " هل يمكننا أن نحصل على مثل هذه ؟ هل يمكننا رجاءً ، رجاء ، رجاء ؟ "

" كلا . أنا آسفة يا حبيبى . ماما ليس معها ما يكفى من نقود لذلك. ليس فى هذه المرة . ولكنه فى المرة القادمة بالتأكيد " .

تساءلت فجأة لماذا لم تفكر فى إعداد شطائر لهم .

سوف تكلف الرحلة لـ ديزنى أكثر بكثير مما يمكنها تحمله .

إذا وقع مكروه بالمنزل منذ الآن وحتى موعد قبض راتبها القادم ، ستكون فى ورطة عميقة .

ولكن لا يجب القلق بشأن هذا : " توقفى . توقفى . ليس اليوم . لا تفسدى كل شىء . يا مارى " .

قالت برقة وهى تتناول الخريطة من أيديهما : " إننى أعرف تماماً ما الذى ينبغى القيام به " .

وبعد برهة قصيرة ، كانوا يطفون على متن قارب فى البحيرة الصناعية " سمول وورلد " ، وهو شىء لم تفعله مارى منذ أن كانت فى عمر بريندان .

لكنه مازال على نفس الشاكلة ، ، البرودة الظلام ، كانا يبعثان بالاطمئنان فى قلبها مثلما كانا يفعلان من قبل ، ومازالت تحب كل الوجوه الكارتونية الباسمة والتى لا تتبدل أبداً .

كان هناك شىء مطمئن بشأن هذه الرحلة ، وبشأن ديزنى لاند . أحبت كونها هنا بصحبة الصغار ، وأنها وفت بوعدها لهم .

صاح بريندان : " انظروا لذلك ! " ، مشيراً نحو أسرة من أسر الإسكيمو ظريفة المنظر ، يلوحون من منزلهم المغطى بالثلوج .

غالباً ما لا يتذكر بريندان وآشلى الثلوج ، أدركت هذا ، كما أن آدم لم يرها مطلقاً . البرودة الأبدية والغيوم الدائمة فى مسقط رأسها صارت مثل عالم آخر الآن ، مثل الجزء الأبيض والأسود من فيلم " ساحرِ أوز " . عدا أن دورثى عادت لمنزلها القديم ، لكن مارى لن تفعل أبداً . ليس من جديد . المزيد من الجبال المغطاة بالثلوج . كان كل هذا على مبعدة مليون ميل ، حيث تنتمى أصلاً . من الآن لن يكون هناك سوى شمس كاليفورنيا المشرقة ، وأسرة الاسيكمو الباسمة .

قطع الحارس ذكرياتها قائلاً : " المعذرة يا سيدتى ، نرجو أن تخرجى " .

" مامى ! "

طرفت عينا مارى بخيبة أمل . لقد أضاعت نصف وقت الرحلة تفكر فى أمور أخرى . ما الجزء الأخير الذى تتذكره ؟ عائلة الاسكيمو . الثلوج . أوه ، نعم ، الثلوج .

" سيدتى ؟ من فضلك . هناك آخرون منتظرون " .

تطلعت مارى نحو العامل ذى الزى الرسمى ، الذى نظر لها بتهذيب تام .

سألته : " هل يمكننا أن نذهب فى جولة أخرى ؟ "

ابتسم معتذراً : " آسف ، لكنه ليس مسموحاً لنا بأن نجعل الناس يفعلون هذا . لابد أن تعودى لتقفى فى الصف " .

صاح بريندان : " لنذهب . هيا يا مامى . ما من مشاهد . أرجوك ؟ "

قالت مارى بصوت متوتر وهى محرجة قليلاً : " لا بأس ، لا بأس " .

غمزت للحارس . ثم قالت : " أطفالى " ، ثم قفزت ، عبر الرصيف لتحلق بطاقمها ، بأحبائها ..

الفصل ٨٤

حان وقت الغداء بسرعة ، أصيبت مارى بحالة إحباط رهيبة عندما وجدت أن كل ما معها اثنا عشر دولاراً وبضعة سنتات فقط . سيكون هذا كافياً بالكاد لشراء بيتزا صغيرة وشراب لتتقاسمه بينها وبين الأطفال .

بعد أن وضعت مارى الطعام على الطاولة قالت آشلى : " هناك أشياء خضراء عليها " .

قالت مارى : " إن طعمها لا يبدو كأى شىء " . مسحت قطع الأوريجانو بمنديلها ثم قالت : " هاك . لقد اختفت كل الأشياء الخضراء ، اختفت الآن " .

" إنها تحت الجبن أيضاً . لا أريدها يا ماما . أنا جائعة ، أنا جائعة فعلاً ! " .

" حبيبتى ، هذا هو الغداء . لن يكون هناك شىء آخر حتى نعود للمنزل " .

" لا يهم " .

" آشلى " .

" كلا ! " .

تنفست مارى عميقاً وعدت حتى الرقم خمسة . حاولت أن تمسك بزمام نفسها ، حاولت باجتهاد شديد وقالت : " انظرى إلى أخيك . إنها تعجبه ـ إنها لذيذة جداً " .

ابتسم بريندان وتناول قضمة أخرى ، كان نموذجاً للطاعة . أما آشلى فقد أحنت ذقنها للأسفل وتجنبت عينى مارى تماماً .

شعرت مارى بالتوتر يثقل على كتفيها وعنقها : " آش يا حبيبتى ، يجب أن تأخذى قضمة واحدة على الأقل . آشلى ! لابد أن تجربى . انظرى إلىّ وأنا أتحدث إليك " .

كانت مارى تعرف من كل قلبها أن عليها أن تدع الأمر يمر بسلام . فعدم تناول الطعام هو مشكلة تصحح ذاتها بذاتها . إنها مشكلة آشلى ، وليست مشكلتها . قالت على الرغم منها : " أتعلمين كم كلفتنا هذه ؟ أتعلمين كم يكلف كل شىء هنا فى أرض الأحلام ؟ " .

حاول بريندان أن يتدخل : " أمى ، كلا . أمى ، أمى " .

ألحت هى : " أتعلمين ؟ ألديك أدنى فكرة ؟ " .

اشتعلت آشلى بالمقابل : " لا يهمنى " . الشريرة الصغيرة ، الفتاة الرهيبة .

أحكم التوتر قبضته على مارى ، منتقلاً من كتفيها نزولاً إلى ذراعيها وساقيها . أحست مارى بوخز حاد فى عضلاتها ، وفجأة جاءت اندفاعة .

أطاحت بيدها بكل الأشياء الموجودة على الطاولة فصاح بريندان : " أمى ! " .

" آشلى لا ترغب فى الطعام ؟ حسناً . عظيم جداً " .

ارتطم الطبق الورقى وشرائح البيتزا بأرضية الباحة الاسمنتية . انزلقت زجاجة الصودا ، انسكبت محتوياتها على عربة آدم المفتوحة حيث كان جالساً . كانت صيحة فورية . وكأنها كانت رداً على صيحة مارى نفسها .

" هل رأيت ما قمت به ؟ هل رأيت ؟ ؟ "

بالكاد سمعت هذا . كان صوتها كما لو كان ينبعث من وراء الجانب الآخر لأحد الأبواب ، وكاب الباب مغلقاً بإحكام .

آه ، لم يكن من المفترض أن يكون الأمر على هذا النحو . إنها والصغار في ديزني لاند ، رباه ! هذا خطأ ، خطأ تام . كل ما تعبت لتحقيقه يمضى الآن هباء . كان هذا كابوساً . ما الذى قد يحدث أيضاً ليفسد كل شيء ؟

الفصل ٨٥

إذا صدقنا ما جاء فى الرسالة الأخيرة لـ ماري سميث ، فإن لدينا ٢٤ ساعة أو أقل لمنع جريمتها التالية .

ومما جعل الموقف المستحيل أشد سوءاً ، أننا لم نستطع أن نكون فى كل الأماكن على الفور ، ولا حتى مع وجود المئات من العملاء والمفتشين فى القضية .

بزغ خيط محدد ، وكنا سوف نسعى وراءه . كل هذا أخبرنا به فريد فان آلسبرج . ولم أكن متأكداً إذا كنا بحاجة لاجتماع آخر لمناقشة الأمر ، لكننى ذهبت ، وأنا سعيد الآن لأننى ذهبت .

تمكننا من اختراق سياج السرية الخاص بمادوكس فيلدنج المتمثل فى إغلاق الأبواب أمامنا بمكتب تحقيقات لوس أنجلوس . فقد كان أحد الأعضاء فى تحرياتهم الخاصة بالشاحنة الساباربان الزرقاء على الهاتف حين وصلت إلى هناك .

وتتكـون لجنـة التحريـات الخاصـة بهـم مـن اثـنين مـن المفتشـين الأساسيين ، وحوالى ٢٤ عميلاً ميدانياً ، ومنسق أدلة ، هو ميريل سنايدر الذى كان معنا على الخط .

بدأ سنايدر بإطلالة عامة على البحث الجارى . كان فى صوته لمسة من لكنة سكان نيو إنجلاند : " كما تعلمـون ، فـإن هيئـة النقـل والمواصـلات تتبع السيارات بناء على اللون ، وهو كل ما لدينا من تحديد فـى السيارة الخاصة بـ ماري سميث " . هكذا أخبر المجموعة .

" مما خلف مـا يزيـد علـى ألفـى احتمـال متطابق فـى مقاطعـة لـوس أنجلوس وكنوع من مقياس لتحديد الأولوية ، ارتأينا التركيز على المكالمات التى ترد إلينا من المدنيين . ومازلنا نتلقى العشرات منها ـ أشخاص لديهم سيارة من نفس النوع واللون ولا يدرون ماذا يفعلون بشـأنها ؛ أو أشـخاص رأوا إحداها ، أو يعتقـدون أنهـم رأوا إحـداها ، أو ربمـا يعرفـون فقـط أن أحدهم رأى إحداها . الجانب الصعب هو التعرف على نسبة الواحد بالمائة مـن المكالمـات التـى تسـتحق الاهتمـام ونسـبة ٩٩ ٪ الأخـرى التـى لا تستحق " .

سألت : " ولماذا قمتم باختيار هذه تحديداً ؟ "

كان مزيجاً من الأمور ، هكذا أخبرنا سنايدر . كثير جـداً مـن الـدلائل ذات تفاصيل شخصية مرجحة ، لكن هذه المرة قد تجمعت عناصر اشـتباه كثيرة .

" اتصل أحـدهم بشـأن جارتـه ، وهـى أيضـاً مسـتأجرة لديـه ، تقـود شاحنة سابارُبان زرقاء ، بالطبع ـ وتستخدم اسم مارى واجنر " .

ارتفعـت حواجـب مـن بالغرفـة . هـذا النحـو الـذى صـنعت منـه المصـادفات ، لكـن لم يصـدمنى أنـا أن قاتلتنـا تسـتخدم اسمهـا الأول الحقيقى ، مع لهفتها لاجتذاب الاهتمام الإعلامى .

واصل سنايدر قائلاً : " وهى فى الواقع امـرأة مجهولـة تمامـاً : لـيس هناك رخصة قيادة أو أى وثيقة تثبت هويتها . لوحة الأرقام على السيارة كتب عليها كاليفورنيا ، وخمنوا ماذا ؟ "

غمغم أحدهم من الخلف : " إنها مسروقة " .

قال سنايدر : " إنهـا مسـروقة ، ولا يمكـن تتبعهـا . لعلهـا حصلت عليها من سيارة مهجورة فى مكان ما .

وأخيراً ، لدينا عنوانها . ماموث آفينو فى فان نيوس . على بعد عشر مبان من مقهى الإنترنت الذى أرسلت منه الرسالة التى عُثر عليهـا غير مكتملة " .

سأل فان آلسبرج سنايدر : " ما الذى نعرفه أيضاً عن المرأة نفسها ؟ "

قام أحد العملاء فى المقدمة بدق بعض المفاتيح على كمبيـوتر محمـول ، وظهرت على شاشة قاعة الاجتماع إحدى الصور .

أظهرت امرأة بيضاء طويلة فى منتصف العمـر ، مـن نقطـة رؤيـة عـبر مكان مخصص لركن السيارات . كانت ترتـدى مـا يبـدو كأنـه زى رسمـى لخادمة . لم يكن جسدها نحيفاً ولا بديناً ؛ الزى يناسبها ولكـن مـع ذلـك يبدو صغيراً على بنيتها الرجولية . قدر عمرها بحوالى ٤٥ .

قال فريد : " تم التقاط هذه فى وقت مبكر هـذا الصـباح . إنهـا تعمـل خادمة بفندق بيفرلى هيلز " .

" انتظروا . تعمل كخادمة ؟ هل قلتم هذا ؟ "

التفتت عدة رؤوس حيث كان يجلس العميـل بـيج ، مسـتنداً إلى إطـار النافذة .

تساءل فان آلسبرج : " ماذا بهذا الشأن ؟ "

" لا أدرى . قد يبدو هذا مجنوناً ـ " .

" هيا ، هات ما عندك " .

" فى الحقيقة ، كان هذا شيئاً فى تقرير د. كروس . فى الفنـدق الـذى عثر فيه على كل من سوزى كـارتوليس وبـراين كـونفر . لقد قـام أحـدهم بتسوية الفراش بطريقـة ممتـازة جـداً " . قـال بـيج هـذا ثـم هـز كتفيـه .

" بطريقـة مرتبـة أكثـر مـن الـلازم ، ولكـن ... لا أدرى . خادمـة فندق ... " .

السكون الذى عم القاعة أحرجه ، فسكت العميل الشاب . خلت أنه مع مزيد من الخبرة ، سيتعرف بيج على هذا الضرب من ردود الأفعال بوصفها اهتماماً ، وليس تشككاً . راح الجميع يتأملون الافتراض ، ومضى فان آلسبرج إلى الشريحة الأخرى .

كانت لقطة قريبة لمارى واجنر .

وبعد التقريب ، أمكننى رؤية تباشير المشيب فى شعرها الأسود ، الذى ربطته نحو مؤخرة رأسها بطريقة غير مجارية للموضة . كان وجهها مستديراً وسميناً ، لكن تعبيره كان محايداً وجافياً . بدت وكأنها فى مكان آخر .

تحدث الصوت الذى يهمهم من الخلف مرة أخرى وقال : " بالتأكيد ليست لها ملامح شديدة الوضوح والتميز " .

وهكذا كانت . لم تكن امرأة يمكن للمرء أن يلحظها إن مر بها فى الشارع .

كانت بالفعل غير مرئية .

الفصل ٨٦

عند الساعة ٦,٢٠ من مساء تلك الليلة ، كنت متوقفاً بسيارتى قبالة مسكن مارى واجنر . قد يكون هذا بلا خلاف أمراً مهماً ، نصرنا الكبير ، وجميعنا نعرف هذا . حتى الآن ، استطعنا إبعاد الإعلام عن الأمر .

كان هناك فريق آخر فى الزقاق الذى يقع خلف المنزل ، وفريق ثالث تتبع واجنر من العمل فى فندق بيفرلى هيلز . وقد أرسلوا تواً إشارة أنها توقفت من أجل شراء البقالة وكادت تصل للمنزل .

وجاءت الشاحنة ، ساباربان زرقاء بالطبع ، تنفث دخان من ماسورة العادم ، دخلت المشى بعد دقيقتين .

أخرجت السيدة واجنر حقيبتين من البلاستيك من السيارة ودخلت . بدا أنها امرأة قوية . كما بدا أيضاً وكأنها تتحدث إلى نفسها ، لكنى لم أستطع التيقن من هذا .

ما إن صارت بالداخل ، حتى اقتربنا بالسيارة عبر الشارع لنحصل على رؤية أفضل .

كان شريكي هذا المساء هو مانى بايكر ، عميل فى مثل عمرى تقريباً . كانت لـ مانى سمعة طيبة ، لكن إجاباته التى تتكون غالباً من كلمة واحدة على الأحاديث المهذبة استبدلها الصمت التام . فلبثنا بالداخل وراقبنا منزل واجنر فى الغسق المتكاثف .

كان المنزل ذو الطابق الوحيد الذى تستأجره السيدة واجنر سيئ الحال ، حتى بالنسبة لواحد من الأحياء المهمشة . كان المدخل قد اختفى تماماً فى سلسلة السياج المتصلة . كما أن نباتات الباحة غير المشذبة قد غطت ما تبقى من الحافة الطوبية على طول المشى الأمامى .

كانت المساحة المحيطة أكثر اتساعاً من المنزل نفسه ، بما يكفى بالكاد لخروج ودخول السيارة من الجانب الجنوبى . تكاد الشاحنة تحك حائط الجيران عندما تدخل إلى هناك .

يقيم جيرمى كيلبورن ، وهو الرجل الذى اتصل بنا بخصوص السيارة ، بالمنزل المجاور ويمتلك المنزلين . وقد علمنا منه أن منزل السيدة واجنر كان ملك والدته حتى توفيت قبل أربعة عشر شهراً . وقد انتقلت مارى واجنر إلى هنا بعد ذلك بزمن قصير . وكانت تدفع إيجارها نقداً ، فى الموعد . منذ ذلك الحين . قال كيلبورن إنه يظن أنها " امرأة غريبة " ولكنها ودودة بما يكفى ، وقال إنها تهتم بشئون نفسها .

الليلة ، كان منزله مظلماً . أخذ أسرته ليقيموا مع بعض الأقارب إلى أن يتم التأكد من أمر مارى واجنر .

حين حل الليل محل الغسق ، ساد الهدوء والسكون فى الشارع ، أنارت مارى واجنر أخيراً بعض الأنوار وبدا أنها بدأت تستقر . لم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير فى أنها تعيش حياة بائسة تماماً .

فى لحظة ما ، قمت بإخراج حافظتى واسترقت نظرة إلى صور معى لدايمون وجانى وآلكس الصغير ، متسائلاً عما يقومون به الآن . فى الظلام ، لم أقلق لأمر الابتسامة البلهاء التى ارتسمت على وجهى عند النظر إلى صورهم .

خلال الساعات العديدة التالية ، وزعت انتباهى ما بين منزل مارى واجنر الذى لا يتغير حاله وملف ملاحظات القضية فى حجرى . كانت الملاحظات ليست أكثر من دعامة . كل شىء يمكن معرفته حول مارى سميث كان يدور فى رأسى بالفعل .

ثم رأيت شيئاً ما - شخصاً ما فى الحقيقة - ولم أستطع تصديق عينى تقريباً . وصحت : " أوه ، كلا . أوه ، رباه " .

قفز المسكين مانى من مقعده من فرط الدهشة .

الفصل ٨٧

" أنت يا ترسكوت ! توقف مكانك ! قلت لك توقف " . خرجت من السيارة عندما رأيت الكاتب ومصورته يقتربان من منزل مارى واجنر . ماذا يفعلان هنا ، الملعونان ؟

كنا على نفس المسافة من المنزل ، وفجأة بدأ ترسكوت يركض نحوه .

وهكذا فعلت ، وكنت أسرع منه كثيراً ، وربما أسرع مما ظننى . لم يمنحنى خياراً آخر ـ لذا فقد أحطت به قبل أن يصل إلى الباب الامامى . ضربته عند الخصر ، وسقط ترسكوت أرضاً بشدة ، يئن من الألم .

كان هذا هو الجزء الممتع ـ ضربه . ومع ذلك فيالها من فوضى ، مصيبة تامة ! فسوف تسمعنا مارى واجنر بالطبع وتخرج لترى ما يحدث ، وعندها ستضيع كل جهودنا وسينكشف كل شىء سريعاً الآن . بسرعة الآن . لم يكن هناك الكثير يمكننى القيام به بهذا الشأن .

جررت الصحافى من قدمه حتى خرجنا بعيداً عن نطاق رؤية منزل واجنر ، وخارج مجال السمع على ما أتمنى .

" إن لدىّ كل الحق فى أن أكون هنا . سوف أقاضيك على كل ما فعلت يا كروس " .

" عظيم ، قاضنى " .

ولأن ترسكوت ظل يصرخ فى وجهى ، ومازالت مصورته تلتقط الصور ، اضطررت إلى ثنى ذراعيه عالياً ، والجرى به بعيداً عن الشارع .

" لا يمكنك القيام بذلك ، ليس لك الحق فى هذا ! "

صحت بالعملاء الآخرين الذين جاءوا من الخلف : " أنت عليك بها ! وخذ منها الكاميرا " .

كان ترسكوت مازال يصيح ، إذ قام ثلاثة منا أخيراً بحمله والالتفاف به عند أول ركن قابلنا " سوف أقاضيكم جميعاً أيها الأوغاد ! سأقاضيكم أنتم والمكتب كله لأنكم تعودون بنا للعصور المظلمة ، هل تسمع يا كروس ! " .

قلت للعميل : " أحضره هنا ، والمصورة كذلك " .

نظرت نظرة أخيرة نحو المقعد الخلفى قبل أن يتم جر ترسكوت بعيداً . " قاضنى ، وقاضى المباحث الفيدرالية فمازلت مقبوضاً عليك بتهمة إعاقة عمل الشرطة . خذوا هذا المعتوه بعيداً عن هنا ! " .

بعد بضع دقائق ، عاد الهدوء للشارع الجانبى الضيق من جديد ، والحمد لله .

وبصراحة ، اندهشت ـ بل صعقت ـ لأن مارى واجنر ، وهى من المفترض أنها قاتلة بارعة وشديدة الحرص ، لم تنتبه لشىء من هذا .

الفصل ٨٨

لقد حصلت مارى واجنر تلك الليلة على قدر وافر من النوم ، أكثر مما حصل علية أى واحد منا . قضى جيمس ترسكوت ليلته فى السجن ، لكنى تأكدت من أنه سيكون قد خرج بالفعل فى الصباح . فقد تقدمت المجلة التى يعمل بها بشكوى وتم إخلاء سبيله . ولم يفته الشىء الكثير مع ذلك ، فلم يكن هناك أى أمر جديد لنبلغ به الفريق الآخر الذى جاء أخيراً فى الرابعة صباحاً .

وهذا منحنى ما يكفى من الوقت لأذهب إلى الفندق من أجل الحصول على إغفاءة لساعتين وحمام قبل أن أعود على الطريق مرة أخرى .

وصلت إلى فندق بيفرلى هيلز بعد أن تجاوزت السابعة صباحاً قبل وردية عمل مارى واجنر ، والتى تبدأ فى السابعة والنصف صباحاً .

كان هذا يصير أكثر تشويقاً بلا شك الآن ، وكذلك أكثر غرابة دقيقة بعد أخرى .

كان الفندق الشهير بهوليود والفاخر والمجصص بالوردى ، يكاد يختفى تقريباً وراء جدار من النخيل وأشجار الموز فى سانست بوليفارد .

وكان ما بالداخل يعكس ما بالخارج ، بالبهو الذى كان كل شىء فيه مغطى باللون الوردى وورق الحائط المرسوم عليه أوراق الموز والمنتشر فى كل المكان .

وجدت رئيس الأمن آندريه بركنز فى مكتبه بالطابق السفلى . كنت رتبت عن عمد مقابلة شخص واحد من الفندق .

كان بركنز نفسه عميلاً سابقاً بمكتب التحقيقات الفيدرالية . كان أمامه على المكتب حين دخلت نسختان من ملف مارى واجنر .

قال لى : " إنها تكاد تكون موظفة نموذجية . تظهر فى موعدها المحدد ، ملتزمة بالعمل . وبقدر ما يمكننى التذكر ، فإنها تدخل وحسب ، لتقوم بعملها ، ثم تنصرف . ويمكننى أن أستعلم عن المزيد ، فهل ينبغى علىّ ذلك ؟ "

" لا تقم بهذا بعد ، شكراً . ماذا عن ماضيها ؟ هل هناك أى شىء يهمنى ؟ "

أخرج الاستمارة الأصلية لـ واجنر وصفحتين من الملاحظات

" إنها تعمل منذ ثمانية شهور تقريباً . ويبدو أنها تم الاستغناء عنها فى فندق ماريوت بوسط المدينة قبل ذلك ولكنى أجريت بعض الاتصالات مع فريق العمل السابق ، وكانت كلها أرقاماً خاطئة ومعطلة . كما أن رقم ضمانها الاجتماعى مزور كذلك . كل هذا أمر معتاد بالنسبة لخادمة أو حمال " .

سألت : " هل هناك أى شخص يمكنه أن يثبت تواجدها هنا فى الفندق أثناء جميع ورديات عملها ؟ "

هز بركنز رأسه . " إنها سجلات التنظيف وحسب " .

ونظر إلى أوراقه مرة أخرى .

" إنها تلتزم بواجباتها بلا شك ، وهو ما لن تكون قادرة عليه إذا هى أهملت وقتاً طويلاً . كما أن بطاقات الإشراف عليها جيدة . إنها تقوم بعمل طيب . إن مارى واجنر موظفة فوق المستوى المتوسط ها هنا " .

الفصل ٨٩

سمح لى بركنز باستخدام آلة الفاكس الخاصة به حتى أرسل نسخاً من أوراق حضور وانصراف مارى واجنر للمكتب للاستشهاد بها . ثم سلمنى زياً رسمياً لحارس وشارة مكتوباً عليها " بيل " .

استقر بيل عند القبو ، على مرأى من المكان المخصص للتخزين حيث تأتى الخادمات لأخذ المنتجات الورقية ومواد التنظيف . بعد السابعة والنصف بالضبط ، جاءت الوردية الجديدة .

كلهن كن نساء ، وجميعهن بالزى الوردى الموحد . كانت مارى أطول المجموعة قامة . كبيرة العظام ، هكذا كان يطلق عليها بعض الناس . وكانت من بين القلائل داخل هذه المجموعة ممن يتسمن بالبشرة البيضاء .

لاشك أنها كانت تبدو قوية بما يكفى للمجهود البدنى الذى قامت به مارى سميث مع جثة مارتى لوينشتاين بيل فى حمام السباحة ، وحركت براين كونفر من أرضية غرفة الفندق وحتى الفراش .

وقف بيل على بعد حوالى عشرين ياردة منها ، مواجهاً للوحة فيوز كهربائية ، وقد وارى وجهه جزئياً وراء باب اللوحة .

مضت واجنر فى عملها بهدوء وفاعلية بينما راحت الأخريات تثرثرن من حولها ، أغلبهن تتحدثن باللغة الأسبانية . إنها تهتم بشئون نفسها فقط لأغلب الوقت ، بالضبط كما وصفها بركنز . كانت العربة الخاصة بها هى أولى العربات التى دخلت المصعد الكبير الخاص بالبضائع والمؤن .

لم أتبعها للأدوار العليا . لن توفر ردهة الفندق تغطية كافية ، كما أن الأولوية بالنسبة لى كانت لقاءها بالمنزل فيما بعد ، بشخصى الفعلى . مما يعنى ظهور بيل بشكل محدود فى الفندق .

جاءت أفضل فرصى خلال ساعة الغداء ، حين امتلأت كافيتريا العاملين عن آخرها . جلست مارى وحدها إلى طاولة قرب الباب ، تتناول شطيرة سلطة التونة ، وتكتب داخل كتاب مغلق بالقماش ، يبدو وكأنه نوع من دفتر اليوميات . أردت أن أرى تلك اليوميات . كانت محادثاتها مع من حولها من أشخاص لا تزيد على التحيات المهذبة . كانت مثال الموظفة المثالية .

قررت أن أبتعد خارجاً عند هذا الحد ، وعدت لمكتب بركنز فى القبو . أعطيته ملخصاً قصيراً . وخلال حديثنا ، انطلق جهاز النداء الخاص بى .

" المعذرة " قلت هذا لـ بركنز واتصلت بـ بيج فى مركز الأزمات .

" اعتقدت أنك تريد أن تعرف الأمر فوراً - نعم ، امنحنى ثانية ، سأكون هناك - إن سجل حضورها وانصرافها تم فحصه بدقة . لم تكن مارى واجنر فى عملها قبل أوقات الجرائم التى ارتكبتها مارى سميث وبعدها بحوالى ساعتين . دون استثناءات . يا للهول ! " .

" لا بأس ، شكراً . سوف أنصرف من هنا . إنها بالعمل اليوم " .

" متى كانت آخر مرة رأيتها ؟ "

" منذ عشر دقائق مضت تقريباً . لابد أن أذهب يا بيج " . كان بركنز ينظر نحوى متلهفاً ، ولم أرغب منه أن يطرح أسئلة أكثر من اللازم . كنت فى منتصف المسافة لإعادة جهاز الاستقبال لمكانه عندما سمعت بيج يصيح : " انتظر ! " .

أعطيت بركنز نظرة اعتذار . أحياناً يمكن للعميل بيج أن يكون مزعجاً قليلاً ، كما لو كان يحاول باجتهاد أن يكون كذلك .

" ماذا يا كارل ؟ "

" الرسالة الأخيرة لـ مارى سميث يا آلكس . من المفترض أن تتم الجريمة قبل ظهيرة الغد " .

" نعم ، أعرف " ، قلت هذا وأغلقت الهاتف ، فقد كنت أعلم بالفعل ما يحاول بيج إخبارى به .

إن غداً هو إجازة مارى واجنر .

الفصل ٩٠

كنت مقتنعاً بالفعل أنه كان من الضرورى أن أحاول التحدث إلى مارى واجنر قبل صدمة القبض عليها . كان لدىّ رد فعل حدسى قوى على هذه القضية الغريبة . كنت أعلم مع هذا أن مكتب لوس آنجليس سيقع تحت الكثير من الضغوط ليتحرك بسرعة . وهذا يعنى أنه سوف يكون علىّ التحرك بشكل أسرع لو استطعت .

أسرعت عائداً للمكتب فوجدت فان آلسبرج فى مكتبه . " لا تسألنى ، فالأمر ليس بيدى ، " هكذا قال ، بعد أن عرضت عليه مسألة لقائى بها . " إذا أراد مادوكس فيلدنج أن يتحرك نحوها ــ " .

قلت : " إذن قم بمعروف واحد من أجلى " .

بعدها بدقائق ، كنا على الخط فى مكتب فريد . كنت أعلم أن مادوكس فيلدنج لن يرد على اتصالى ، لكن تم الرد على فان آلسبرج على الفور .

قال آلسبرج : " مادوكس ، لدى هنا آلكس كروس . ويقدم حجة قوية لتأجيل القبض على مارى واجنر ، فقط بما يكفى لقيامه باستجوابها " .

تساءل فيلدنج : " ما المزيد الذى نحتاج إليها لنقبض عليها فى رأيك ؟ قضى الأمر لدينا ما يكفى لنقبض عليها " .

قلت فى جهاز تكبير الصوت : " إنها مسألة تتعلق بالملابسات . سوف تطلقون سراحها " .

" نعم ، حسناً سنعمل على ذلك " .

سألته وقد بدأت أغتاظ : " ماذا تقصد ؟

ما الذى لم تخبرنا به يا مادوكس ؟ ما الهدف من إقصائنا عن الأمر ؟ "

تجاهل سؤالى المشروع بإحدى لحظات صمتة الحجرية المعروفة عنه .

فقلت : " استمع ، ما بين مكتب لوس آنجليس ومكتبكم ، إنها تحت مراقبة صارمة ؛ ولم تظهر أية علامة على القيام بشىء . إننا نعرف جدولها . دعنى فقط أتحدث إليها بمنزلها . قد تكون هذه الفرصة الأخيرة للحصول عليها فى حالة عزلاء " . كرهت نبرة التهدئة فى صوتى ، لكنى كنت أعرف أن اللقاء مع مارى قد يكون مهماً .

قلت : " أيها المفتش ، أعلم أنك وأنا بيننا خلافات ، ولكن كلاً منا يسعى وراء حل سريع هنا . وهذا ما أبرع فيه أكثر من أى شىء . إذا سمحت لى فقط ـــ " .

قال بسرعة : " كن فى منزلها عند السادسة ، لن أقدم لك أى وعود مع ذلك يا كروس . فإذا لم تذهب للمنزل بعد العمل ، أو إذا ما تبدل أى شىء آخر ، ستكون هذه نهاية الأمر . سنمسك بها " .

ما إن قوست حاجبى من الدهشة ، كانت هناك فرقعة على الخط فانتهى الاتصال .

الفصل ٩١

لم تعبأ باستخدام المزلاج ذى السلسلة . سمعت صلصلته على ظهر الباب الأمامى بينما كانت تفتح .

" مارى واجنر ؟ "

" نعم ؟ "

كانت قدمها الكبيرة حافية ، لكنها كانت لاتزال مرتدية الزى الوردى الرسمى الخاص بفندق بيفرلى هيلز . ابتسمت ابتسامة سارة قبل أن تعلم من أنا .

" أنا العميل كروس من المباحث الفيدرالية " . رفعت بطاقة هويتى ، بما فى ذلك شارتى . " هل لى أن أدخل وأطرح عليك بضع الأسئلة ؟ الأمر مهم " .

تقلص وجهها المتعب . " إنه بخصوص السيارة ، أليس كذلك ؟ رباه ، تمنيت لو كنت قمت بطلائها أو بيعها أو شىء كهذا . لقد تعرضت لجميع أنواع النظرات المحرجة ـ لن تصدق ما تعرضت له " .

كان سلوكها أكثر حميمية من أى شىء قد رأيته بالفندق ، لكنها اتسمت بالحيوية ورباطة الجأش وكأنها معلمة فى روضة أطفال بمدرسة عامة يحيط بها عدد أكثر من اللازم من التلاميذ .

قلت : " نعم يا سيدتى . بشأن السيارة . مجرد إجراء رسمى ؛ إننا نحاول تتبع أكبر عدد ممكن من الشاحنات السابربان الزرقاء . هل يمكن لى الدخول ؟ لن يستغرق الأمر طويلاً " .

" بالطبع . لا أقصد أن أكون قليلة الذوق . رجاء ، تفضل بالدخول . تعال " .

لوحت نحو بيكر فى موقف السيارات .

صحت قائلاً : " خمس دقائق " ، غالباً لكى أجعل السيدة واجنر تعرف أننى لم أكن وحدى بمنزلها . لحسن الحظ أنها لم تلحظ سيارات وحدة شرطة لوس أنجلوس أعلى الشارع وأدناه .

خطوت للداخل ، وأغلقت الباب ورائى . انطلق الآدرينالين عبر جسدى فى الحال . هل هذه المرأة قاتلة ؟ ولعلها مجنونة كذلك ؟ لسبب غريب ، لم أشعر بالخوف منها .

ترك نظام المنزل ونظافته انطباعاً قوياً لدىّ . كانت الأرضية قد تم تنظيفها من وقت قريب ولم أر أى علامات على فوضى فى أى مكان .

وفى الردهة الأمامية علقت منحوتة خشبية . كانت على شكل فتاة ريفية منحنية مع كلمة مرحباً مطبوعة على تنورتها . وأدركت فجأة أن الإهمال النسبى بالخارج كان ضمن ملكية مالك العقار . أما هنا فقد كان ملكها .

قالت : " اجلس من فضلك " .

أومأت لى مارى واجنر عبر غرفة المعيشة خلال ردهة مقوسة عن يمينى . وهناك وضعت أريكتين غير متوافقتين وقد شغلتا معظم الغرفة .

كان تلفازها مكتوم الصوت ، وعلبة من المياه الغازية وضعت إلى مائدة قهوة من الخشب الأحمر إلى جانب وعاء حساء .

سألتها : " هل قاطعت تناولك لعشائك ؟ أنا آسف لذلك حقاً " .

ولم يكن هذا يعنى أننى سأغادر .

" كلا . كلا ، كلا ، على الإطلاق . لست نهمة فى تناول الطعام " . قامت بإغلاق التلفاز بسرعة وأبعدت الطعام .

بقيت فى الردهة وألقيت نظرة فيما حولى ، بينما كانت تضع الأطباق على نضد المطبخ فى الخلف . لا شىء يبدو غريباً على المكان . مجرد منزل عادى يكاد يكون منظماً بإفراط ، يخلو من الفوضى ، وكل شىء به فى غاية اللمعان والنظافة .

نادت من الغرفة الأخرى : " أتود أن تشرب شيئاً ؟ "

" لا شىء ، أشكرك " .

" ماء ؟ صودا ؟ عصير برتقال ؟ لا ضير فى هذا أيها العميل كروس " .

" لا عليك " .

إن يومياتها فى الغالب هنا فى المنزل ، ولكنها ليست فى مكان يمكننى رؤيته . كانت تشاهد فيلم Jeopardy على التلفاز .

عادت نحوى ، قالت فى ود : " الحقيقة أن عصير البرتقال نفد على أية حال " . إما أنها كانت مسترخية كلية أو أنها بارعة للغاية فى التظاهر بذلك . أمر غريب جداً . تبعتها إلى غرفة المعيشة وجلس كل منا .

سألتنى بنبرة ودودة بدت غير مستقرة بصورة غريبة : " إذن ، ما الذى يمكننى عمله لأجلك ؟ أود المساعدة بالطبع " .

حافظت على استقرار نبرة صوتى وحرصت على خلوها من أى تهديد وقلت : " قبل كل شىء ، هل أنت الوحيدة التى تقودين سيارتك ؟ "

" أنا فقط " ابتسمت كما لو أن السؤال كان مضحكاً بشكل غامض وتساءلت عن سبب ذلك .

" هل يمكن أن تكون السيارة خارج إشرافك فى أى وقت خلال الأسابيع الستة الماضية أو نحوها ؟ "

" حسناً ، عندما أنام بالطبع . وعندما أكون فى العمل . إننى أقوم بخدمة الغرف فى فندق بيفرلى هيلز " .

" فهمت . فأنت بحاجة للسيارة من أجل الانتقال إلى العمل " .

أشارت إلى ياقة زيها الرسمى ونظرت نحو دفتر ملاحظاتى فى يدى كما لو أنها تريد منى أن أكتب هذا الأمر . وباندفاع مضيت ففعلت هذا .

استمرت تقول : " أحسب إذن أن الإجابة هى نعم ، عملياً ، يمكنك أن تقول إنها كانت خارج .. أياً كان ما قلته . إشرافى " . ضحكت ضحكة صغيرة وأضافت : " خارج مسئوليتى " .

سجلت عدة ملاحظات إضافية خاصة بى . متلهفة للبهجة ؟ مشغولة اليدين ؟ تريدنى أن أعرف أنها ذكية .

وبينما واصلنا ، راقبتها بقدر ما أنصت إليها . لا شىء مما قالته كان خارجاً حقاً عن المعتاد ، مع ذلك ما أذهلنى بشدة كان طريقتها فى التركيز علىّ ، حيث راحت يداها تحط فى أماكن مختلفة ، لكن عينيها البنيتين لم تبتعدا كثيراً عن عينى . انتابنى انطباع بأنها كانت سعيدة لوجودى هناك .

حين نهضت فى نهاية المقابلة ، كما لو كنت سأغادر ، عبس وجهها .

سألتها : " هل لى بكوب من الماء " ، فأشرق وجهها بوضوح .

" سوف أجلبه على الفور " .

تبعتها نحو الباب . كل شىء فى المطبخ كان مرتباً بنظام كذلك . تكاد تكون النضد خاوية ، عدا رغيف خبز مقطع لأربع شرائح ومجموعة من العلب المعدنية على طراز المطبخ الريفى .

كان رف الأطباق المجاور للحوض ممتلئاً ، وهناك سكينتان للحوم بين طاقم الفضيات النظيف .

ملأت كوباً من الصنبور وأعطته لى . كان مذاقه مذاق الصابون قليلاً .

سألتها بعفوية : " هل أنت أصلاً من كاليفورنيا ؟ من هذه الأنحاء ؟ "

قالت : " كلا ، كلا . لست من مكان قريب " .

" من أين أتيت ؟ "

" من القطب الشمالى " ثم ضحكت بخجل مرة أخرى وهزت رأسها وقالت : " على الأقل ، يبدو أنه كذلك فعلاً " .

" دعينى أخمن . ماين ؟ تبدين لى من نيوإنجلاند " .

" هل أملأه لك من جديد ؟ "

" لا ، شكراً لك . حقاً ، لا بأس " .

تناولت كوب الماء من يدى ، وهو مازال نصف فارغ ، واستدارت نحو الحوض .

وعندئذٍ فتحت أبواب الجحيم .

أولاً ، سمعت وقع أقدام ثقيلة وصياح مرتفع ينبعث من الخارج . وفى الحال تقريباً ، انفتح الباب الخلفى بشدة مع تحطم للخشب والزجاج . سمعت صوت تحطم من الباب الأمامى كذلك .

ثم اندفع ضباط شرطة يتقاطرون إلى داخل المطبخ من كلا الجهتين . يرتدون سترات مضادة للرصاص ، سُحبت أسلحتهم وأشهرت نحو مارى واجنر .

الفصل ٩٢

أسقطت مارى كوب الماء ، لكنى لم أسمع حتى صوت تحطم ، فقد امتلأ المطبخ فجأة بصياح عال ، جنباً إلى جنب مع صرخات مارى المرتعبة .

" اخرجوا من منزلى ! لم أفعل شيئاً ! ابتعدوا من هنا ، أرجوكم ! لماذا أنتم هنا ؟ "

رفعت شارتى أمامهم ، فلست متأكداً إذا كان فريق الاقتحام الخاص بمكتب شرطة لوس أنجلوس يعرفون حتى من أكون .

" انبطحى أرضاً ! " كان مسدس الضابط الرئيسى مصوباً نحو صدر مارى : " أرضاً ! الآن على الأرض ! " .

فى غضون ثوان ، أصيبت مارى واجنر بانهيار تام . كانت عيناها زائغتين ، ولم يبد عليها حتى أنها تسمع ما يصيح به الضابط لها .

صاح مجدداً : " انبطحى أرضاً ! " .

انحنت للخلف وهى مازالت تصرخ ، وقد تقوس ذراعاها وكتفاها ، فى وضعية دفاعية .

كل ما لحظته أن إحدى قدميها الحافيتين داست على قطعة من زجاج الكوب المتهشم . صاحت بشكل مثير للشفقة ، ثم انتفضت نحو أحد الجانبين كما لو كانت انزلقت .

كما انزلقت قدمها غير المصابة فى الماء ، والتوت تحتها . ثم سقطت على الأرض بشدة .

وفى ثانية كان فريق الاقتحام فوقها . أدار ضابطان مارى للخلف وقيدا يديها خلفها . قرأ عليها ضابط آخر حقوقها ، وكانت الكلمات غالباً تنطلق بصورة أسرع من أن تستوعبها .

أمسك أحدهم بأعلى ذراعى وحدثنى فى أذنى قائلاً : " سيدى ، هلا أتيت معى رجاء ؟ "

تجاهلت من كان هذا .

" سيدى ؟ " ضغط الضابط علىّ مجدداً ، فدفعته عنى غاضباً .

" إنها بحاجة لإسعافات أولية " ولكن لم يبد أن أحداً سمعنى ، أو إذا سمعونى لم يبدو اهتماماً .

الضابط الذى قبض عليها سألها : " سيدتى ، هل فهمت كل ما أخبرتك به ؟ " أومأت فى ارتعاش ، ومازال وجهها نحو الأرض . كنت على يقين تقريباً من أنها لم تفهم أياً من هذا .

" سيدتى ، إنى بحاجة لأن تقولى نعم أو لا . فهل فهمت كل ما أخبرتك به ؟ "

" نعم " أطلقتها كشهقة . كانت أنفاسها محتدمة : " إنى أفهم . تظنون أنى قمت بشىء سيئ " .

كان هذا كافياً . شققت طريقى عبر الضابط وانحنيت راكعاً إلى جوارها .

" مارى ، هذا أنا . العميل كروس . هل أنت بخير ؟ مارى ؟ هل حقاً تفهمين ما يجرى هنا ؟ "

كانت لاتزال فى حالة ذعر ولكن ليست غائبة عن الوعى . تأكدت من إخراج كسرة الزجاج من قدمها ، ثم لففتها بفوطة أطباق وساعدتها على الجلوس .

نظرت فيما حولها ، وعيناها على اتساعهما ، كما لو كانت تمسح الغرفة بحثاً عن أى شىء مألوف لها .

" مارى ، إنهم يضعونك رهن الاعتقال . أنت مضطرة للذهاب معهم الآن . هل تفهمين ما أقوله ؟ "

" حسناً ، لقد انتهينا من هذا " . دخل أحد الضباط والذى ربما كان فى نصف عمرى .

قلت : " امنحنى ثانية فقط ها هنا " .

أجاب : " كلا يا سيدى ، سنأخذ المشتبه بها فوراً " .

ابتعدت عن مارى وقلت بصوت خفيض : " وماذا تعتقد أننى أحاول مساعدتكم على القيام به ها هنا ؟ "

" سيدى . التعليمات التى لدىّ واضحة وصريحة . رجاء ابتعد . هذا شأننا نحن فى القبض عليها " .

كان خيارى الوحيد البديل هو أن يتحول الأمر إلى مشهد قبيح حقاً . وفكرت فى هذا جدياً ، ولكنى كنت أعلم أن خلافى ليس مع ضباط التوقيف - ولكن مع رئيسهم . وقد وقع الضرر بالفعل على أية حال .

فى غضون ثوان ، أوقفوا مارى واجنر على قدميها ودفعوها خارج الباب . كانت فوطة الأطباق الملطخة بالدم مكورة وملقاة على الأرضية ، وبقعة دم طويلة على المشمع .

صحت من ورائهم : " الإسعافات الأولية ! " وما عاد بإمكانهم سماعى بعد ذلك ، ولم يهتموا حتى بما كنت أقوله .

أقسم أننى أردت ضرب أحدهم . وتفاقم بداخلى الإحباط والغضب ، وعلمت إلى أين آخذ هذا الغضب ، واندفعت إلى أقرب رقيب شرطة .

وصحت بأعلى صوتى : " أين المدعو مادوكس فيلدنج ؟ أين هو ؟ " .

الفصل ٩٣

" ابتعد يا كروس ! "

قالها فيلدنج قبل أن أقترب منه . كان بالخارج على الرصيف قبالة منزل مارى واجنر ، يتناقش مع واحد من ضباط التوقيف .

تحول الحى من الحالة المعهودة لإحدى الضواحى إلى مشهد قوات الشرطة الذى لم يره أبداً أغلب الناس ، أو لم يرغبوا فى رؤيته .

سُد الشارع بسيارات الشرطة ، أغلبها مازالت أضواؤها تدور .

كما أن شريط مواقع الجرائم الأصفر البراق امتد عبر السياج ووضع حد من الحوامل الخشبية خارج العقار ، ليصد الجمع المتزايد من الفضوليين ممن يرغبون فى رؤية شىء من تاريخ الجريمة الحقيقى حالة حدوثه .

مارى سميث تعيش فى ذلك المنزل . هل تتخيل هذا ؟ فى حينا ؟ رأيت اثنين من سيارات نشرات الأخبار ظهرت فى المكان بالفعل . تساءلت عما إذا كان مادوكس فيلدنج قد رتب مسبقاً تغطية بسيطة لنصره الكبير ، وهو ما زاد غضبى اشتعالاً .

صحت به : " ما الغرض من وراء هذا ؟ "

كل ما رأيته كان تعبيراً عن زهوه بذاته وهو يلتفت لينظر إلىّ على مضض .

صحت به : " لقد صنعت مهرجاناً من هذا التوقيف . إنك تسىء إلى مكتب شرطة لوس أنجلوس " .

لم أعلم من يسمعنى ، ولم أهتم بذلك ؛ تمنيت فقط أن يكون الأمر محرجاً لفيلدنج . لعلها هذه هى اللغة التى يستخدمها . ظل وجهه بلا تعبير واضح .

" عميل كروس ــ " .

" أتعرف ماذا فعلت لتوك بفرصك فى الحصول على اعتراف ؟ "

صاح بى أخيراً : " لست بحاجة لاعتراف ! لست بحاجة إليه لأننى لدىّ ما هو أفضل منه " .

" ما الذى تتحدث عنه ؟ "

أومأ برأسه فى تكرم وتفضل . كانت المعلومات هى العملة الصعبة هنا، وكانت بحوزته . ما الذى كان يخفيه بحق السماء ؟

قال لى : " لعلك ترى أننى مشغول . سيكون تقريرى متاحاً لمكتب المباحث الفيدرالية ـ ما إن يصبح جاهزاً " .

لم أتمكن من السير مبتعداً . صحت فيه : " لقد منحتنى وقتاً للمقابلة . لقد وعدتنى ! " .

كان قد تحول مبتعداً بالفعل لكنه الآن استدار عائداً إلىّ .

" لقد قلت إنه إذا ما تغير أى شىء ، فقد انتهى الأمر . هذا ما قلته لك بدقة " .

" اللعنة ، فما الذى تغير ؟ "

توقف لحظة : " اللعنة عليك يا عميل كروس . لست مضطراً أن أجيب عليك " .

اندفعت نحوه ، ولعل هذا ما أراده تماماً . تدخل بيننا اثنان من رجاله ودفعانى للخلف . حسناً جداً ، ولكن كان سيشعرنى بالرضا أن أمحو ذلك

الازدراء **المتهكم من وجهه محواً** ، بل والأفضل أن أعيد تنسيق بعض من ملامحه **فى عجالة** . تخلصت من الضابطين وسرت مبتعداً .

ومع هذا ، فقبل أن أبدأ فى الهدوء ، كنت أطلب رقماً من هاتفى الخلوى .

" جين جاليتا " .

" أنا آلكس كروس . هل تعرفين أى شىء بشأن القبض على مارى واجنر ؟ "

" أنا بخير ، شكراً لك . وكيف حالك أنت ؟ "

" آسف . ولكن هل تعرفين ، جين ؟ أنا بمنزلها الآن . إنها فوضى غير معقولة . لن تصدقى مدى انحطاط الأمر " .

صمتت جين ثم قالت : " لم أعد فى القضية الآن " .

" هل لى بجواب مختلف بشكل شخصى ؟ "

" ربما " .

" أريحينى إذن . رجاء يا جين . أنا بحاجة لمساعدتك . ليس لدىّ وقت للالتفافات " .

رق صوتها أخيراً وقالت : " ما الذى يحدث هناك ؟ تبدو منزعجاً فعلاً " .

" إننى منزعج . كل شىء ضاع . كنت فى منتصف لقاء معها عندما اقتحمت المنزل شرطة لوس أنجلوس كأنها عربة مهرج لعين فى سيرك . كان أمراً سخيفاً يا جين وبلا داع . فيلدنج يعرف شيئاً ما ، ولن يصرح به " .

قالت جين : " سأوفر عليك خطوة . إنها هى . هى التى ارتكبت تلك الجرائم يا آلكس " .

" كيف تعرفين ؟ كيف عرفت شرطة لوس أنجلوس ؟ ما الذى يجرى ؟ "

" هل تذكر الشعرة التى وجدت فى دار السينما عند مقتل باتريس بينيت ؟ حسناً ، لقد أخذوا إحدى الشعرات من سترة مارى واجنر

بخزانتها فى الفندق . وأظهرت النتائج أنه نفس الشعر . تصرف فيلدنج بناء على هذا " .

راح عقلى يعمل بسرعة ، واضعاً هذه المعلومة الجديدة جنباً إلى جنب مع كل شىء آخر . قلت لها أخيراً : " أرى أنك تقومين بعمل طيب ببقائك بعيداً عن القضية " .

" لا أستطيع منع نفسى من السماع عَرَضاً " .

" إذن هل سمعت عن المكان الذى سيأخذونها إليه ؟ "

ترددت جين ، ولكن لثانيتين فحسب ثم قالت : " ربما قسم شرطة فان نويز فى سيلمار آفينو . ويحسن بك أن تسرع " .

" أنا فى الطريق إلى هناك " .

الفصل ٩٤

توجهت رأساً نحو قسم فان نويز ، لكنى واجهت حائطاً مسدوداً : فقد قالوا لى مباشرة إن مارى واجنر لم تكن محتجزة هناك .

لم يكن هناك أى شىء يمكن لى فعله مع مكتب شرطة لوس أنجلوس لأخرجهم عن موقفهم : بحوزتهم هذه المرأة ، المشتبه بها الخاصة بهم ؛ ولن يتقاسموها مع أى كائن . لم يستطع حتى رون بيرنز مساعدتى ، أو لم يرد .

لم أتمكن من رؤية مارى حتى الصباح التالى . وبحلول ذلك الوقت ، كان مكتب شرطة لوس أنجلوس قد قام بنقلها إلى حجز مؤقت بوسط المدينة ، حيث احتفظوا بها معزولة كلية من أجل استجوابها ـ دون إحراز أى تقدم ، كما توقعت .

أحد المفتشين المتعاطفين وصف لى حالتها بأنها فى موضع ما بين القنوط التام والخبل العقلى ، وظللت بحاجة لرؤية مارى واجنر بنفسى .

عندما وصلت إلى مرفق وسط المدينة ، كان المتجمعون من وسائل الإعلام ضعف حجم أى شىء قد رأيناه حتى الآن ، وذلك أمر بسيط . فعلى مدى

أسابيع ، كانت قضية قناص هوليود قد تصدرت عناوين الصحف القومية ، وليست المحلية فحسب . والصورة التى التقطت لها من أجل ملفات الشرطة صارت فى كل مكان الآن ، لامرأة خاوية النظرة شعثاء الشعر تبدو مثل قاتلة إلى حد كبير .

آخر شيء سمعته قبل أن أغلق راديو سيارتى كان ممازحة برنامج حوارى صباحى سخيف ورطانة لها صبغة علم النفس حول سبب ارتكابها لجرائمها ضد النساء الثريات والشهيرات فى هوليود . أحد المتصلين " المهتمين " سأل مذيع البرنامج قائلاً : " ما رأيك فى أن تلعب كاثى بيتس دور مارى ؟ إنها ممثلة عظيمة " . لكن المذيع كان مبتهجاً لدرجة جعلته لا يضطر لمسايرة المتصل .

قال : " لقد كبرت فى السن جداً ، كما أنها قامت بالفعل ببطولة فيلم Misery أعتقد أنه من الممكن التفكير بنيكول كيدمان ، إذا ما لجأت إلى تركيب أنف أخرى مزيفة ، وقطعة شعر مستعار ، وزادت ثلاثين رطلاً ، وسيكون الأمر على ما يرام " . أجاب المذيع : " أو ربما ميريل ستريب ، أو إيما تومبسون ؟ وكيت وينسلت ستكون قوية جداً " .

استغرق دخولى إلى قسم الشرطة ٤٥ دقيقة تقريباً . كان علىّ التحدث إلى أربعة أشخاص مختلفين وأن أبرز هويتى ست مرات تقريباً لمجرد أن أصل إلى غرفة الاستجواب الصغيرة حيث سيحضرون لى مارى واجنر . فى نهاية الأمر ـ بعد مرور وقت طويل .

حين رأيتها أخيراً ، كان رد فعلى الأول هو الشفقة على نحو مثير للدهشة .

بدت مارى كما لو أنها لم يغمض لها جفن ، مع هالات بلون الكدمات تحت عينيها ، ومشية غير متزنة ومتهدلة . اختفى الزى الموحد الوردى للفندق . وهى الآن ترتدى سروالاً رمادياً لا شكل له وقميصاً قطنياً قديماً من جامعة كاليفورنيا منقطاً بلون أصفر شاحب مثل لون مطبخها .

بدا على عينيها أنها تعرفت علىّ بشكل طفيف حين رأتنى . ذكرتنى حينها ببعض مرضى الزهايمر ممن كنت أعتاد زيارتهم فى سان آنتونى بواشطن العاصمة .

أخبرت الحارس أن ينزع عنها القيود وينتظر بالخارج . قالت له : " سأكون على خير حال معها . فنحن أصدقاء " .

" أصدقاء " رددت مارى بينما كانت تحدق فى عينى بعمق .

الفصل ٩٥

" **ماري ، أتتذكرينني من يوم الأمس ؟** " هكذا سألتها ما إن خرج الحارس إلى الردهة . جررت مقعداً وجلست قبالتها . كانت المنضدة المستطيلة العارية بيننا مثبتة إلى الأرضية ، وكانت الغرفة الصغيرة شديدة البرودة ، وبها تيار هواء ينبعث من مكان ما .

قالت في بلادة : " أنت السيد كروس . عميل المباحث الفيدرالية اعذرني ، أنا آسفة " .

" ذاكرتك حسنة . أتعلمين سبب وجودك هذا ؟ "

توترت ، رغم أن توترها هذا ظهر بالكاد من خلال تعبير وجهها الخاوي . " يظنون أنني تلك المرأة . يتهمونني بارتكاب جريمة قتل " سقطت نظرتها المحدقة نحو الأرضية : " بل جرائم قتل . أكثر من واحدة . كل هؤلاء المشاهير في هوليود . يظنون أنني قمت بهذا " .

سررت فعلاً لأنها تحدثت عنهم بوصفهم " هم " ، مما يعني أنني قد أكون مازلت في نظرها حليفاً لها . وربما قد تطلعني على بعض أسرارها على كل حال ، وقد لا تفعل .

قلت : " لسنا مضطرين إلى التحدث بهذا الشأن إن لم ترغبي في ذلك " .

طرفت عيناها ، وبدا عليها التركيز قليلاً . أدارت بصرها نحوي ، ثم نظرت للأسفل نحو الأرضية .

سألتها : " هل ترغبين في أي شيء ؟ هل تشعرين بالعطش ؟ "

أردت أن تشعر بالارتياح بقدر الإمكان معي ، لكنني كنت أشعر كذلك بضرورة أن أساعد هذه المرأة . لقد بدت بصورة مريعة جداً ، وقد تكون خارج حالتها الطبيعية .

رفعت بصرها الآن ، عيناها تفتشان عن عيني : " هل لي بقدح من قهوة ؟ هل سيكون طلبي هذا فيه مشقة ؟ "

جاءت القهوة ، وأمسكت ماري الكوب الورقي بأطراف أصابعها ورشفت منه بشكل رقيق أدهشني . بدا أن القهوة أنعشتها قليلاً .

راحت تختلس النظرات نحوي ، ودون تفكير راحت تمسح على شعرها وقالت : " شكراً لك " . صارت عيناها أكثر بريقاً بصورة طفيفة ، ورأيت ظلا للمرأة الودودة التي رأيتها باليوم السابق .

" ماري ، ألديك أية أسئلة عما يجري ؟ أنا واثق أنه لديك " .

وفي الحال ، عبرت سحابة كآبة بوجهها . كانت مشاعرها هشة بشكل واضح . انهمرت الدموع من عينيها فجأة ، وأومأت برأسها دون كلام .

" ماذا هنالك يا ماري ؟ "

نظرت عالياً نحو ركن السقف ، حيث وضعت كاميرا تراقبنا وكنت أعلم أن هناك الكثير من المحققين المختصين بالاستجواب والمختصين بالتحليل النفسي متجمعون على بعد ما لا يقل عن عشرة أقدام من موضعنا .

بدا على مارى أنها تخمن ذلك أيضاً . عندما كانت تتحدث ، حرصت على الهمس .

قالت : " لا يريدون إخبارى بأى شىء عن أطفالى " وتغضن وجهها وهى تغالب المزيد من الدموع .

الفصل ٩٦

" **أطفالك ؟** " سألتها حائراً نوعاً ما ، لكنى سايرتها فى ما كانت تقوله .

" أتعلم أين هم ؟ " تهدج صوتها ، لكن طاقتها زادت قليلاً بالفعل .

" كلا ، لا أعلم " أجبتها صادقاً . " يمكننى أن أتبين ذلك . سأحتاج إلى المزيد من المعلومات منك " .

" فلتتبين فوراً . سأخبرك بما تحتاج لمعرفته . إنهم أصغر سناً من أن يبقوا وحدهم " .

سألتها : " كم طفلاً لديك ؟ "

بدت شديدة الدهشة من السؤال : " ثلاثة . ألا تعرف مسبقاً ؟ "

أخرجت دفترى . " ما هى أعمارهم يا مارى ؟ "

" بريندان فى الثامنة ، آشلى فى الخامسة ، وآدم بلغ أحد عشر شهراً " . كانت تتحدث وتتوقف بينما كنت أدون ذلك كله .

أحد عشر شهراً !

كان من الممكن ولا شك أن تكون قد أنجبت قبل عام مضى ، ولكن لسبب ما تشككت فى هذا كثيراً .

راجعت الأعمار لأتأكد مما قالته . " ثمانية ، خمسة ، وأحد عشر شهراً ؟ "

أومأت مارى : " صحيح " .

" وكم عمرك يا مارى ؟ "

للمرة الأولى ، رأيت الغضب يظهر على وجهها . كورت يديها فى قبضتين صلبتين ، أغلقت عينيها ، وناضلت لتسيطر على نفسها . لم كان كل هذا ؟

" إننى فى السادسة والعشرين ، بحق السماء . ما الفارق الذى يمثله هذا ؟ ألا نعود لأمر أطفالى الآن ؟ "

السادسة والعشرون ؟ ولا قريب من هذا حتى . يا للهول . ها هى ذى ، الثغرة الأولى .

نظرت نحو ملاحظاتى ؛ ثم قررت أن أثب وثبة صغيرة معها . " وإذن فإن بريندان ، وآشلى ، وآدم يعيشون معك بالمنزل . أهذا صحيح ؟ "

أومأت مرة أخرى . حين أحصل على معلومة صحيحة ، بدا أن هذا يهدئها بدرجة كبيرة . ساد الارتياح وجهها ، وبدا عندئذٍ أنه يستمر متسرباً إلى جسدها .

" وهل كانوا بالمنزل أمس حينما كنت هناك ؟ "

بدت متحيرة الآن ، وعاد الغضب إلى وجهها مرة أخرى : " أنت تعلم أنهم كانوا هناك يا عميل كروس . لقد كنت هناك . لماذا تفعلون ذلك ؟ "

ارتفع صوتها وهى تتحدث . وتهدجت أنفاسها . " ماذا فعلتم أيها الناس بأطفالى ؟ أين هم الآن ؟ أحتاج الآن لأن أراهم . **الآن فوراً** " .

فتح الباب ، ورفعتُ يدى للحارس دون أن أبعد عينى عن مارى .

كان واضحاً أن نبضها يتسارع بينما بدا الاضطراب يستولى عليها .

كانت مجازفتى معها محسوبة .

قلت برقة : " مارى ، لم يكن هناك أى أطفال بالمنزل أمس " .

كانت **استجابتها فورية** ، وشديدة .

جلست **منتصبة** الظهر وصرخت بى ، تصلبت عضلات رقبتها .

" أخبرنى ما الذى فعلتموه بأطفالى ! أجب عن هذا فوراً أين أطفالى ؟ أين أطفالى ؟ "

سمعت خطوات على الأرض من خلفى ، نهضت واقفاً بحيث أكون أول من يصل إليها .

كانت تهذى الآن ، وتصرخ أعلى وأعلى .

" قل لى ! لماذا لا تريد أن تخبرنى ؟ " والآن راحت تبكى ، وشعرت بالأسف نحوها .

مشيت ببطء حول المنضدة . صحت باسمها : " مارى !" ولكنها لم تستجب البتة لصوتى ، ولا لتحركى نحوها .

" أخبرنى أين أطفالى ! أخبرنى ! أخبرنى ! أخبرنى ! الآن فوراً ! " .

" مارى — " .

انحنيت عليها وأمسكتها من كتفيها ، بأرق ما أمكننى فى هذا الظرف .

" أخبرنى ! " .

" مارى ، أنظرى إلىَّ ! أرجوك " .

وعندئذٍ مدت يدها نحو مسدسى .

الفصل ٩٧

لابد أنها قد لاحظت جراب السلاح المعلق بداخل سترتى . وفى ثانية واحدة ، وصلت له وكانت يدها على مقبض مسدسى .

صحت بها : " مارى ! كلا ! " .

وبشكل غريزى دفعت ظهرها إلى مقعدها ، لكن المسدس انخلع من جرابه وحصلت عليه . لحظتُ ضوءاً فى عينيها ، كانت عيناها مفتوحتين ويطل منهما الجنون .

ألقيت بثقلى عليها ، ممسكاً بمعصمها بيد والمسدس بالأخرى وواصلت الصياح باسمها .

بعدئذٍ ، سقط كلانا فوق المقعد فانهار بفرقعة عالية . كنت ألاحظ بالكاد الأشخاص الذين انتشروا حولنا . لكن تركيزى بقى عليها هى .

تشنجت ، واحمر وجهها ، وهى تصفع جانبى بقبضتها الطليقة . والآن ركزت بركبة على صدرها ومازالت إحدى يدى على معصمها ، مثبتاً المسدس إلى الأرض . لكنها كانت قوية كما بدا عليها .

وكان **إصبعها ملتفاً بالفعل** حول زناد المسدس . انحنت بشدة ، وهى تصوب ماسورة المسدس نحو نفسها ـ وتهجم برأسها لتصطدم بى . كانت تعلم تماماً ماذا تفعل .

" كلا يا مارى ! " .

وبشحنة من الأدرينالين ، واجهتها بشحنة من المقاومة تعادل قوتها ، ونجحت فى تصويب يدها الممسكة بالمسدس نحو السقف . ثم طوحت بالمسدس لأسفل بشدة على الأرضية .

أطلق المسدس رصاصة نحو حائط غرفة التحقيق ، حتى بعدما سقط من قبضتها . التقطته ، وكان صوت الطلق مازال يدوى فى أذنى ، وجانب وجهى كان خدراً .

مرت لحظة قصيرة من الصمت المطبق .

توقفت مارى عن الصراع فى الحال ، وعندئذ ، كصدى لا يصدق لأحداث اليوم السابق ، أحاطت بها الشرطة مثل جيش صغير . رفعوها إذ سقطت من جديد .

كنت أستطيع سماع صوت بكائها الذى انطلق بلا رادع ، بينما كانوا يحملونها بعيداً .

" أطفالى الصغار ، أطفالى ، صغارى المساكين . أين أطفالى ، أين ؟ أين؟ ماذا فعلتم بأطفالى ؟ "

تراجع صوتها فى الردهة إلى أن انغلق باب ثقيل مصفوقاً بشدة ، واختفت . لا عجب أننى لم تتح لى الفرصة من أجل لقاء آخر .

ما زاد الأمر سوءاً ، إذا أمكن له أن يسوء أكثر ، أننى رأيت جيمس ترسكوت بعد أن غادرت المبنى بنحو ساعة . كان بين جمع غفير من الصحافيين المتزاحمين أمام المبنى فى انتظار أى فتات أخبار .

صاح بى : " كيف أخذت مسدسك يا د. كروس ؟ كيف جرى هذا ؟ " لقد كان على علم بالقصة بطريقة ما .

الفصل ٩٨

لم يكن بوسعى سوى أن أتساءل بشأن أسباب المرض العقلى لـ مارى واجنر والكرب الواضح والضغوط التى تنوء تحتها ، لا شك أنه لم يتح الوقت لعمل تقييم نفسى له شأن ، قد اقترب دورى فى التحقيقات على الانتهاء الآن ، سواءً راق لى هذا أم لم يرق . ولكى أكون صريحاً كانت تنتابنى مشاعر مختلطة .

فى وقت مبكر من بعد الظهيرة ، كانت الحالة العقلية لـ مارى نقطة خلاف . واتضح أن تفتيش مكتب شرطة لوس أنجلوس لمنزلها أسفر عن العديد من الأدلة .

اكتشف مسدس والثر بى بى . كى تحت بطانية فى العلية الصغيرة ، ولقد أثبتت الفحوصات الجنائية المبدئية أنه يتطابق مع المسدس المستخدم فى جرائم القتل .

كما عثرت وحدة البحث الجنائى على نصف دستة من صفحات ملصقات الأطفال ، والأكثر مغزى من هذا ، الصور الفوتوغرافية المسروقة من مكتب مارتى لوينشتاين - بيل ومن حافظة سوزى كارتوليس . وقام كل

من مايكل بيل وجيوفانى كارتوليس بالتعرف على الصور وإثبات أنها تخص بالفعل زوجتيهما القتيلتين .

" وأفضل ما فى الأمر ، والأهم على أى حال " - هكذا أعلن فريد فان آلسبرج للمجموعة الصغيرة من العملاء المتجمعين بمكتبه - " حل منتصف النهار ومضى بلا أحداث . ما من جريمة جديدة ، وما من رسائل إليكترونية جديدة . انتهى الأمر . أعتقد أننى أستطيع أن أقول ذلك مطمئناً " .

ساد الجو الكثير من البهجة والتهانى . فالجميع كانوا مسرورين لأنهم سيلقون بهذا وراء ظهورهم ، لكن تفاصيل القضية ستظل مسئولية معظم أفراد الفريق لبعض الوقت ، تماماً كما حدث مع قضية قناص واشنطن التى مازالت تتلكأ بمبنى جى إدجار هوفر . إنه شعور غير مرض ومزعج ، ولكنه كذلك جزء مما يدفعنا لتحسين أدائنا .

اقترب منى أخيراً فان آلسبرج وقال : " آلكس ، إننا ندين لك بهذه الجولة . كان جهدك المبذول فى القضية لا يقدر بقيمة علىّ أن أقول هذا . عرفت لماذا أرادك رون بيرنز قريباً من المركز " .

طافت بالغرفة بعض الضحكات المزعجة . جاء العميل بيج من الخلف وربت كتفى . سيصعد نجمه فى المكتب ، إذا هو حرص على شغفه بحل القضايا .

قلت راجعاً لما أعتقد أنه الأكثر أهمية : " مازلت أود أن ألقى نظرة على ذلك الدليل الأخير الذى عثر عليه مكتب لوس آنجلس . وربما أعقد لقاء حقيقياً مع مارى واجنر " .

هز فان آلسبرج رأسه : " ليس هذا ضرورياً " .

شرعت أقول : " ما من سبب بالنسبة لى يمنع من مواصلة العمل ليوم آخر - " .

" لا تقلق بهذا الشأن . كل من بيج وفوجيشيرو بارعان فيما يخص التفاصيل ؛ سأجعلهما يعودان للعمل . وإذا احتجنا لك حقاً من جديد ،

فهناك دائماً رحلات طيران فى كل الأوقات أليس كذلك ؟ " كانت نبرة صوته متفائلة بشكل مصطنع .

" فريد ، لم تكن مارى واجنر لتتحدث إلى أى شخص قبل مجيئى . إنها تثق بى " .

قال : " إنها وثقت بك على الأقل . ولعلها لن تفعل ذلك مجدداً " . تلك كانت عبارة مباشرة ، ولكنها ليست عدوانية .

" مازلت الشخص الوحيد الذى ارتاحت للتحدث معه . سمعت أن مكتب لوس أنجلوس لم يصل إلى شىء معها " .

" كما قلت لك ، لن يتطلب منا الأمر سوى رحلة طيران إذا احتجنا لعودتك . تحدثت حول هذا مع المدير بيرنز ووافقنى . ارجع للديار وعد لأحضان أسرتك . لديك أطفال ، صح ؟ "

" نعم ، لدىّ أطفال " .

بعد ساعات ، كنت أحزم حقيبتى بالفندق ، وكنت مصدوماً بشدة بنوع آخر من الإدراك : ففى الحقيقة ، لم أكن أطيق صبراً على الرجوع للمنزل . فقد كانت راحة عظمى أن أعود إلى واشنطن العاصمة مجدداً ، دون أى خطط للسفر الفورى .

لكن ـ وكم كانت مهمة " لكن " هذه ـ فلم كانت تلك الحقيقة بعيدة كل البعد عن عقلى خلال وجودى بمكتب فان آلسبرج ؟ ماذا كانت تلك الغمامات التى أضعها على عينى ، وكيف واصلت نسيانها ؟ أى نوع من المكالمات الهاتفية الفارقة أحتاج إليها لتوقظنى قبل أن تبلغنى الرسالة ؟

اكتشفت شيئاً آخر فى طريقى إلى المطار . وكم صدمنى . إنها الأحرف (أ) و (ب) على ملصقات الأطفال فى مسرح الجرائم . علمت مغزاها . إنها أسماء أطفال مارى الوهميين ، آشلى ، آدم وبريندان . اثنان (أ) وواحد (ب) .

فى طريقى إلى لوس أنجلوس اتصلت بالعمل .

الجزء الخامس

نهاية الحكاية

الفصل ٩٩

انتهى أمر راوى الحكاية مع القتل. النهاية . قضى الأمر ، وما من أحد سيعرف الحقيقة الكاملة بشأن ما حدث . نهاية الحكاية .

وهكذا فقد ألقى بنفسه فى خضم حفلة مع بعض أعز أصدقائه من بيفرلى هيلز .

أخبرهم أنه حصل لتوه على عرض لكتابة سيناريو فيلم من أجل واحد من أفضل المخرجين ، فيلم تشويق غبى معتمد على كتاب غبى حقق أفضل المبيعات . ولديه تصريح بأن يغير أى شىء لا يروق له ، ولكن هذا كل ما يمكنه أن يصرح به فى هذا الشأن حالياً . فالمخرج كان يعانى من القلق ـ وهكذا ما الجديد ؟ ولكن يجب عمل حفلة كبيرة بلا شك .

ظن أصدقاؤه أنهم فهموا ماذا يجرى من ورائهم ، مما إعطاه فكرة عن مدى ضعف معرفتهم له . أعز أصدقائه فى العالم أجمع ـ رباه ، ما من أحد منهم يعرفه البته . ما من أحد يرتاب فى أنه قد يكون قاتلاً . أى جنون عجيب كان ذلك ؟ لا أحد يعرف حقيقته .

كانت الحفلة في مقهى سناك بين آل هاوس ، وهو يقع فى ميلروز حيث عقدوا اتحاداً خرافياً لكرة القدم خلال أيامه الأولى فى لوس آنجليس بعد أن وصل بفترة قصيرة من جامعة براون لكى يمثل ، وربما يشارك فى كتابة سيناريوهات جادة ، ولها قيمة ، وليس اللغو التافه الخاص بإيرادات شباك التذاكر .

" مشروبكم المجانى اليوم هو المياه الغازية ! " هكذا قال كلما وصل كل واحد من أصدقائه إلى المقهى " والعصائر للأغبياء من بينكم . وأظن أن الجميع سيشرب العصير " .

لم يشرب أحد عصيراً ، ولا واحد من الأربعة عشر صديقاً الذين وفدوا إلى الحفل . كانوا جميعاً سعداء لرؤيته يعود للانطلاق ، وكذلك سعداء بعرضه الجديد - على الرغم من أن بعضاً من أكثرهم صدقاً اعترفوا بشعورهم بالغيرة منه . وبدأ الجميع ينادونه بسيناريست " الدرجة الأولى " .

كان لايزال هو ودافيد وجونبوى وفرانكى فى المقهى عندما أغلق بعد الساعة الثانية صباحاً بقليل . كانوا قد انهمكوا فى تحليل مفرط لأحد الأفلام هو We Don't Live Here Anymore . وأخيراً خرجوا وقد غلبهم النعاس وتبادلوا العناقات الهوليودية فى الشارع إلى جوار سيارة جونى البنتلى العفنة - يتحدثون حول السيد " درجة أولى " - وعيوب الفيلم الأخير الذى أنتجه ، أكثر من ٤٠٠ مليون دولار على مستوى العالم ، مما أصاب الآخرين جميعاً بالغثيان لأنه لم يبذل جهداً كبيراً فى تحويل رواية رسوم متحركة إلى فيلم عشرة ميللمتر . عبقرى ، صحيح ؟ بلى - لأنه أحرز نتيجة .

" إنى أحبك يا رجل . أنت أفضل الجميع ، أنت مقزز ، مزعج جداً ، وغد لافت للأنظار " . " وأنت كذلك يا دافيد ! " صاح الراوى بذلك بينما كانت السيارة البنتلى الفضية تخرج من ساحة الانتظار وتسرع باتجاه الغرب .

صاح دافيد رداً عليه : " أعرف - أنا الآن وغد فحسب . لكنْ لدىَّ أحلاماً بأن أكون مقززاً ، مزعجاً جداً ، ولافتاً للأنظار كذلك . وموهوباً - وهو ما سيؤخرنى عن التقدم فى هذه المدينة " .

صاح : " يا رجل - سمعتك وأفهمك " .

" أراك قريباً يا درجة أولى . أيها الكاتب المستأجر ! " .

ثم كان يتسكع على جانب الشارع متجهاً نحو سيارته ، سيارة بيمر عمرها سبعة أعوام . ليست سابارىان . إنه فى أمان تام . سعيد سعادة لا توصف - يترنم بإحدى أغنيات جيمى هندريكس ، أغنية " الرياح تنادى باسم مارى " وهى مزحة لا يفهمها أحد سواه .

وفجأة بدأ يبكى ، ولم يستطع منع نفسه من ذلك ، حتى بعد أن جلس فى باحة إحدى العمارات السكنية القذرة والمقرفة واضعاً رأسه بين ساقيه ، منهنهاً مثل الأطفال .

وكان يفكر فى نفسه ، مرة أخرى فقط ، واحدة فقط .

جريمة قتل أخرى واحدة ، وسأكون بخير حال .

الفصل ١١١

فى الصباح التالى ، جافاه النوم ، فقاد سيارته فى أنحاء ميلروز . تجاوز آنجيلو ، والتى كانت فى الماضى باسم إيميلوز ؛ مسرح جراوندلينج الذى شهد انطلاق كل من فيل هارتمان ، تومى تانجز ، وجونى روكيتس الأصلى ؛ والبلو ويل . مدينته ، يا إلهى ، مدينته ومدينة مارى الفخورة .

كانت الساعة الخامسة والنصف ، أو نحو ذلك ، توجه دون تفكير إلى ستارباكس فى ميلروز ، والذى كان مكانه قديماً مطعم " ذى برجر ذات رايت إل . إيه " . عهد طويل . لكنه لا يحب ستارباكس ، لكنه كان مفتوحاً . الأوغاد الصغار الجشعون . تشير الأرقام إلى أنه سيكون مفتوحاً ، أليس كذلك؟ كل شىء محكوم بالأرقام هذه الأيام .

وقد وصل ها هنا ـ أثبتت الأرقام صحتها . الخامسة والنصف صباحاً . وكان بالفعل قد افتتح يومهم .

رباه . كم يحتقر تلك الأماكن المزرية لتقديم القهوة ، ماكدونالدز الجديد ، فرع جديد بلا قيمة مكلف بلا داعٍ . تذكر حين كان قدح القهوة

بخمسين سنتاً ، وهو ما كان مناسباً جداً . ولكن مع " توليفة من سومطرة " ـ أصبح يباع بدولارين ونصف ، وهو لا يستحق سنتاً واحداً ، حيث إن حجم الكوب الكبير منه لا يتعدى قدح قهوة صغيراً .

والمشرف القائم على المكان كان شديد الانشغال بالتنظيم والترتيب بحيث لم ينتبه لزبونه ، عصفوره المبكر ، أول محتسى قهوة لهذا النهار. تغاضى عنه لدقيقة أو نحوها ، لكن المغفل قد بدأ يثير حنقه بأقصى حد .

" سأعود حالاً " قال هكذا أخيراً للساقى الصغير شديد الانشغال وراء النضد ، ما كاد الشاب يلحظه . يا له من مغفل بائس . لا شك أنه ممثل لا يجد عملاً . لا تليق به هذه الوظيفة طبعاً ، أليس كذلك ؟ لديه توجه نفسى واضح ـ وهو ما يفترض أن يكون أمراً طيباً هذه الأيام .

بعد مرور دقيقة عاد الراوى مرة أخرى إلى مقهى ستارباكس ومعه مسدس مخبأ فى جيب سترته ، كان قد بدأ يستعد الآن ، وربما كان ذلك نوعاً من الغباء ، ولكن يا إلهى ، إنه شعور رائع .

حسناً يا صاح ، مسدسى أصابه العطش .

هناك وعندئذٍ بالضبط ، اتخذ القرار . هذا المغفل المتعجرف الذى يريد أن يكون ممثلاً سيسقط من حسابات الدنيا . ستتصدر عناوين أخبار الحوادث غداً .

" أنت يا صاح ، إننى أنتظر من أجل بعض القهوة . ألديكم شىء منها هنا فى ستارباكس ؟ "

وحتى إذ ذاك لم يكلف الساقى الصغير نفسه عناء رفع بصره عن عمله الكثير ، ولوح وحسب بيد طليقة وقال : " سأكون معك " .

راوى الحكاية ، سمع الباب يفتح خلفه . وصل زبون آخر . انبعث من خلفه صوت مغرد لامرأة تقول " هاى ، صباح الخير يا كرستوفر " . لم يلتفت حتى للنظر إليها . عليها اللعنة ، هى أيضاً .

صاح الشاب على النضد : " مرحباً يا سارة " . وصار فجأة مبتهجاً جداً هو الآخر .

والآن اقترب المغفل من المقدمة ، والآن يستيقظ من أجل خاطر سارة .
وعندئذٍ أطلق الرصاص على الشاب فى صدره .
" دعك من القهوة يا كرستوفر . لست بحاجة لها الآن . لقد فقدت أعصابى " .
ثم استدار ليرى أمر المرأة . كانت المرة الأولى التى ينظر إليها .
شقراء يبدو عليها المرح ، لعلها فى منتصف الثلاثينيات ، ترتدى سترة جلدية سوداء على سروال أسود ضيق .
قال لها : " مرحباً ، صباح الخير يا سارة " هكذا بشكل اعتيادى كما لو كان يعرفها . " أترتدين الأسود من أجل الجنازة ؟ "
" المعذرة — " .
وأطلق عليها الرصاص ، هى الأخرى . مرتين . ثم مرة أخرى على الساقى الصغير .
جريمة قتل أخرى واحدة ، أليس كذلك ؟ كان يفكر هكذا . حسناً ، لعلها اثنتان أخريان .
سرق النقود الموجودة بالخزانة ، وأخذ حقيبة يد سارة الرثة المصنوعة من جلد الغزال ، وخرج إلى صباح لوس أنجلوس المبكر . انبعث ضباب ودخان ، باتجاه الغرب ، عبر ستانلى ، وسباولدنج ، وجينيسى .
مارى سميث على الطريق من جديد ، أليس كذلك ؟

الفصل ١٠١

نظرت إلى جانى فى المرآة العاكسة . سألتها : " متحف الجاسوسية ، هه ؟ "
أومأت : " من غير شك ! " .
كان من حظها اختيار المكان لما بعد ظهر السبت فى الاقتراع الصغير الذى قمنا به . والليلة كانت من نصيبى أنا ، والأحد نصيب الجدة ، وليلة الأحد كان وقت دايمون للخروج مع أصدقائه . تم تخطيط إجازة نهاية الأسبوع الخاصة بعائلة كروس ، وكان قد بدأ تنفيذها فعلياً .
قضينا فترة بعد الظهر نتعلم بشأن النينجا والطقوس السرية الغامضة ، وجواسيس الظلال ، وإحدى العقائد التى لابد أنها فاتتنى خلال تلقى دروسى فى كوانتيكو . اختبر الصغار قوة ملاحظتهم فى مدرسة الجواسيس ، وحتى أنا نفسى تأثرت ببعض نماذج ودعائم عالم المستقبل التى لديهم فى قسم القرن الحادى والعشرين الموجود بالمتحف .
وبما أن العشاء كان من اختيارى ، فقد قررت أن أجعل الجميع يتعرفون على الأطعمة الأثيوبية . وكان كل من جانى ودايمون يبليان بلاء

حسناً فى التعرف على المزيد من المذاقات الغريبة ـ ما عدا طعام الكيفتو ، والذى هو عبارة عن لحم مفروم متبل بالملح والفلفل الأسود ، راق لهم تناول الطعام بأصابعهم ، وهو ما أسمته الجدة " طعام الوطن الحقيقى " .

حين نهضت الجدة وجانى للذهاب لغرفة السيدات ، التفت دايمون نحوى . قال : " تعرف أن بوسعك دعوة د. كايلا كولز إذا أردت ذلك " . ثم هز كتفيه .

تأثرت بملاحظة دايمون من رجل إلى رجل . بل لعلها كانت شيئاً محبباً جداً ، عدا أنه كان سيمقت منى تصريحى بهذا على هذا النحو .

قلت وأنا حريص على الوضوح والجدية : " شكراً يا داى . سنتناول أنا وكايلا العشاء يوم الثلاثاء . أنا ممتن لفكرتك " .

" إنها سيدة طيبة . الجميع يعتقدون ذلك . وأنت بحاجة لشخص ما كما تعرف " .

" بلى ، أعرف " .

" كما أنها الشخص الوحيد الذى بوسعه أن يجعل الجدة تقوم بأمور لا ترغب فى القيام بها " .

ضحكت ، وقد أعجبنى أنه يلاحظ الكثير من الأشياء بخصوص كايلا ، وكانت ملاحظاته غالباً حادة وصحيحة .

سألت الجدة ، وقد عادت فجأة للمائدة من جديد " ما الأمر المضحك هكذا ؟ ما الذى فاتنى ؟ "

سألت جانى ، بإلحاح : " ماذا هناك . أريد أن أعرف ما الذى يجرى . هل كان بشأن متحف الجاسوسية ؟ هل تسخران منى ؟ لن أكون محط سخريتكما " .

قال دايمون : " إنها أمور رجال " .

" أراهن أنه بخصوص دكتورة كولز " . صار صوت جانى أكثر حدة وارتفاعاً وقد قادتها غرائزها للإجابة الصحيحة تماماً .

" إننا نحبها يا بابا . " هكذا أكملت كلامها ، حين لم أكن مضطراً لتوكيد ولا لنفى تخمينها .

" نعم ، ولكنكم تحبون الجميع " .

" فلتخمن عمن ورثت ذلك ؟ "

قالت الجدة : " لابد أن ندعوها للعشاء " .

قال دايمون " أى يوم غير يوم الثلاثاء " .

اتسعت ابتسامة جانى ، وكذلك اتسعت عيناها : " نعم . لعل ليلة الثلاثاء هى ليلة اللقاء . أليس كذلك يا بابا ؟ هل كلامى صحيح ؟ "

الفصل ١٠٢

كانت ليلة الثلاثاء موعدى مع كايلا كولز .

وأيضاً قابلتها يوم الخميس .

وبعد الواحدة صباحاً بقليل ، كنت جالساً مع كايلا على أريكة منزلها الأمامية . كنا رحنا نتحادث لساعتين على الأقل . رشحتنى كايلا للتو للقيام ببعض الأعمال من أجل صندوق حماية الأطفال بواشنطن العاصمة . واستعانت بالإحصاءات لتوكيد وجهة نظرها ـ تماماً كما كانت تفعل الجدة : أربعون مليون نسمة غير مؤمن عليهم فى أمريكا ، طفل جديد يولد بلا تأمينات فى كل دقيقة من كل يوم . بالطبع كنت أود تقديم العون بما أستطيع القيام به مهما كان . حتى ولو لم تكن الظروف كما هى عليه .

سألتنى : " ماذا تفعل يوم السبت ؟ " مجرد طرح السؤال ، بصوتها العذب ، جعلنى ابتسم . أضافت : " هذا لا يتعلق بصندوق حماية الأطفال بالمناسبة " .

قلت : " كنت أتمنى لو أنك انضممت إلينا فى إحدى وجبات الجدة من طهوها المنزلى " .

" ألا يجب أن تسأل الجدة ؟ "

ضحكت : " كانت تلك فكرتها ، أو فكرة أحد الطفلين . لكن الجدة بلا شك جزء من المؤامرة . بل لعلها رئيسة العصابة " .

إذا كان العالم يريد منى التوقف عن مواعدة النساء ، فإن رسالته كانت تثير الحيرة . طوال نهار السبت كنت متوتراً قليلاً بشأن مجىء كايلا مع ذلك . إن هذا يعنى شيئاً ما ، أليس كذلك ؟ جلبها إلى المنزل ـ فى ظل تلك الظروف .

قالت جانى وهى متوقفة لدى باب غرفتى : " تبدو رائعاً يا أبى " .

كنت قد خلعت قميصى وألقيته على الفراش وارتديت كنزة سوداء لها فتحة رقبة على شكل رقم ٧ ، والتى لابد لى أن أعترف أنها كانت جميلة فعلاً ، وكان الأمر محرجاً قليلاً أن يضبطنى أطفالى وأنا أتأنق . دعت جانى نفسها للدخول ، وارتمت على الفراش وراحت تراقبنى بينما أنتهى من ارتداء ملابسى .

" ما الذى يجرى ؟ " هكذا تساءل دايمون بدوره وجلس إلى جوار جانى على الفراش .

" هل سمع أى شخص هنا عن شىء اسمه الخصوصية ؟ "

" لقد صار وسيماً جداً من أجل دكتورة كايلا . على أتم ما يكون من الأناقة . يعجبنى فى اللون الأسود " .

كان ظهرى لهما الآن ، وراحا يتحدثان كما لو لم أكن هناك . كان صوتهما له ملمح مسرحى واستعراضى .

" أتظن أنه متوتر ؟ "

" مممم . ربما " .

" أتظن أنه سوف يسكب شيئاً ما على نفسه أثناء العشاء ؟ "

استدرت نحوهما صائحاً والتقطهما كليهما قبل أن يتمكنا من الانفصال والتلوى هاربين . انفجرا فى الصراخ الضاحك ، وقد نسيا للحظة أنهما قد

كبرا على هذا النوع من المداعبات . رحت أديرهما كليهما على الفراش ، وأنا أقصد مواضع الدغدغة الحساسة والتى أعرفها منذ أيام الدغدغة والضحكات الماضية .

صاحت بى جانى : " سوف تتجعد ملابسك كلها ، توقف ! " .

قلت : " لا بأس ، فسأضطر لتغييرها على كل حال ... عندما أسكب شيئاً على نفسى ! " .

رحت أطاردهما طوال المسافة إلى المطبخ ؛ ثم انضممنا للجدة لمساعدتها بما ستسمح لنا به من أعمال . مثل إضافة الأوراق الخضراء لصحاف التقديم ، وإخراج الأطباق المصنوعة من الخزف الصينى الجميل والشمعدانات الجديدة .

كانت الجدة تستعرض قليلاً ، وربما كثيراً . لا بأس بالنسبة لى ؛ لم أجد أية مشكلة فى تناول أطعمتها الفاخرة ، أبداً .

بعد العشاء الذى كان مدهشاً حقاً ـ مكوناً من دجاجتين مشويتين مطيبتين بالأعشاب مع بطاطس مخبوزة بالفرن ، وسلطة المسكلون والهليون ، وكعكة جوز الهند ـ خرجت أنا وكايلا . أخذنا السيارة البورش ، وقدتها إلى تيدال بايزن ومن هناك إلى نصب لينكولن التذكارى . قمنا بركن السيارة ، ثم تمشينا على طول البركة العاكسة . كانت بقعة بديعة ووادعة فى الليل . ولسبب ما ، لم يكن يرتادها الكثير من السائحين بعد الغروب .

وبينما كنا نقترب من نصب واشنطن التذكارى قالت : " كان كل شىء رائعاً فى منزلك " .

ضحكت : " الأمر رائع أكثر من اللازم بالنسبة لذوقى . ألم تعتقدى أنهم يحاولون بجهد جهيد ؟ "

كان دور كايلا لتضحك : " ماذا أقول ؟ إنهم يحبوننى " .

" ثلاثة مواعيد فى أسبوع . لابد أن هذا أعطاهم فكرة ما " .

ابتسمت كايلا : " ويعطينى بعض الأفكار . أتود سماعها ؟ "

" مثل ماذا ؟ أعطنى مثالاً ، أى على سبيل المثال " .

" منزلى غير بعيد عن هنا " .

" إنك طبيبة بشرية . لابد أنك تعرفين الكثير عن تشريح الجسم الإنسانى " .

" وأنت عالم نفس ، فلابد أنك تعرف الكثير عن تشريح النفس الإنسانية ، صح ؟ "

" يبدو وراء هذا مرح كثير " .

وقد كان كذلك .

وعندئذٍ اعترض العمل طريقنا من جديد .

الفصل ١٠٣

"**ساكون هناك غداً** . هذا أفضل ما يمكننى عمله . سأحجز طائرة إلى لوس أنجلوس الآن فوراً " .

لم أصدق الكلمات التى خرجت من فمى على هذا النحو .

كنت على الهاتف مع فريد فان آلسبرج لدقيقتين أو أقل ، وكان ردى أتوماتيكياً جداً ، تقريباً كما لو أننى مبرمج على الرد بطريقة محددة . أين رأيت شيئاً كهذا ؟ فيلم The Manchurian Candidate ؟ أى دور كنت ألعبه ؟ الطيب ؟ الشرير ؟ أم فى موضع ما بينهما ؟

كنت بلا جدال متعطشاً لمقابلة مارى واجنر مرة أخرى ، يدفعنى الفضول ، وتقريباً بالقدر نفسه يدفعنى الواجب والالتزام . لم يستطع مكتب شرطة لوس أنجلوس أن يجلبها للتحدث ، حدث هذا على مدار أيام كما هو واضح . وهكذا يريدون منى أن أعود إلى كاليفورنيا للاستشارة . وكنت بحاجة للقيام بهذا ـ فمازال هناك أمر ما يضايقنى بشأن قضية الاغتيالات ، حتى ولو كانت مارى مذنبة بقدر ما ظهر أنها كذلك .

بالطبع ، **كنت أريد لهذه الرحلة** أن تكون أقصر ما يمكن . وفى الحقيقة . **فقد تركت كل شىء** محزوماً كما هو عدا فرشاة أسنانى وذلك عند وصولى إلى فندق لوس أنجلوس . ولعل هذا عاوننى على الإحساس كما لو أن الرحلة أمر مؤقت .

وعلى أية حال ، كان موعد لقائى مع مارى واجنر فى العاشرة من صباح اليوم التالى . فكرت فى الاتصال بجميلة ، لكننى قررت ألا أفعل ، وعندئذٍ تماماً علمت أن حكايتى معها انتهت كلية . فكرة حزينة ، ولكنها حقيقية ، وكنت واثقاً أن كلينا يعلم هذا . كان خطأ منا ؟ لم أعلم . هل من النافع أو الضرورى أن نحاول إلقاء اللوم على أحد ؟ غالباً لا ، هكذا فكر د. كروس .

قضيت الليلة أقلب فى تقارير ومخطوطات الأسابيع السابقة ، والتى أرسلها إلىّ فان آلسبرج . وفقاً لكل شىء قرأته ، فإن الأطفال الثلاثة ـ بريندان وآشلى وآدم ـ يبدو أنهم الشىء الوحيد فى عقل مارى .

جعل هذا اتجاهى واضحاً تماماً . إذا كان الأطفال هم كل ما تفكر مارى بشأنه ، فهو الموضع الذى سننطلق منه صباح الغد .

الفصل ١٠٤

فى الساعة ٨,٤٥ صباحاً ، ألفيت نفسى فى غرفة مختلفة لكنها مطابقة فى المظهر مع الغرفة التى شهدت اللقاء الأخير مع مارى واجنر .

قادها الحارس فى الموعد بالضبط ـ بالثانية تقريباً . أمكننى أن أرى كيف تركت الأيام العديدة من الاستجواب أثرها عليها .

لم تنظر نحوى ، وجلست على نحو لا مبال ، بينما قيدها الضابط إلى الطاولة .

ثم اتخذ مكانه بداخل الغرفة ، إلى جوار الباب . لم أفضل هذا ، لكننى لم أمانع . ربما لو كان هناك مقابلة ثانية ، سوف أحاول تهوين هذه المحاذير .

" صباح الخير يا مارى " .

" مرحباً " .

كان صوتها محايداً ، وكانت تحاول أن تظهر أنها تتبع القواعد . ولم يكن هناك تواصل بصرى بيننا رغم ذلك . تساءلت إذا ما كانت قد سجنت قبل ذلك . وإذا حدث هذا ، فلأى سبب ؟

قلت : " **دعنى أخبرك** سبب وجودى هنا ، هل تستمعين إلىّ يا مارى ؟ "

لم تقل شيئاً . كزت على أسنانها وعادت فأرختها ، وهى تحدق فى نقطة واحدة على الجدار . أحسست أنها كانت تستمع ولكن تحاول ألا تظهر هذا .

" تعلمين من قبل أن هناك قدراً لا بأس به من الأدلة ضدك . وأعتقد أنك تعرفين كذلك أنه مازال هناك بعض الشكوك بخصوص أطفالك " .

رفعت بصرها أخيراً ، وكادت عيناها تخترق جمجمتى . وقالت :

" لا شىء هناك إذن لنتحدث بشأنه " .

" بل هناك فى الحقيقة " .

أخرجت قلمى ووضعت ورقة بيضاء على الطاولة وقلت لها : " فكرت أنك قد تودين كتابة رسالة إلى بريندان ، وآشلى ، وآدم " .

الفصل ١٠٥

تغير حال مارى فى طرفة عين ، بالضبط كما رأيتها تتغير قبل ذلك . تطلعت نحوى مرة أخرى ، ورقت عيناها وفمها بصورة ملحوظة . وعبر ملامحها ظهر ضعف مألوف . وحين تكون على هذا النحو ، يصعب ألا يشعر المرء بشىء ما حيال مارى واجنر ، بغض النظر عما اقترفته .

قلت : " ليس مسموحاً لى بأن أنزع عنك الأصفاد ، ولكن بوسعك أن تخبرينى بما تودين قوله . وسأكتبه من أجلك ، كلمة بكلمة " .

سألتنى : " أهذه خدعة ؟ " ، وعملياً كانت ترجو ألا يكون الأمر كذلك . " هذه خدعة من نوع ما ، أليس كذلك ؟ "

كان علىّ اختيار كلماتى فى حرص شديد .

" ما من خدع هناك . ما هى إلا فرصة سانحة لك ، لكى تقولى ما تشائين قوله لأطفالك " .

" هل ستقرأ الشرطة هذا ؟ هل ستخبرنى أنت ؟ أريد أن أعرف إذا كانوا سيقرأونه " .

كانت **استجاباتها تسلب لبى** ، مزيج من الإحساس العالى والسيطرة على الذات .

ذكرتها قائلاً : " كل ما ننطق به هنا يتم تسجيله ، لست مضطرة للقيام بهذا إذا لم ترغبى . إنه اختيارك أنت . اختيارك أنت يا مارى " .

" لقد أتيت إلى منزلى " .

" نعم ، لقد ذهبت " .

" لقد رقت لى " .

" ولقد رقت لى أنت كذلك يا مارى " .

" هل تقف فى صفى "

" نعم ، أنا فى صفك ؟

" إنه جانب العدل ، صحيح ؟ "

" أتمنى ذلك ، يا مارى " .

نظرت فى أنحاء الغرفة ، إما لتزن خياراتها أو بحثاً عن الكلمات المناسبة ، لم أدر أيهما . ثم عادت ببصرها ، وركزت عينيها على قطعة الورق الموضوعة على المنضدة بيننا .

قالت فى همسة : " عزيزى بريندان " .

" بريندان فقط ؟ "

" نعم . أرجوك اقرأ هذا لأخيك وأختك ، لأنك أنت الولد الكبير فى الأسرة " .

رحت أدون هذا حرفياً ، أكتب بسرعة لكى أجارى إيقاعها .

" ماما ستكون مضطرة للابتعاد عنكم لفترة من الوقت ، لكنها لن تكون فترة طويلة ، أعدكم ، أعدكم ذلك .

وحيثما كنتم ، فإننى أعلم أنكم تحصلون على الرعاية الكافية . وإذا شعرت بالوحدة أو رغبت فى البكاء ، فلا بأس فى ذلك ، فالبكاء يعيننا على التخلص من أحزاننا . وجميع الناس يبكون أحياناً ، حتى ماما ، ولكنها لا تبكى إلا لأنها اشتاقت لكم بشدة " .

توقفت مارى ، ومرت بوجهها نظرة سارة ، كما لو أنها رأت للتو شيئاً جميلاً ، وظهر على وجهها ابتسامة تكاد تمزق نياط القلوب .

واصلت تقول : " عندما نجتمع معاً من جديد كلنا ، سنخرج فى نزهة ، ستختار المكان المفضل لك . سنشترى ما نرغب فى تناوله من طعام أياً كان وننطلق بالسيارة إلى مكان جميل ونقضى اليوم بطوله هناك . وربما نذهب لنسبح كذلك . كل ما تشاء يا صغيرى الحبيب . إننى أتطلع لذلك شوقاً منذ الآن .

وخمن ماذا أيضاً ؟ لديكم ملاك حارس يرعاكم طوال الوقت . إنه أنا . أمنحكم قبلات تحية المساء فى أحلامكم عندما تستغرقون فى النوم كل ليلة . ليس عليك أن تخاف لأننى معك هناك . وأنت هنا معى " .

توقفت مارى ، أغمضت عينيها ، وتنهدت بصوت مسموع .

" أحبكم كثيراً جداً ، جداً . المحبة ، ماما " .

والآن ، كانت تنحنى بدرجة أقرب إلى الطاولة أكثر مما بدأت . ثبتت عينيها على الرسالة وهى لاتزال تتحدث إلىّ بصوت رقيق همساً :

" ضع ثلاثة أحرف X وثلاثة أحرف O أسفل الصفحة . إنها قبلة وحضن لكل واحد من الأطفال " .

الفصل ١٠٦

كلما قرأت المزيد زاد تشككى فى أن مارى واجنر قد اختلقت هؤلاء الأطفال الثلاثة اختلاقاً تاماً . وساورنى شعور سيئ حيال ما قد يكون جرى لهم .

قضيت فترة بعد الظهيرة فى محاولة اقتفاء أثر الأطفال . عاد إلىّ تقرير الجرائم المتشابهة بقائمة طويلة من ضحايا أطفال بالتوازى مع نساء قاتلات خلال العقود الأخيرة . لقد سمعت وقرأت فى مكان ما بأن سرقة المتاجر خلسه وقتل أطفال المرء هما الجريمتان الوحيدتان اللتان يرتكبها النساء الأمريكيات بعدد متساوٍ مع الرجال .

إذا كان هذا حقيقياً ، فإن هذا التقرير السميك الضخم لا يمثل إلا نصف جرائم قتل الأطفال التى تم تسجيلها .

صررت على أسنانى ، مجازاً أو فعلياً ، وقمت بجولة أخرى عبر قاعدة البيانات المزعجة .

هذه المرة ، قمت بالبحث عن جرائم القتل المتعددة فقط . وحين اكتملت تلك القائمة ، بدأت أخوض غمارها .

قفزت فى الحال بضعة أسماء من الأكثر شهرة مثل سوزان سميث ، التى أغرقت كلا ولديها فى ١٩٩٤ ؛ وآندريه ييتس ، التى قتلت أطفالها الخمسة جميعاً بعد سبع سنوات من الصراع مع الخلل النفسى واكتئاب حاد لما بعد الولادة .

استمرت هذه القائمة وطالت . ما من واحدة من تلك النساء القاتلات يمكن اعتبارها ضحية فى قضيتها ، لكن هيمنة الاضطرابات العقلية الخطيرة كانت شيئاً جلياً .

تم تشخيص حالتى سميث وييتس باضطرابات نفسية وإكلينيكية . كان من اليسير تخيل أن الأمر نفسه يسرى على مارى واجنر ، لكن إجراء تشخيص يمكن الاعتماد عليه سيلزم وقتاً أكبر مما قضيناه معاً .

بعد ساعات قليلة من بحثى تم تهميش ذلك السؤال المحدد .

نقرت على صفحة جديدة ، وبكل أسف ، وجدت بالضبط ما كنت أبحث عنه .

جريمة قتل ثلاثية فى دربى لاين ، فيرمونت ، بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٨٣ . الضحايا الثلاث أشقاء :

بريندان بولاك ، ٨ سنوات .

آشلى بولاك ، ٥ سنوات .

آدم كونستانتين ، ١١ شهراً .

أمهم القاتلة كانت امرأة فى السادسة والعشرين من عمرها ولقبها كونستانتين .

وكان اسمها مارى .

تتبعت تقرير الجريمة فى التغطية الإعلامية المحلية .

جلب لى هذا مقالة من عام ١٩٨٣ من جريدة كالدونيان ـ ريكورد فى سانت جونسبرى ، فيرمونت .

كانت هناك كذلك صورة فوتوغرافية أبيض وأسود لمارى كونستانتين ، تجلس إلى طاولة المدعى عليه .

كان وجهها أنحف وأصغر سناً ، لكن التعبير المتحجر والمحايد كان واضحاً وضوح الشمس ، تلك النظرة التى تكون لها حين لا ترغب فى أن تشعر بأى شىء . أو أن تشعر بما يفوق طاقتها . رباه !

المرأة التى تعرفت عليها باعتبارها مارى واجنر كانت قد قتلت أطفالها منذ أكثر من عشرين عاما مضت ، . وهى تتخيل ، أو تظن أن هذا لم يحدث أبداً .

دفعت مقعدى للخلف وأخذت شهيقاً عميقاً .

ها أنا ذا ، أخيراً فى قلب المتاهة . والآن حان الوقت لأبدأ فى العثور على طريق الخروج منها .

الفصل ١٠٧

" ١٩٨٣ ؟ رباه ، هذا ليس حتى فى هذا القرن . حسناً ، انتظر لحظة . سأحاول مساعدتك إذا استطعت " .

جلست منتظراً لعدة دقائق من نقر المفاتيح وتصفح الأوراق على الخط الآخر من الهاتف .

كان من يقوم بهذا عميل يسمى بارى ميدلار ، من المكتب الميدانى لآلباني . كان منسق وحدة آلباني للجرائم المرتكبة ضد الأطفال . فى كل مكتب من مكاتب المباحث الفيدرالية وحدة للجرائم المرتكبة ضد الأطفال ، وآلباني تضم تحتها فيرمونت . أردت أن أقترب لأقصى درجة من المنبع .

قال ميدلار : " ها نحن ذا . انتظر ، ها هى ... كونستانتين ، مارى . جريمة قتل ثلاثية فى الثانى من أغسطس ، قبض عليها فى العاشر منه . دعنى أجلب بقية هذا . لا بأس ، ها نحن ذا . حكم عليها بالبراءة لفقدان الأهلية فى أول فبراير من العام التالى ، مع محام مكلف من قبل الولاية " .

همهمت قائلاً : " غير مذنبة لفقدان الأهلية العقلية " .

وهكذا فلم يكن بمقدورها تحمل نفقة دفاع خاص بها ؛ أى أنه ما من ضجة قانونية وضغوط تعمل لصالحها . إن الحكم بفقدان الأهلية يمكن أن يكون دعوى يصعب إثباتها . لابد أنها كانت قضية شديدة الوضوح لكى تمضى على هذا المنوال .

سألت : " وأين انتهى بها الأمر ؟ "

" غالباً ، مستشفى ولاية فيرمونت فى واتربرى . ليس لدىّ أى تسجيلات تحويل هنا ، ولكن هذه المرأة المختلة لن تكون استثناء فى هذا . يمكننى أن أحصل لك على اسم ورقم المستشفى إذا أردت اكتشاف الأمر " .

كان هذا إغراء بأن ألقى عليه ثقل هذه المهمة أيضاً ، لكننى فضلت أن أجرى المكالمات بنفسى على أية حال . دونت الرقم الخاص بمستشفى ولاية فيرمونت .

سألت ميدلار : " ماذا عن سلاح الجريمة الخاص بمارى كونستانتين ؟ ماذا لديك فى الجرائم الفعلية ؟ "

سمعت المزيد من تقليب الصفحات وعندئذٍ سمعته يقول : " أمر لا يصدق " .

" ماذا هنالك ؟ "

" ألم تستخدم مارى سميث مسدس والثر بى بى كى فى لوس أنجلوس ؟ "

" نعم ، لماذا ؟ "

" هذا ما ينطبق على الأمر هنا . مسدس والثر بى بى كى ، لم يتم اكتشافه ، مع ذلك . لابد أنها أخفته جيداً " .

كنت أدون الملاحظات بسرعة وغضب طوال الوقت بينما كان يتحدث . وبكل بساطة ، كان قد استولى على اهتمامى .

" حسناً عميل ميدلار ، إليك ما أحتاج إليه . احصل لى على طريقة للاتصال بمن كان مسئولاً عن قسم الشرطة المحلى أثناء قضية مارى

كونستانتين . كما أننى أريد كل شيء مما توصلت إليه في ملف . وأرسل كل ما تجده متاحاً إلكترونياً الآن وأرسل البقية بالفاكس " .

" سوف أعطيك رقم هاتفى الخلوى فى حالة ما إذا وجدت أى شيء آخر يستحق الذكر . لأننى سأتحرك على الفور " .

دسست بعض الأوراق في حقيبتي بينما كنت أتحدث إلى ميدلار .

قلت له : " شيء واحد آخر . ما هى خطوط الطيران التى تتجه إلى فيرمونت على أية حال ؟ "

الفصل ١٠٨

بعد ١٨ ساعة وعلى بعد ثلاثة آلاف ميل كنت جالساً فى غرفة معيشة صغيرة ولطيفة بمنزل رئيس الشرطة السابق كلود لابيير وزوجته مادلين ، بالقرب من ديربى لاين ، بفيرمونت . كانت قرية صغيرة ، وجميلة وكأنها لوحة على جدار ، وحرفياً كانت على الحدود الكندية . وفى الحقيقة ، كانت المكتبة العامة المحلية وكذلك دار الأوبرا قد تم تشييدهما بالمصادفة على الحدود ، وكان ينتشر الحراس بداخلها أحياناً لمنع المرور غير الشرعى .

ليس نمط المكان الذى يمكن للمرء أن يتخيل أن حفظ القانون به سيكون شأناً صعباً مع ذلك . لقد عاشت مارى كونستانتين هناك حياتها كلها - إلى أن قتلت أطفالها الصغار الثلاثة ، جريمة مريعة تصدرت عناوين الصحافة القومية قبل عشرين عاماً .

سألت السيد لابييرى : " ما الذى تتذكره أكثر من أى شيء آخر بشأن الجريمة ؟ "

" السكين . السكين بالطبع . الطريقة التى مزقت بها وجه البنت الصغيرة المسكينة ، بعد أن قتلت الثلاثة جميعهم . كنت مأموراً فى قسم شرطة مقاطعة أورلينز على مدار سبعة وعشرين عاماً . وكان هذا أسوأ شيء رأيته على الإطلاق . حتى ذلك الوقت يا عميل كروس حتى ذلك الوقت " .

قالت السيدة لابيير التى تجلس إلى جوار زوجها على أريكة غُطيت بقماش قطنى أزرق : " الحقيقة أنني شعرت بنوع من الأسف لأمرها . بالنسبة لمارى أقصد . لم يحدث أبداً شيء طيب لتلك المرأة المسكينة . لكن هذا لا يبرر ما اقترفته ، ولكن .. " لوحت بيدها أمام وجهها بدلاً من إنهاء عبارتها .

" أكنت تعرفينها سيدة لابيير ؟ "

" كما يعرف كل شخص جميع الآخرين ها هنا " . قالت : " هذا مجتمع من الجيران . جميعاً نعتمد على بعضنا البعض " .

" ما الذى يمكن لكما أن تخبرانى به حول مارى قبل حدوث هذا كله ؟ " سألتهما كليهما .

بدأ كلود لابيير قائلاً : " فتاة لطيفة . هادئة ومهذبة ، تحب ركوب القوارب . فى بحيرة ميمفرى ماجوج . ليس هناك الكثير ليقال ، والحق أنها كانت تعمل كنادلة حين كانت فى المدرسة الثانوية . وكانت تقدم لى الإفطار على الدوام . لكن كانت هادئة جداً كما قلت لك ، لقد اندهش الجميع حين صارت حبلى " .

قالت السيدة لابيير : " وزادت الدهشة حتى عندما ظهر الأب وعاشت معه " .

أضاف زوجها بسرعة : " لفترة قصيرة على أية حال " .

" أفترض أنه كان السيد بولاك " .

أومأ كلاهما إيجاباً .

" كان يكبرها بعشرة أعوام ، وكان عمرها سبعة عشر عاماً . لكنهما توافقا مع هذا . وبذلا قصارى جهدهما . بل صار لهما ابن آخر وهما معاً " .

قالت السيدة لابيير : " آشلى " .

" لم يندهش أحد حقاً عندما هجرهم فى نهاية الأمر . ومع ذلك ، فقد كنت أتوقع حدوث هذا " .

قالت السيدة لابيير : " كان جورج بولاك صعلوكاً لا يعتمد عليه وكان يتعاطى الكثير من المخدرات " .

" هل تعرف ما الذى حدث له ؟ هل عاد ليرى مارى أو الأطفال مرة أخرى ؟ "

قال كلود : " لا أعلم . لكننى أميل إلى التشكك فى هذا . لقد كان صعلوكاً مغفلاً " .

همهمت لنفسى أكثر مما لهما : " حسناً ، إننى بحاجة لأن أجده . إننى بحاجة حقاً لأعرف أين جورج بولاك الآن " .

قالت السيدة لابيير : " لن يسرك ما ستجده بكل تأكيد " .

الفصل ١٠٩

لم أهتم بتسجيل الملاحظات بعد ذلك . فمهما كان ما كتب قبل ذلك ، فلست بحاجة إليه . انبعث صوت من المطبخ ، وأخيراً سألت السيدة لابيير عنه . لم أكن لأخمن أبداً ما كان هذا الصوت . اتضح أنه صادر عن شواء لحم الغزال فى المشواة .

سألت : " أين كان والدا مارى أثناء حدوث هذا كله ؟ " عائداً إلى أسئلة ذات صلة أوثق بالقضية .

ومن جديد هزت السيدة لابيير رأسها . ورفعت غطاء قدح القهوة الخاص بى بينما واصل زوجها كلامه .

" توفيت ريتا حين كانت مارى فى الخامسة من عمرها ، على ما أظن . ورباها تيد ، وحده بدرجة كبيرة ، على الرغم من أنه لم يبد أنه يبذل جهداً كبيراً فى ذلك . ليس هناك أمور غير قانونية ، ولكن كان هناك الكثير من الحزن . ثم توفى هو الآخر فى عام ولادة بريندان ، هكذا أعتقد " .

قالت مادلين : " كان يدخن وكأنه مدخنة ، لقد مات إثر إصابته بسرطان . لم تحصل تلك الفتاة المسكينة على فترة راحة " .

بعد أن هجرها جورج بولاك ، تزوجت مارى من رجل آخر من السكان ، ميكانيكى بدوام جزئى اسمه جون كونستانتين .

" وقد بدأ يراوغها بعد أن صارت حبلى مباشرة " ، قالت مادلين ذلك وأكملت : " لم يكن سراً عظيماً ، ففى حين كان عمر آدم ستة شهور ، كان جون قد مضى هو الآخر ، للأبد " .

تحدث كلود الآن : " إذا كان علىّ أن أخمن ، لقلت إن حالتها عندئذٍ قد بدأت فى الانحدار ، ولكن من يدرى . لا يرى المرء شخصاً ما لفترة ، فيفترض أنه مشغول أو شىء كهذا . وعندئذٍ ذات يوم ، تحدث المفاجأة . وهذا ما كان . لابد أنها فقدت السيطرة . كان الأمر مباغتاً ، لكن لعله لم يكن كذلك . أنا متأكد من أنه كان يتراكم على مدار فترة طويلة " .

احتسيت رشفة من قهوتى وقضمت قضمة صغيرة من كعكتى وقلت : " أود أن أعود الآن ليوم ارتكاب الجرائم نفسه . ماذا قالت مارى حين قبض عليها ؟ "

" لم نستطع أبداً استخراج حرف واحد من مارى حول الجرائم بعد القبض عليها " .

" أى شىء يمكنك إخبارى به سيكون معاوناً . حاول أن تتذكر " .

تنفست مادلين بعمق ووضعت يداً فوق يد زوجها على وسادة الأريكة ، كان لهما تلك السمة الصلبة لأهالى الأرياف العجائز ، وهو ما ليس ببعيد عن ما لاحظته لدى مارى أحياناً .

" يبدو أنها اصطحبتهم إلى نزهة فى ذلك اليوم . وقادت سيارتها فى الغابة . عثرنا على المكان لاحقاً ، بمجرد الحظ . الموضع الذى أطلقت فيه النار عليهم . واحد ، اثنان ، ثلاثة ، فى مؤخرة الرأس .

" لقد خمن المحقق الجنائى أنها أرقدتهم أرضاً ، كأنهم يأخذون غفوة قصيرة ، وأحسب أنها قتلت الاثنين الأكبر سناً أولاً ، بما أن الرضيع لا يمكنه الهرب " .

انتظرت صابراً أن يواصل كلامه . كنت أعلم أن مرور الزمن لا يجعل هذا الضرب من الأمور سهل التذكر أو الحديث حوله .

" قامت بلفهم بعناية فى ملاءات . مازلت أتذكر تلك الملاءات العسكرية القديمة التى استخدمتها . شىء فظيع . ثم بدا أنها أخذتهم إلى البيت وقامت بتشويه وجه آشلى بالسكين هناك . شوهت وجهها كله وهى فقط لسبب ما . لن أنسى هذا أبداً . أود أن أنساه ، لكن لا أستطيع " .

سألت : " هل كنت أول من اكتشفهم ؟ "

أومأ بالإيجاب : " اتصل رئيس مارى فى العمل وقال إنه لم ير مارى منذ أيام . لم يكن لدى مارى هاتف فى ذلك الحين ، لذا فقد قلت إننى سأمر عليها . ظننت أنها مكالمة حب استطلاع لا أكثر . أتت مارى لتفتح الباب كما لو أنه لم يحدث أى شىء ، ولكن كان بوسعى أن أشم رائحة ذلك فوراً . حرفياً ومجازياً . كانت قد وضعتهم جميعاً فى صندوق كبير بالقبو ـ فى شهر أغسطس ـ وتركتهم هناك وحسب . لعلها توقفت عن التفكير فى هذا كما فعلت مع كل شىء آخر . مازلت لا أستطيع تفسير ما حدث . ولا حتى الآن ، بعد كل تلك السنوات " .

قلت : " أحياناً لا يكون هناك أى تفسير " .

" وعلى أية حال ، فإنها لم تبد أى مقاومة من أى نوع . فأخذناها بهدوء " .

قالت مادلين : " كانت حكاية كبيرة جداً مع هذا " .

" هذا صحيح . فقد وضعت ديربى لاين على خريطة الإعلام لأسبوع تقريباً . كم أتمنى ألا يحدث هذا من جديد هنا " .

" هل رأى أحد منكما مارى بعد ما ارتكبت ما ارتكبته ؟ " .

هز كلاهما رأسه نفياً . إن عشرات السنين من الزواج ربطت بينهما كما هو واضح .

قالت لى مادلين : " لم أسمع أن أحداً زارها ذات مرة ، فهو ليس أمراً يريد المرء تذكره ، أليس كذلك ؟ يحب الناس الشعور بالأمان ها هنا . لم يكن الأمر أن الجميع قد أداروا لها ظهورهم . ولكن كان أقرب إلى ... لا أعرف . كما لو أننا لم نعرف مارى مطلقاً من الأساس " .

الفصل ١١٠

كان مبنى مستشفى ولاية فيرمونت ممتداً بشكل عشوائى ، معظمه من القرميد الأحمر ، متواضع الحال من الخارج إلا من جهة الحجم . قيل لى إن نصف مساحته تقريباً غير مستخدمة . كان قسم النساء المغلق بالطابق الرابع يضم المريضات المحتجزات فى قضايا جنائية ، مثل مارى كونستانتين ، ولكنه يضم كذلك المريضات المتهمات مدنياً . قال المدير لى : " ليس نظاماً محكماً " ، لكنه يتحمل المساحة السكانية الصغيرة والميزانيات المتقلصة المخصصة للصحة العقلية " .

كما كان هذا جزءاً من سر قدرة مارى على الهرب .

أخذنى المدير ، السيد رودنى بليسديل ، فى جولة سريعة داخل القسم . كان محكم الأمان بستائر فى الغرف وطبقة دهان حديثة على جدران الأسمنت . توزعت الصحف والمجلات على أغلب المناضد والأرائك : برلنجتون فرى برس ، الكرونيكل ، الآمريكان وود وركر .

كان المكان هادئاً ـ هادئاً جداً .

دخلت أقساماً جنائية فى مستشفيات مرات عديدة قبل هذا ، وغالباً ما يكون مستوى الضجيج العام أقرب إلى طنين ثابت . ولم أكن أعرف حتى الآن كيف يمكن لهذا الطنين أن يكون مطمئناً بصورة غريبة .

بدا لى أن مستشفى الولاية هذا له السمة الساكنة والبطيئة لمتحف الأحياء المائية . كانت حركة الماضى البطيئة فى ذهابهم وإيابهم تبدو وكأنها استجابة للهدوء الذى يحيط بهم من كل جانب وكانوا نادراً ما يتحدثون مع بعضهم البعض ، ولا حتى مع أنفسهم .

كان صوت التلفاز منخفضاً ، وبضع نساء يشاهدن المسلسلات اليومية بعيون جامدة بفعل تعاطى عقار الهالدول .

وفيما صحبنى د. بليسديل فى أنحاء المكان ، واصلت التفكير فى مدى قوة وتردد صوت أى صرخة تنبعث من هنا .

" هذه هى " ، هكذا قال عندما وصلنا إلى إحدى الغرف العديدة المغلقة فى الردهة الرئيسية . أدركت أننى ما عدت أنصت إليه ، فعدت إليه بعقلى . " كانت هذه غرفة مارى " .

نظرت خلال نافذة المراقبة الصغيرة فى الباب الحديدى ، ولم أتبين أية إشارة إلى أنها كانت موجودة هناك بطبيعة الحال . فوق منصة الفراش مرتبة بلا فرش ، وقطع الأثاث الوحيدة كانت مقعداً وطاولة مثبتتين فى أرضية الغرفة ، ورف من المعدن غير حاد الحواف مثبت على الجدار .

قال : " بالطبع ، لم تكن تبدو هكذا حينها . مكثت مارى معنا لمدة ١٨ عاماً ، وكان يمكنها أن تفعل الكثير بأقل القليل . إنها سفاحتنا المحلية " وضحك ضحكة صغيرة .

" لقد كانت صديقتى " .

استدرت فرأيت امرأة ضئيلة فى منتصف العمر تقف وأحد كتفيها مستنداً إلى الجدار المواجه لنا . كان من الواضح أنها محتجزة إثر ارتكابها إحدى الجرائم على الرغم من أنه من الصعب تخيل ما الذى كانت قد اقترفته لتحتجز هنا .

قلت : " مرحباً " .

رفعت المرأة ذقنها ، في محاولة لأن ترى من خلالنا ما بداخل الغرفة . أمكنني الآن أن أرى ندوب حروف أعلى وأسفل عنقها . قالت : " هل عادت ؟ هل ماري هنا ؟ أحتاج لأن أرى ماري . إذا كانت هنا . الأمر مهم . إنه مهم للغاية بالنسبة لي " .

قال لها د. بليسديل : " كلا يا لوسى ، أنا آسف ، إنها لم تعد " .

بدت على لوسى خيبة الأمل . واستدارت بسرعة وسارت مبتعدة عنا ، وراحت تمر بيدها على طول الجدار الأسمنتي خلال مشيها وقد بدت عليها الكآبة .

" إن لوسى واحدة من مريضاتنا اللاتي قضين معنا مدة طويلة حقاً ، كما كانت ماري . كان صعباً عليها اختفاء ماري " .

قلت : " بالمناسبة ، ماذا حدث في ذلك اليوم ؟ "

أومأ د. بليسديل ببطه وعض شفته السفلى .

" لم لا ننهى هذا في مكتبي ؟ "

الفصل ١١١

تبعت بليسديل عبر باب كان مغلقاً في نهاية القسم نزولاً نحو الطابق الأرضي . دخلنا إلى مكتبه ، والذى كان يتسم بطابع شديد الأناقة وكان أثاثه متجانساً . وكانت هناك صورة لكل من بانجو دان وفريق مدنايت بلوبويز داخل إطارين ومعلقتان على الجدار وقد جذبتا انتباهي بلا شك .

جلست ولاحظت أن كل شيء موضوع على مكتبه في الناحية التي أجلس به كان يبعد عدة بوصات عن حافة مكتبه ، بعيداً عن المتناول فحسب .

نظر إلى بليسديل الذى أخذ يتنهد فعرفت فوراً أنه سوف يفضي لي بما جرى مع ماري كونستانتين .

" حسناً ، ها نحن ذا ، يا د. كروس . يحق لكل مريض في القسم أن يخرج للتنزه ليوم واحد . ويُمنع من ذلك المريضات المحتجزات بالقسم الجنائي ، لكننا وجدنا أن هذا غير إيجابي على المستوى العلاجي ، أي أن نقسم النزلاء إلى صنفين على هذا النحو . وبناء عليه ، فقد خرجت ماري للنزهة معهن مرات عديدة . ذلك اليوم كان مثل أي يوم آخر " .

سألته : " وماذا حدث ذلك اليوم ؟ "

" كانت ست مريضات مع مشرفتين من فريق المستشفى ، وهو إجراؤنا التقليدى . ذهبت المجموعة إلى البحيرة فى ذلك اليوم . وللأسف ، فقد تبخرت إحدى المريضات بطريقة ما " .

بطريقة ما ؟ تساءلت إن كان على علم بالتفاصيل الدقيقة ، الآن حتى . بدا أنه من النوع المتراخى المتهاون فى الإدارة أكثر من أى شخص آخر رأيته .

" فى وسط نوبة هيستيرية ، أصرت مارى على الذهاب إلى غرفة الراحة . وهو مبنى بالخارج وكان قريباً ، لذا سمحت لها المشرفتان بالذهاب صحيح أنه كان إجراء خاطىء لكنه حدث . لم يدر أحد فى ذلك الحين بوجود مدخلين على كلا الجانبين للمبنى " .

قلت : " ومن الواضح أن مارى كانت تعلم " .

راح الدكتور بليسديل يدق بقلمه على المكتب عدة مرات . " وعلى كل حال ، فقد اختفت فى الغابة القريبة " .

رحت أنظر إليه ، منصتاً وحسب ، محاولاً ألا أطلق الأحكام عليه ، وكان من العسير ألا أفعل هذا .

" كانت مريضة نموذجية ، مكثت هنا لسنوات . لقد أصاب ما حدث الجميع بالاندهاش " .

قلت : " بالضبط كما جرى حين قتلت أطفالها " .

تفحصنى بليسديل بعينيه . ولم يكن متأكداً إذا كنت قد أهنته لتوى ، وبالطبع لم أكن أقصد هذا .

" أجرت الشرطة بحثاً موسعاً ـ إحدى أكثر عمليات البحث التى شهدتها اتساعاً . تركنا لهم هذه المهمة . بالطبع ، كنا متلهفين إلى استعادة مارى ، وللتأكد من أنها بخير . ولكنها لم تكن قصة من المستحسن نشرها على الملأ . فلم تكن مارى ــ " وتوقف .

" لم تكن ماذا ؟ "

" حسناً ، **فى ذلك الحين** ، لم نكن نعتبرها تشكل أية خطورة على أى شخص ، **إلا على نفسها ربما** " .

لم أصرح بما كنت أفكر به . فإن جميع من فى لوس أنجلوس لديهم رأى مختلف نوعاً ما بشأن مارى ـ أنها كانت أكثر قاتلة مختلة وشريرة وجدت على ظهر الأرض " .

سألته أخيراً : " هل خلفت أى شىء وراءها ؟ "

" لقد فعلت فى الحقيقة . سترغب بلا شك فى رؤية يومياتها . وكانت تكتب كل يوم تقريباً . لقد ملأت عشرات الدفاتر أثناء وجودها هنا " .

الفصل ١١٢

قام حمال، اسمه ماك ، بدا أنه يعيش فى قبو المستشفى ، بإحضار صندوقى أرشيف مملوءين بدفاتر مغلقة بشريط لاصق ، من النوع الذى كان يستخدمه فى المدرسة تلاميذ حقبة الخمسينيات . لقد كتبت مارى كونستانتين خلال سنواتها هنا أكثر مما يتاح لى الوقت اليوم لقراءته . يمكننى أن أتقدم بطلب رسمى بالحصول على المجموعة كلها فيما بعد ، كما تم إخبارى .

قلت لماك الحمّال : " شكراً لمعاونتك " .

قال : " لا بأس ، " فتساءلت متى وكيف اختفى جواب " على الرحب والسعة " من اللغة ، حتى هنا فى فيرمونت ذات الأخلاق الريفية .

والآن ، أردت فقط أن أكوّن فكرة عمن كانت مارى كونستانتين ، وخصوصاً فى علاقتها بمارى الأولى التى تعرفت عليها بالفعل . صندوقا أرشيف سيكونان كافيين كبداية .

كان خط يدها مشتبك الحروف دقيقاً ومرتباً ـ نُسقت كل صفحة بنظام مع هوامش متساوية وبيضاء . بلا أى خط واحد خارج النسق .

كانت الكلمات وسيلتها ، ولم تكن تعوزها الكلمات . كانت الكلمات تميل نحو يمين الصفحة كما لو أنها فى عجلة لتذهب إلى حيث تريد الذهاب .

كان الأسلوب كذلك مألوفاً وحميماً على نحو مثير للغموض .

كان أسلوبها فى الكتابة يشبه أسلوب مارى سميث ذى العبارات القصيرة والمتنقلة بين الموضوعات بسرعة ، والإحساس الجلى ذاته بالعزلة . كان الأمر مؤكداً فى كل موضع نظرت إليه فى الدفتر .

أحياناً كانت الكلمات تنساب داخل من يقرؤها وتتخلله ؛ وأحياناً أخرى كانت على السطح تماماً .

إننى مثل شبح هنا . لا أعرف ما إذا كان أى شخص سوف يهتم إذا بقيت أو ذهبت . أو ما إذا كانوا يعلمون أننى هنا بالمرة

فيما عدا لوسى . إن لوسى طيبة جداً معى . لا أدرى إن كان بوسعى على الإطلاق أن أكون صديقة مخلصة لها شأنها معى . أتمنى ألا تذهب إلى أى مكان . لن يكون الأمر هو نفسه بدونها .

أحياناً أعتقد أنها الوحيدة التى تهتم حقاً لأمرى . أو تعرفنى . أو يمكنها رؤيتى .

هل أنا غير مرئية للآخرين جميعاً ؟ إننى أتساءل بصدق ـ هل أنا غير مرئية ؟

رحت أقرأ وأتخير مواضع عشوائية ، توضحت لى كذلك صورة امرأة كانت تحرص على الانشغال بشىء ما خلال إقامتها بمستشفى للأمراض العقلية . كان هناك دوماً مشروع أو آخر تحت يدى مارى . لم تفقد الأمل مطلقاً ، أليس كذلك ؟ بدا وكأنها مدبرة المنزل المقيمة ، بقدر ما يمكن لشخص فى هذه البيئة المحيطة .

إننا نصنع سلاسل ورقية من أجل غرفة التسلية والأنشطة . تبدو طفولية قليلاً ، لكنها ظريفة ـ ستكون ظريفة خلال الأعياد . أوضحت للبنات كلهن كيف يصنعنها . لقد شارك الجميع تقريباً . كم أحب أن أعلمهن أشياء . معظمهن ، على أية حال .

فتلك الفتاة روزان من برلنجتون ، تجعلنى أفقد أعصابى فى بعض الأحيان . تفعل ذلك حقاً . نظرت اليوم نحوى مباشرة وسألتنى عن اسمى . كما لو أننى لم أخبرها به ألف مرة . لا أعرف ماذا تظن نفسها . ما هى إلا نكرة مثلنا جميعاً هنا .

لم أعرف ماذا أقول لها ، وهكذا لم أجبها فحسب . لأدعها تصنع زينتها بنفسها . تستحق هذا . وددت لو أصفع روزان . لكنى لن أفعل ، أليس كذلك ؟

أشخاص ونكرات . تلك الكلمات ، وتلك الفكرة ، قد أطلت برأسها أكثر من مرة فى الرسائل الالكترونية فى كاليفورنيا . واندراجها هنا قفز أمامى مثل بطاقة تعريف . كان يسيطر على مارى سميث هاجس أن يكون المرء شخصاً ما ـــ محط انتباه العامة والإعلام ، وكذلك أن تكون أماً مثالية تقف بهدوء تام ضد المساحة السلبية التى تشغلها هى كنكرة . ألهمنى شىء ما أننى إذا واصلت البحث ، سأجد أنها نغمة متكررة على المدى الطويل عند مارى كونستانتين هى الأخرى .

ما كان مفقوداً هو أى ذكر لأطفالها . وحول هذه النقطة ، فإن اليوميات تبدو وكأنها تأريخ للإنكار والنفى . بدا أن مارى التى عاشت هنا بالمستشفى لا تحتفظ بأى ذكرى أو إدراك لهم على الإطلاق .

والمرأة التى عاشت باعتبارها مارى واجنر ـ التى تحولت إليها مارى كونستانتين ـ لم تكن تستطع التفكير فى أى شىء سوى أطفالها .

الخيط المشترك بينهما فى تطورها من هذه إلى تلك كان افتقارها لإدراك مقتل بريندان ، وآشلى ، وآدم .

حرفا (أ) وحرف (ب) .

حول هذه النقطة لا يمكننى إلا التخمين ، لكن بدا لى أن مارى كانت على مسار مدمر نحو إدراك أكثر اكتمالاً ، ونحو حالة فوضى وبيلة جنباً إلى جنب . والآن فهى تحت الاحتجاز ، والشخص الوحيد الذى يمكنها إيذاؤه هى نفسها .

ومع ذلك ، فإن كانت تتحرك فعلاً صوب إدراك الحقيقة ، فكم أكره التفكير فيما قد يحدث لها عند وصولها للحقيقة .

الفصل ١١٣

كان من الصعب أن أنتزع نفسى بعيداً عن يوميات مارى - بعيداً عن كلماتها ، وأفكارها ، وغضبها .

وللمرة الأولى ، بدا أنه من المحتمل بالنسبة لى ، بل وحتى غالباً ، أن تكون قد اقترفت فعلاً سلسلة جرائم القتل بلوس أنجلوس .

حين نظرت إلى ساعة يدى ، وجدتنى متأخراً بالفعل نصف ساعة عن موعدى مع المعالجة الأساسية لمارى ، دبرا شابيرو . سحقاً . لابد أن أنطلق بسرعة إلى هناك .

كانت دكتور شابيرو بالفعل فى طريقها للخروج حين لحقت بها بمكتبها ؛ أخذت أعتذر لها بشدة . مكثت شابيرو لكى تتحدث إلىّ ، لكنها كانت تجلس على حافة الأريكة وحقيبة أوراقها على حجرها وهى على أهبة الاستعداد للانصراف .

قالت لى قبل أن أسألها : " كانت مارى مريضتى لثمانى سنوات " .

" وكيف تصنفين شخصيتها ؟ "

" ليست **كقاتلة** - على نحو مثير للاهتمام . إننى أنظر للحادثة التى جرت مع أطفالها بوصفها تمهيداً لمرحلة أضخم وأعظم شأناً لمرضها العقلى . إنها امرأة مرضها خطير ، لكن أى اندفاعات عنيفة كانت تحت السيطرة منذ مدة طويلة . وهذا جزء مما أبقاها هنا ؛ إنها لم تخترق أية قواعد " .

سألت د. شابيرو : " كيف تكونين متأكدة ، وخصوصاً مع الأخذ بالاعتبار ما حدث ؟ " . لعل مارى لم تكن الشخص الوحيد ها هنا الذى يمارس الإنكار والنفى .

" إذا كنت أقدم شهادة أمام المحكمة ، سأضطر لأن أقول إننى لا يمكن أن أتأكد . ولكن بغض النظر عن هذا ، أعتقد مع ذلك أن ثمانى سنوات من التفاعل لها قيمة ما يا د. كروس ، ألا تعتقد ذلك ؟ "

بالطبع لا أعتقد ذلك . ولكننى قد أغير رأيى إذا أعطتنى المعالجة بعض المعلومات .

سألتها : " ماذا عن أطفالها ؟ لم أجد لهم ذكراً فى يومياتها . ولكن على مدى الفترة القصيرة التى عرفت خلالها مارى ، كانوا هم كل ما يستحوذ على تفكيرها . إنهم أحياء إلى أبعد مدى فى عقلها حالياً . إنهم هاجسها الدائم " .

أومأت د. شابيرو فيما نظرت إلى ساعة يدها : " هذا أكثر صعوبة من أن أوفقه مع ما أعرف . يمكننى تقديم نظرية ، وهى أنه قد يكون علاج مارى قد أتى ثماره أخيراً . وأن ذكرى هؤلاء الأطفال كانت تتراكم بداخلها رويداً رويداً " .

وحين عاد الأطفال إلى وعيها ، فإن إحدى الطرق لتجنب عملية كبت الإحساس بالذنب استمرت خلال عشرين عاماً هى أن تحتفظ بهم أحياء فى عقلها ، كما عبرت أنت . قد يفسر هذا ما قادها للهرب حينما قامت بذلك . أن ترجع إلى حياتها معهم . وهو ما حدث بالضبط ، وفقاً لتجربة مارى " .

" وماذا عن جرائم القتل فى كاليفورنيا ؟ " كنت أسرع للغاية عمداً ، فقدا بدا التوتر على د. شابيرو كما لو أنها قد تقفز وتغادر فى أية لحظة .

هزت كتفيها ، وقد نفد صبرها من المقابلة بصورة واضحة . تساءلت ما إذا كانت جلسات علاجها مع مرضاها تمضى على هذا النحو من نفاد الصبر .

" لا أفهم هذا وحسب . من الصعب معرفة ما قد يكون حدث لمارى ما إن غادرت المكان هنا ، ولكن بالنسبة للمرأة التى عرفتها " ، ثم هزت رأسها للخلف وللأمام مرات عديدة ثم أكملت : " فإن الجزء الوحيد من القصة الذى له مبرر هو لوس أنجلوس " .

سألتها : " وكيف ذلك ؟ "

" كان هناك بعض الاهتمام بحكايتها قبل بضع سنوات . أتى بعض صناع السينما وذهبوا . وسُمح لمارى بمقابلتهم ، ولكن كنزيلة فى القسم ، ولم تكن لها الاستقلالية حتى تُمنح تصريحاً بما هو أبعد من ذلك . فقدوا اهتمامهم فى نهاية الأمر ورحلوا عنا . خلال العامين الأخيرين لها هنا ، أعتقد أنهم كانوا الزوار الوحيدين لها " .

" من هم ؟ " أخرجت دفتر ملاحظاتى ، وفتحت صفحاته . " أحتاج لأن أعرف المزيد بهذا الشأن . هل هناك سجلات للزيارات ؟ أى شيء ؟ "

قالت : " الحق أننى لا أتذكر الأسماء ، وبعيداً عن ذلك ، إننى منزعجة قليلاً لدرجة إتاحة المعلومات هنا . قد أنصحك بالعودة إلى دكتور بليسديل إذا أردت المزيد من المعلومات المحددة . سيكون هو الشخص الذى سيقدمها لك " .

تساءلت ما إذا كانت تولى اهتماماً لحماية خصوصية مرضاها ، أم ربما هى متأخرة وحسب عن شيء ما فى نشاطها الاجتماعى . كانت الساعة ٥,٤٦ .

أدركت أنه قد يكون من الأفضل أن أتوجه لمكان آخر ، فعلى أى حال ، ستمضى الأمور بحال أفضل . شكرت د. شابيرو لوقتها وعونها ، وعدت إلى المبنى الإدارى .

كنت أركض .

الفصل ١١٤

وبالرغم من كل شيء ، كنت أشعر أننى شرطى حقيقى مرة أخرى ، ولم يبد الحال سيئاً بالنسبة لى . أعلنت ساعة الحائط فى المبنى الإدارى ٥,٥٢ حين دخلت إلى المكان .

ابتسمت من خلال النضد فى وجه شابة ذات شعر أشقر مصبوغ بخطوط قرنفلية وتضع الكثير من الحلى الرخيصة . كانت تضع غطاء بلاستيكياً فوق حاسوبها .

" مرحباً . لدى طلب سريع حقاً منك . سريع حقاً . وأحتاجه للغاية " .

" ألا يمكن الانتظار للغد ؟ " سألت الشابة وهى تنظر إلىّ من الأعلى إلى الأسفل " يمكنه الانتظار ، أليس كذلك ؟ "

" كلا فى الحقيقة . لقد تحدثت تواً مع دكتورة شابيرو ، وطلبت منى أن آتى إلى هنا بسرعة وألحق بك . أحتاج إلى رؤية سجل زوار القسم الجنائى خلال الأعوام الماضية . وخصوصاً لمارى كونستانتين . الأمر مهم حقاً . لم أكن لأزعجك لولا هذا " .

التقطت المرأة هاتفها وقالت : " أرسلتك دكتورة شابيرو ؟ "

" هذا صحيح . لقد غادرت تواً اليوم ، لكنها أخبرتنى أنه لن يكون هناك بأس فى ذلك " . رفعت شارى وقلت لها : " إننى أعمل مع المباحث الفيدرالية ، د. آلكس كروس . هذا جزء من تحريات جارية تخص جرائم قتل " .

لم تخف ضيقها . " لقد أغلقت الكمبيوتر للتو ، وعلىّ أن أذهب لاصطحاب ابنتى . أظن أن بإمكانى إعطاءك النسخة الورقية إذا أردت ".

ودون انتظار لجواب ، اختفت بداخل غرفة أخرى وعادت بحزمة صغيرة من ملفات سميكة الغلاف .

" يمكنك المكوث طالما أن بيادزى موجودة ها هنا " . ولوحت لامرأة فى مكتب زجاجى بالخلف . ثم غادرت ، دون كلمة أخرى لا لى ، ولا لبيادزى .

كانت صفحات سجل الزوار مقسمة إلى أعمدة . تصفحت من الوراء لأحدث الملفات ، باحثاً عن اسم مارى تحت خانة المقصود بالزيارة ؟

كان هناك اثنان من السجلات خاصة بعامين ، لم يكن هناك أى شىء مطلقاً . كان واضحاً مقدار ما شعرت به مارى كونستانتين من وحدة فى هذا المكان .

ثم فجأة توالت أسماء كثيرة فى السجل . ها هى اندفاعة النشاط والاهتمام التى ذكرتها د. شابيرو . لقد دامت على مدار فترة شهر ونصف .

أبطأت من قراءتى لأسماء الزوار . كان أغلبهم غير معروف لى .

لكن تعرفت على واحد من الأسماء .

الفصل ١١٥

لم يتوافق هاتفى الخلوى ومدينة فيرمونت مطلقاً . كان جلياً أنها مكان خارج التغطية وخارج الخرائط .

بدلاً من ذلك عثرت على هاتف عملة ، اتصلت بالعميل بيج فى لوس أنجلوس ، وجعلته يتصل بمكتب شرطة لوس أنجلوس . بعدها بدقيقة كنا على الخط مع مكتب مادوكس فيلدنج ، ولكن فيلدنج نفسه غير موجود . يالها من مفاجأة .

قلت للملازم المجهول على الخط : " أتعرف ؟ دعك منه . حولنا على المحققة جين جاليتا " .

سألنى بيج من جديد ، فيما كنا ننتظر على الخط مع مكتب لوس أنجلوس : " ما الذى يجرى ؟ "

ثم سمعت صوتاً آخر على الخط . " جين جاليتا . هل هذا آلكس ؟ "

" جين ، هذا آلكس ، حسناً . كارل بيج من مكتب لوس أنجلوس على الخط كذلك . إننى فى فيرمونت . أظن أن لدىّ أبناء مهمة عن قضية مارى سميث " .

قالت جين : " أظن أننى قد يكون لدىّ حلقة وصل أخرى من أجلك ـ جريمة قتل فى فانكوفر . ماذا تفعل لديك بعيداً هكذا فى فيرمونت ؟ "

" احتفظى بما لديك حول فانكوفر . أرجو أن تعثرى على فيلدينج ، أو افعلى أى شىء مهما كان ، ولكن يجب على أحد ما أن يذهب إلى مايكل بيل لاستجوابه . مايكل بيل زوج مارتى لوينشتاين " .

بدا صوت جين غير مصدق : " ماذا ؟ " ثم أقسم بيج بشىء ، لكن لم يلتقطه جهاز الاستقبال بـوضـوح .

أعطيتهما فكرة سريعة جداً حول ما جرى خلال يومىّ الأخيرين هنا ، ثم أخيراً الأسماء المدونة بسجل الزوار بمستشفى الولاية .

" إنه يعرف مارى كونستانتين . لقد زارها هنا فى فيرمونت من قبل . مرات عديدة فى الحقيقة " .

" ثم ماذا ؟ ورطها فى الجريمة بـدلاً منـه ؟ كيـف أمكـن لـه حتـى أن يعرف أنها فى لوس أنجلوس ؟ "

" لا أعرف أى شىء حتى الآن . لعلـها بحثـت عنـه حـين ذهبت إلى هناك ، ربما كانا يتبادلان الرسائل . إذا كان يريد الحصول على قصتها ، إذا كان لهذا أية قيمة . وأظن أنه بالفعل أرادها ، ولكـن لـيس مـن أجـل عمل فيلم " .

" أتعتقد أن هذا كان تغطية ، ربمـا لكـى يقتـل زوجتـه هـو ؟ ولكنهـا ستكون تغطية أكبر من اللازم يا آلكس " .

" بالطبع هى كذلك . إنها قصة غير معقولة أيضاً يا بيج ، هل سمعت ما قلته ؟ "

" بلى . وراق لى . ففى النهاية ، هناك معنى يتضح أمامى " .

" حسناً . قم بعمل إشارة مباشرة ـ مايكـل بيـل وأى شـخص آخـر لـه صلة بهذه القضية . إننى أتساءل ما إذا كانت لديه أجندة أضخم مـن قتـل زوجته وحسب . اكتشف كل ما يمكنك اكتشافه يا فتى التجديف . كل ما نحتاجه مؤقتاً أن نجد ما يكفى لتبرير الإمساك به ما إن يحتجـزه مكتـب شرطة لوس أنجلوس " .

" استمعى ، أرجوك يا جين . لو كنـت مخطئـاً فـلا بـأس . رأيـى أن نكتشف ذلك فيما بعد وضعى سيارة مراقبة أمام منـزل مايكـل بيـل الآن . وأمر آخر يا جين " .

" ماذا ؟ "

" لا تـذهبى إلى هنـاك بمفـردك . فـإننى واثـق تمامـاً مـن أن بيـل هـو القاتل " .

الفصل ١١٦

وفجأة اشتعلت القضية كلها من جديد .

على بعد حوالى عشرة أميال من المستشفى ، توقفت السيارة عند أول محطة وقود رأيتها ، وهى محطة " تكساكو " عتيقة مع حرف (أ) يرفرف فوق سقفها . توقفت خلفى سيارة فورد من طراز إف ـ ١٥ ، لكن المبنى الوحيد الذى كان يمكن رؤيته كان مصنع سكر مظلم فى الحقل الواقع فى الناحية الأخرى من الطريق مباشرةً . وكان يمكننى رؤية زوج من الأبقار يرعيان فى أحد الحقول .

اتصلت بالعميل بيج مرة أخرى من هاتف عملة آخر . كنت بحاجة لسماع ما اكتشفه بشأن مايكل بيل .

فى هذا الوقت المتأخر ، من غير المحتمل اللحاق بطائرة إلى برلنجنتون ؛ أردت أن أبقى على اطلاع بالمستجدات طوال الوقت ، وكنت منشغلاً كذلك بكل من بيج وجين جاليتا . من يدرى ما الذى يضمره بيل فى لوس أنجلوس .

سألته : " ماذا وجدت حتى الآن ؟ "

قال : " عجيب ما يمكن للمرء أن يجده حين يبحث فى الموضع الصحيح . قبل أن تموت مارتى لوينشتاين ـ بيل باعت منذ فترة قصيرة برنامجها الخاص لقناة إتش . بى . أو . كانت طلقة فى سلاح نارى . ومن ناحية أخرى ، كانت المشاريع الثلاثة الأخير الخاصة بمايكل بيل وحده فاشلة ولم يشترها أحد . نجاحه الوحيد الكبير كان معها ، وبدا الأمر كما لو أنها تستعد للرحيل عنه . كانت ستطلق منه يا آلكس . لم يتخذا الإجراءات الرسمية بعد ، لكن إحدى صديقاتها كانت تعلم أن الطلاق وشيك " .

" ماذا قلت لى تواً ؟ "

" بلى ، والضربات تتلاحق . قام مكتب شرطة لوس أنجلوس بمراجعة حجج غياب بيل عن مواقع الجريمة وقت حدوثها ، وكلها تتعلق بأنه شوهد فى العمل ، أو كان فى المنزل بالمصادفة . لا يبدو أن حجج غيابه سوف تثبت صحتها يا آلكس ، واستمع لهذا ، قام آرنولد جرينر بكتابة نقد لاذع بصورة حادة حول أكثر من فيلم لبيل عندما كان يكتب عمود " فاريتى " ، بل إن جرينر قد أسماه بالفعل " مايكل بومبى " إمعاناً فى السخرية منه فى أحد أعمدته . بالطبع ، فى حالة جرينر قد يكون القتل مبرراً . أما آنتونيا شيفمان ، فقد قررت عدم الاستمرار فى مشروع كان يموله بيل بنفسه العام الماضى . وكما هو واضح فعلت ذلك بعد أن وعدته شفهياً بذلك ، وهو ما بدا شأنه شأن أى شيء آخر هنا . انهار المشروع كله ، وخسر نصف مليون دولار فى التحضير لمشروعه " .

كان بوسعى الشعور بانطلاق الأدرينالين داخل جسد بيج من صوته . كان ذكياً ومتقداً وحذراً مثل كلاب الحراسة الوفية . قال : " أراهن أن هناك المزيد ، كانت حياة بيل المهنية تنطلق نحو الهاوية ، وكان قد سحب جميع الآخرين معه للهاوية " .

قلت : " استمر فى البحث . لقد قمت بعمل رائع أيضاً . هل هناك أى خبر آخر من مكتب لوس أنجلوس ؟ أو من جين ؟ "

" توجهت سيارة مراقبة إلى منزل بيل . وما من إشارة منهم " .

" هل دخلوا إلى المنزل ؟ "

" كلا . لكنهم متأكدون تماماً من عدم وجود أى شخص بالمنزل . إن المنزل الآن تحت المراقبة " .

" حسناً . سأتصل حين أتوقف بالسيارة مرة أخرى . غالباً عندما أخرج من المطار . للأسف ، أظن أننى عالق هنا هذه الليلة " .

لم أكن راغباً فى قضاء الليلة بفيرمونت ، والآن خصوصاً ، ولكن لا يبدو أن أمامى الكثير من الخيارات . فكرت فى التوجه إلى متجر صغير بمحطة الوقود ، وشراء أشياء فظيعة مثل كعك الشيكولاتة ، أو إم آند إم مع الفول السودانى ، لكننى استعنت بقوة إرادتى كلها حتى لا أفعل ذلك . رباه ، إننى جدير بالإعجاب أحياناً .

استدرت نحو السيارة التى استأجرتها وشرعت أمشى نحوها وقد حنيت رأسى عكس اتجاه الريح . بدأ الجو يزداد برودة هنا . على بعد أقدام قليلة من السيارة ، نظرت متطلعاً فجمدتنى المفاجأة فى مكانى .

لدىّ رفقة .

كان جيمس ترسكوت جالساً فى المقعد المجاور للسائق بسيارتى .

الفصل ١١٧

لم يكن لهذا أى معنى بالنسبة لى ، ليس لأول وهلة على الأقل . ماذا يفعل ترسكوت هنا ؟ من الواضح أنه تتبعنى من جديد ، ولكن لماذا ؟

ما إن فتحت الباب المجاور له بشدة حتى رأيت دماً . انفتح فمى لأبدأ صيحة ، لكن شيئاً لم يصدر عنى ، ولا كلمة واحدة .

لم يكن وجود ترسكوت هنا ليسبب لى أية متاعب ـ ليس الآن على الأقل . لقد قُتل الكاتب ، وبرز فى المقعد الأمامى مثل تمثال .

قال صوت من خلفى : " ادخل إلى السيارة ولا تتسبب فى فوضى كبرى هنا . لأننى عندئذٍ سأضطر للدخول وإطلاق النار على العجوز الذى يدير متجر القرية ، هو الآخر . لا بأس فى ذلك عندى حقاً ، أنت تعلم " .

استدرت فرأيت مايكل بيل .

ظهر بيل شديد الإرهاق والتشوش ، وكان قد فقد الكثير من وزنه منذ رأيته آخر مرة فى منزله . بدا حقاً وكأنه شبح من العالم الآخر . كانت

عيناه فاتحتا الزرقة حمراوين بدرجة سيئة ؛ بلحيته الشعثاء المهملة ، كان شكله أقرب هكذا إلى حطاب من أهالى المنطقة .

" منذ متى وأنت تتبعنى ؟ " هكذا سألته ، محاولاً أن أورطه فى حوار إذا استطعت ، أن أكسب نوعاً من الهيمنة عليه . " قال لى : " ادخل السيارة وقدها فقط ، لا تتحدث إلىّ . إننى أقرأ ما فى ذهنك " .

دخل كلانا السيارة ، وبيل فى الخلف ، راح يوجهنى إلى الطريق ، كان الاتجاه يبتعد عن الطريق الرئيسى بين الولايات . أدرت السيارة وقدتها إلى حيث أرادنى أن أتجه ، كان عقلى يجرى بالأفكار نحو الوراء والأمام . كان مسدسى فى الصندوق . كيف يمكن لى أن أصل إلى الصندوق ؟ أو كيف لى أن أعرف ما يدور برأسه فوراً ؟

" ما هى الخطة يا مايكل ؟ "

" كانت الخطة بالنسبة لك أن تعود إلى واشنطن ، وبالنسبة للجميع أن يستمروا فى حياتهم المثيرة للشفقة . لكن هذا لم يفلح كما يجب ، أليس كذلك ؟ ينبغى لك أن تشكرنى للتخلص من الصحافى ، أم لا ؟ لقد توسل وبكى من أجل أن يعيش بالمناسبة . قدم أداء رائعاً . لقد صدقته . أى جبان كان " .

كنت مندهشاً لمعرفته أننى من واشنطن ، ولمعرفته أيضاً بشأن ترسكوت . ولكن مع ذلك فقد كان مراقباً ، صانعاً للحكايات فغالباً ما يعرف بيل الكثير والكثير .

سألته : " إذن ماذا الآن ؟ "

" ماذا ترى ؟ من المفترض أنك الخبير ، أليس كذلك ؟ إذن ، ماذا يحدث الآن ؟ "

" لا يجب أن يجرى الأمر على هذا النحو " . كنت أتحدث وحسب ؛ أقول أى شىء يرد لخاطرى .

" أنت تمزح . أى طريقة أخرى يمكن لها أن تكون . دعنى أسمع كل الاحتمالات الأخرى . لا أحتمل الانتظار " .

أثناء هذا ، كان قد ضغط ماسورة مسدسه فى عنقى . انحنيت **مستعداً** ، ولكن للحظة واحدة . فكرت أن الأفضل إذا ما عرفت بالتحديد أين موضع سلاحه . تساءلت ما إذا كان ينفذ الآن خطة ، أم أنه كان يرتجل عند تلك النقطة . فقد عُرفت مارى سميث بقيامها بالأمرين .

وهذا هو مارى سميث ، أليس كذلك ؟ لقد التقيت أخيراً بالقاتل الحقيقى .

قدنا بضعة أميال على طريق سريع ثانوى غير مضاء . قال فجأة : " يبدو هذا المكان جيداً . امض فى ذلك الطريق . اتجه يساراً هيا " .

خرجت عن الطريق المعبد إلى طريق قذر وغير ممهد . كان ينحدر للأعلى والأسفل ، ويتجه صوب الغابة . فى نهاية الأمر ، أحاطت أشجار السرو بالسيارة مثل نفق . كنت أهدر الوقت ، ولم يبد أن هناك أى سبيل للهرب أمامى . لقد اصطادتنى مارى سميث ، تماماً كما اصطادت الآخرين جميعاً وصرعتهم دون إخفاق .

" إلى أين نحن ذاهبون يا بيل ؟ "

" إلى مكان ما لا يعثرون به عليك فوراً . ولا على صديقك بالمراسلة هذا " .

" أنت تعلم ، إنهم يبحثون عنك بالفعل فى لوس أنجلوس . لقد اتصلت بهم " .

" نعم ، حظاً طيباً لهم فى البحث . لستُ موجوداً فى لوس أنجلوس الآن ، أليس كذلك ؟ "

" ماذا عن بناتك يا مايكل ؟ ماذا عنهن ؟ "

دفع ماسورة المسدس بشدة فى عنقى وقال : " لسن بناتى . كانت مارتى ساقطة رخيصة قبل أن أتزوجها ، قبل أن أصنع منها شيئاً . لقد كنت أباً جيداً لتلك الصغيرات الجاحدات ، من أجل مارتى فقط . لكنها كانت تصاحب الجميع حين التقيت بها ، وبقيت منغمسة فى الرذيلة بعد ذلك . لا بأس ، توقف هنا . هذا جيد " .

لم يكن هذا جيداً على الإطلاق . من خلال أضواء السيارة ظهر المكان الذى ينحرف فيه الطريق إلى منحدر معشوشب نحو اليمين . كان علىّ أن أكون شديد الحذر لئلا أتجاوز الحافة .

ثم فجأة ، فكرت فى النقيض ، إذا استطعت إرغام نفسى على القيام بذلك ـ لكنى أعلم أننى أستطيع ذلك . وهكذا ضغطت دواسة البنزين للأسفل وأدرت عجلة القيادة نحو اليمين بأقصى ما أستطيع من حدة .

قال بيل بصوت متحشرج : " ما الذى تقوم به ؟ سحقاً ! أوقف السيارة . أوقفها ! " .

وقعت ثلاثة أشياء ، جميعها فى نفس اللحظة تقريباً . انطلق الرصاص من مسدس مايكل بيل ؛ فشعرت بعالمٍ من الألم يتفجر فى كتفى اليمنى ؛ وبدأت السيارة فى السقوط بسرعة نحوَ الأسفل على مقدمتها تقريباً .

الفصل ١١٨

فجاة انتشر الألم فى كل موضع من جسدى ، وكان ألماً مبرحاً . كنتُ شبه واعٍ بأشجار السرو الكثيفة والنباتات المتسلقة ما بين الأشجار تبتعد من أمامِ السيارة فيما هى تدور وتهتز وتخرج حركتها السريعة عن نطاق السيطرة ، مهددة بالسقوط .

ظللنا نسقط غالباً لأربع أو خمس ثوان فقط . ومع هذا ، فقد كان الأثر النهائى كافياً ليعصر صدرى بقوة غير معقُولة قبالة عجلة القيادة . والغالب أن حزام الأمان أنجانى من الارتطام والخروج عبر الواجهة الزجاجية الأمامية . كنت أعلم أن بيل لم يكن يضع حزام الأمان الخاص به ، وغاية ما أتمنى أن تكون إصابته خطيرة . وإذا حالفنى الحظ فقد يفقد وعيه ، أو يموت ، بالمقعد الخلفى .

وضعت بالفعل يدى على مقبض الباب ، وأدرته لأخرج من السيارة بأقصى ما تمكنت من سرعة .

كان جسدى بكامله يخفق بألم مخدر جعل من العسير علىّ التحرك بسرعة . وقد تعلقت ذراعى اليمنى بلا فائدة إلى جانبى .

رأيت جثة جيمس ترسكوت ، منقلباً على وجهه ومفرود الأطراف فى الوحل . كان واضحاً أنه سقط عند التحطم .

ثم رأيت مايكل بيل يئن ويتأوه فى المقعد الخلفى . كان حياً بالداخل . بكل آسف . بسيطرة هائلة على قوتى ، نجحت فى النهوض على إحدى ركبتىّ . فصرخت من شدة الألم ؛ أدركت أن كتفى كسرت ولابد . اتخذت خطوة توقف للأمام . متوقعاً أرضاً مستوية ـ لكن كان هناك غدير خفى من الأغصان المتشابكة .

انزلقت لمسافة نصف قدم فى الماء .

كانت المياه ضحلة هنا ، لكنها كانت تصير أكثر عمقاً بما لا أستطيع أن أتبينه فى الظلمة . بثت المياه المثلجة صدمة كهربائية فورية عبر جسدى

لم أحسب أن الألم يمكنه أن يزداد سوءاً عن هذا ، لكنى رأيت موجة بيضاء أمام ناظرى تعود جزئياً .

ومن جديد ، بدأت أحاول النهوض ، ولم تسفر محاولتى إلا عن سقوطى للوراء . كان هذا هو بيل هذه المرة . اندفع بثقله نحو رقبتى ورأسى ، وكان قوياً مثل لعنة مسلطة . ثم أحسستُ بقدمه تضغط على ظهرى . اندفعت المياه إلى داخل أنفى وفمى .

كان يصيح : " أين تظن نفسك ـ " .

لم أمنحه الفرصة ليكمل قوله . لففت ساقى حول كاحله بشدة كالمقص ، استهلك هذا البقية الباقية من قوتى . أوقع هذا به مع ذلك ، وسقط على ظهره بعيداً عنى . سمعت صوتين لارتطام ، وتمنيت أن يكون واحد منهما صوت مسدسه .

بنصف جسدى فى المياه ، ونصفى الآخر خارجها ، انحنيت بشدة على يدى اليسرى السليمة ورفعت نفسى بما يكفى لأندفع نحوه . نجحت فى الهجوم عليه ، ثم توجيه ضربة خطافية له قبل أن يتمكن من الاستجابة .

نهض ووجه قبضة ثقيلة إلى وجهى ، غارساً أصابعه فيه . كان مايكل بيل فى نفس طولى تقريباً ، لكنه أثقل منى كثيراً ؛ بالرغم مما فقد من وزن فى الأسابيع القليلة الماضية ، كان يفوقنى بثلاثين رطلاً على الأقل .

وضعت يداً على عنقه ورحت أضغط ، وأضغط بأقصى ما لدىّ من قوة . حاول التملص قليلاً ، لكنه لم يفلت .

كانت قوة الدفع هى الشىء الوحيد الذى قد أكون قادراً على أن أزيد منه ، ولكن حين حركت قدمى اصطدمت بكتلة من الطحالب

دفع الانزلاق المفاجىء للوزن إلى انحراف مؤلم لجسدى ، وسقطت إلى الوراء فى المياه المتجمدة شديدة البرودة .

رباه ، كانت باردة ـ لكنى لم أكد أهتم بها .

نهض بيل أسرع منى هذه المرة . ليست علامة طيبة . لديه فرصة ثانية . الثقل الرهيب لألم ذراعى اليمنى أبطأنى .

رأيته كهيكل معتم ، يلتقط شيئاً بدا مثل صخرة مسطحة فى حجم موسوعة تقريباً . رفع الصخرة عالياً بكلتا يديه بينما خطا نحوى .

صاح : " أيها الأحمق اللعين ، سأقتلك ! هذه خطتى . هكذا تنتهى الحكاية . هكذا تنتهى ! " .

زحفت للخلف مبتعداً عن بيل بأفضل ما استطعت ، لكنى كنت أعرف أن هذا غير كافٍ . سقطت يدى على شىء صلب فى المياه الضحلة . ليست صخرة ، لا أظن أنها كذلك على الأقل . شىء معدنى ؟

صاح بيل : " ستموت ! ما رأيك فى هذه الخطة ؟ ما رأيك فى هذه النهاية ؟ "

الشىء المعدنى . عرفت ما كان هذا . جذبت مسدس بيل بشدة خارج المياه وعثرت على الزناد . صحت به : " كلا يا بيل ! " .

واصل اقترابه مع الصخرة الهائلة الحجم مرفوعة فوق رأسه : " ستموت ! " .

فأطلقت النار عليه .

لا أعرف بالضبط ما حدث فى الغابة المكسوة بضوء القمر . لم أعرف حتى أين أصبته ، لكنه أصدر حشرجة مزعجة وتوقف لثانية .

ثم تقدم للأمام من جديد . أطلقت عليه مرة ثانية . وثالثة . كلا الطلقتين فى الجزء الأعلى من الصدر ، على الأقل أظن ذلك .

سقطت الصخرة الكبيرة التى كان يمسكها من الخلف فى المياه .

ظل معلقاً للحظات بقوى غامضة ، ثم سار بيل مترنحاً يكاد يسقط لخطوتين أو ثلاث . ثم سقط على وجهه فى المياه مسبباً صوت ارتطام هائل .

ثم لا شيء . ساد السكون الغابة .

كنت أرتجف على نحو سيئ دون قدرة على السيطرة ، احتفظت بالمسدس موجهاً نحو بيل بيدى السليمة . استلزم الأمر جهداً فائقاً فقط لأخرج من المستنقع نحو المكان الذى يرقد فيه .

حين ملت نحوه ، لم تكن تصدر عنه أدنى حركة . أمسكت بذراعه ورفعتها . فحصت نبضه ولكن لا شيء هناك . فحصته مرة أخرى ـ ولكن لا شيء ، لا شيء سوى سكون الغابة ، والبرودة الرهيبة .

رحل مايكل بيل ، وهكذا رحلت مارى سميث . وبهذه الملابس المبتلة بمياه مثلجة ، سرعان ما سأرحل أنا الآخر .

الفصل ١١٩

كان تسلقى البطىء خارج المكان الموحل فى موضع التحطم أمراً بشعاً ، لا شيء سوى ألم مبرح ، دوار ، وغثيان . الحسنة الوحيدة هى أننى لا أكاد أتذكر أياً من هذا .

نجحت بطريقة ما فى الخروج إلى الطريق الرئيسى ـ حيث التقطنى طالب جامعى يقظ يقود سيارة سوبارو . لم أعرف أبداً اسمه . احسب أننى غبت عن الوعى فى المقعد الخلفى لسيارته .

فى الصباح التالى ، تم انتشال جثة مايكل بيل من الغدير ، وكنت أنا أستريح على فراش فى مستشفى فلتشر آلان فى بيرلنجتون . " أستريح " فى الغالب كلمة غير صحيحة مع ذلك . فقد قضيت ساعات على الهاتف مع مكتبى فى واشنطن ، ومع مكتب لوس أنجلوس ، وجين جاليتا ، فى محاولة لتجميع أجزاء ما حدث من بداية نوبة القتل .

كانت خطة بيل مزيجاً بارعاً من الخداع والجنون ، لكن غطاءه كان بسيطاً لأقصى حد ـ إبعاد الشبهات عن نفسه . ولقد نجح حتى اللحظة الأخيرة . وكما أخبرتنى جين ، فقد كان مايكل بيل يكتب وينتج قصصاً

ليكسب عيشه . كانت حرفته هى وضع الحبكات الدرامية . لن أكون مندهشاً إذا انتهت هذه الحكاية لأن تكون سيناريو للشاشة ، كتبه شخص آخر . ولعل الكاتب سيغير كل شىء ، مع هذا ، إلى أن يحمل الفيلم عبارة خادعة تقول " مأخوذ عن قصة حقيقية " .

مزحت جين معى على الهاتف قائلة : " من تحب أن يلعب دورك ؟ "

" لا أعرف . لا أهتم كثيراً . بى وى هيرمان " .

بالنسبة لمارى كونستانتين ، لم أكن متأكداً من شعورى تجاهها . الشرطى الذى بداخلى كان لديه رد فعل واحد ، لكن الطبيب النفسى كان لديه رد آخر . كنت سعيداً لعودتها لنوع من العلاج والعناية التى تحتاج إليهما . إذا كانت د. شابيرو على صوابٍ ، فقد تتجه مارى فى نهاية المطاف إلى مرحلة الشفاء . هكذا أردت أن أفكر بالأمر مؤقتاً .

حوالى الساعة الرابعة ، صرَّ باب غرفتى منفتحاً ، ولم يكن هناك إلا الجدة تطل برأسها للداخل .

قلت : " أرى عينين ملتهبتين هناك " وشرعت أبتسم " مرحباً يا جدة . ما الذى أتى بك إلى فيرمونت ؟ "

قالت مازحة : " لأبتاع شراب القيقب " .

دخلت على استحياء ، وخصوصاً بالنسبة لها . طرفت عيناها حين رأت الرباط حول كتفى .

" أوه يا آلكس ، أوه ! " .

قلت : " يبدو أسوأ مما هو عليه . حسناً ، ربما كلا . هل وجدت أى صعوبة فى حجز رحلة الطيران ؟ "

" ما من صعوبة مطلقاً . يذهب المرء إلى المطار ويدفع النقود " .

اقتربت ووضعت يداً رطبة على وجنتى . كان هذا مألوفاً ومطمئناً للغاية . ماذا كنت سأفعل بدون هذه المرأة العجوز صعبة المراس ؟ لم أمنع نفسى من التفكير فى هذا . ماذا سأفعل بدونها ؟

" قالوا إنك ستكون على خير ما يُرام يا آلكس . أفترض أن هذا مفهوم نسبياً ، أليس كذلك ؟ "

لقد أصبت بطلق نارى قبل هذا . إنها صدمة عصبية ـ لا يمكن إنكار هذا ـ ولكن يمكن تجاوزها ، حتى الآن على الأقل .

قالت للجدة : " سوف أكون بخير ، على خير ما يرام " .

" طلبت من الأولاد الانتظار بالخارج ، أردت أن أقول لك شيئاً ما ، ثم نضع الأمر خلفنا " .

" أوه . أنا فى ورطة من جديد ، أليس كذلك ؟ عدت إلى غرفة العقارب " .

لم ترد على ابتسامتى بابتسامة ، لكنها أخذت يدى بين يديها .

" إننى أشكر الله عليك فى كل يوم من حياتى يا آلكس ، وأشكره لأنه منحنى فرصة رعايتك صغيراً ، وأراك تصير الرجل الذى أردت أنت أن تكونه . لكننى أريدك أن تفكر فى سبب مجيئك إلىّ فى أول الأمر ، فيما كان يحدث بين والديك المسكينين قبل موتهما . وببساطة أن تفكر أكثر فى مصلحة جانى ودايمون وآلى " .

توقفت الجدة لكى تمهد لما أرادت قوله تالياً .

" لا تحولهم إلى يتامى يا آلكس " .

الفصل ١٢٠

بدأت أتحدث إلى الجدة ، لكنها واصلت ، وقد رفعت صوتها قليلاً :
" سأرحل عن الدنيا قبلك . لا تجرؤ على منازعتى فى هذا " .

فى النهاية ، هززت كتفى وحسب ، مما آلم كتفى ورقبتى

" ماذا يسعنى أن أقول ؟ "

" لا شىء . لا شىء تقوله . استمع وحسب إلى حكمتى ، حكمة السنين والأجيال . استمع ، فربما تستطيع أن تتعلم شيئاً ما فى نهاية الأمر " .

تبادلنا نظرة طويلة إلى بعضنا البعض . غص حلقى بدمعة ، على الرغم من أن ما يخامرنى لم يكن الحزن . كان بدرجة أقرب إلى الامتنان والحب غير المعقول نحو هذه المرأة القوية الضئيلة المثيرة للعجب ـ التى كانت حكمتها ، فى الحقيقة ، تتجاوز أعوامها وبالطبع أعوامى أنا .

قلت : " صدقى أو لا تصدقى ، إننى دائماً أنصت إلى كلامك " .

" صحيح ، ثم تذهب وتقوم بما كنت ستقوم به مهما يكن " .

انبعثت أصوات من ممر المستشفى إلى الغرفة ، بينما انفتح الباب حتى منتصف المسافة . تطلعت فرأيت وجه دايمون المتلهف ، فوثب فؤداى وثبة صغيرة .

مسحت عينى قائلاً : " انظروا من هذا ! وصل رجل المنزل " .

قال : " قالوا لنا بأن جانى لا تستطيع الدخول لأنها تحت ١٢ سنة " .

نهضت قليلاً فى الفراش وقلت : " وأين هى ؟ "

" أنا هنا " . انبعثت نبرة جانى ذات الكبرياء من وراء الباب .

" حسناً ، تعالى هنا قبل أن يراك أحد تعالى لكى لا يقبضوا عليك . لكنى سأقبض عليك ، إذا بقيت بالخارج لدقيقة أخرى " .

دخل كلاهما وتدافعا إلى الفراش متوقفين لبرهة ناظرين إلى مجموعة الضمادات الخاصة بى . مددت ذراعى السليمة وأخذتهما كليهما فى الوقت نفسه .

سألت جانى من جهة جانبى السليم : " كم المدة التى ستقضيها هنا ؟ "

قلت لها : " سأكون فى المنزل بعد يومين " .

قالت الجدة : " إن إصابته تبدو أسوأ مما هى عليه " .

وقف دايمون من جديد ونظر إلى الرباط وقال : " هل يؤلم هذا للغاية ؟ "

قالت الجدة : " جداً جداً " .

قلت : " لقد عانيت ما هو أسوأ " . نظر كلاهما إلىّ نفس النظرة المحايدة ، بتعبير من العتاب تقريباً . من هو الوالد هنا على أية حال ؟ بشكل ما بدا كلاهما أكبر سناً مما كانا عليه فى آخر مرة رأيتهما . أنا نفسى شعرت أننى أكبر سناً قليلاً .

سيكبر هذان الاثنان ويتغيران ، سواء كنت هناك لأشاهدهما أم لا . أمر واضح كالشمس ، لكن حقيقته ـ جانبه الواقعى ـ فجأة استقر بداخلى .

اعترفت أخيراً : " نعم . إنه مؤلم ، مؤلم كثيراً " .

ثم راودتنى الفكرة الفظيعة من جديد ـ **لا تجعلهم يتامى يا آلكس** ـ فاحتضنت طفلىّ بشدة ، حتى مع ألم كتفى ، لم أستطع أن أفلتهما ، ولم أستطع أن أطلعهما على ما كنت أفكر به كذلك .

الفصل ١٢١

مكثت فى مستشفى فليتشر آلان بفيرمونت لما يقرب من أسبوع ، وهى أطول إقامة لى فى مستشفى حتى هذا التاريخ ، وربما هذا تحذير آخر لى . **ما عدد التحذيرات التى تلقيتها ؟**

حوالى السادسة من مساء الجمعة ، تلقيت مكالمة من المفتشة جين جاليتا فى لوس أنجلوس . سألتنى : " هل أخبرك أى شخص بآخر الأخبار يا آلكس ؟ أفترض أنك تعرف " .

" أى أخبار يا جين ؟ أننى سأخرج غداً من المستشفى ؟ "

" لا علم لى بذلك . ولكن بالأمس اعترفت مارى واجنر بارتكابها لجرائم قتل لوس أنجلوس " .

" لكنها لم ترتكب تلك الجرائم . ارتكبها مايكل بيل " .

" أعلم هذا . حتى مادوكس فيلدينج يعلم هذا . لم يصدقها أحد ، لكنها اعترفت ، وعندئذ ، فى وقت ما الليلة الماضية ، شنقت مارى واجنر المسكينة نفسها فى زنزانتها . لقد ماتت يا آلكس " .

www.rewity.com dodyadodo

تنهدت وهززت رأسى أكثر من مرة : " آسف حقاً لسماع هذا . إنه موت آخر من فعل بيل ، جريمة أخرى " .

الصباح التالى ، ولدهشتى ، سُمِحَ لى بالخروج من المستشفى . اتصلت بالمنزل لأطلعهم على الأخبار ، ونجحت فى التوصل لرحلة طيران إلى بوسطن . ومن بوسطن لحقت بالطائرة اليومية التى تقلع إلى واشنطن العاصمة . لم أكن أبداً بهذه السعادة رغم وجودى فى طائرة مزدحمة بالمسافرين اليوميين .

كان الأمر الأسهل هو التوصل لسيارة أجرة فى المطار ، وتوجهت جنوباً فى حدود السابعة من مساء تلك الليلة ، وأحسسن بشعاع ناعم ودافئ ينتشر بداخل جسدى . **ما من مكان خير من الوطن والديار** ، **ما من مكان خير من دار المرء** . أعرف أن هذا ليس حقيقياً بالنسبة لكثيرين، لكنه كذلك بالنسبة لى ، كما أعرف كم كنت محظوظاً لذلك .

توقف السائق بالسيارة قبالة المنزل فى الشارع الخامس ، وفجأة رحت أجرى عبر الباحة الأمامية الصغيرة ، ثم أصعد درجتين طويلتين من السلم الأمامى باهت الطلاء .

التقطت آلكس الصغير بذراعى ، ورحت أطوحه عالياً فى الهواء . آلمنى هذا ، لكن الأمر كان يستحق . ناديت على سائق التاكسى الذى كان قد أخرج رأسه من النافذة المجاورة له وقد بدت عليه أمارات الحيرة ، لكن حتى هو كان يبتسم ، على طريقة سائقى تاكسى واشنطن المنهكين . قلت له : " سأكون معك حالاً ! " .

" لا بأس . خذ وقتك يا صاح . العداد يعمل على أية حال " .

نظرت نحو الجدة ، التى خرجت إلى الرواق مع ابنى الأصغر .

همست لها : " ماذا ؟ أخبرينى بما حدث " .

قالت بصوت خفيض : " آلى فى المنزل . أحضرته كرستين إلى هنا يا آلكس . لقد غيرت رأيها من جديد . لن تقيم فى الجانب الشرقى بعد ذلك . آلى فى المنزل والحمد لله . هل تصدق هذا ؟ والآن ماذا عنك أنت ؟ هل عدت للمنزل ؟ " .

قلت : " لقد عدت يا جدة " ، ثم نظرت إلى عينى صغيرى الجميلتين " لقد عدت يا آلى . إننى أعدك بهذا " .

ودائماً ما أحافظ على وعودى .